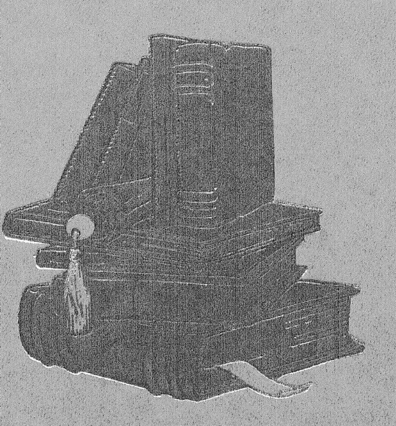
موسوعة
عالم الأديان

كل الأديان . المذاهب . الفرق . البدع في العالم



NOBILIS

موسوعة عالم الأديان

كلّ الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم

بطريركيّة أورشليم اللاتينيّة

الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة

مجمُوعَة مِن كبَار البَاحِثين

بإشراف

ط. ب. مفرِّج

موسُوعَة

عَالَم الأديَان

كُلّ الأديَان والمَذَاهِب والفرَق والبَدَع في العَالَم

الجزء الحَادي عشَر

القِسم الأوّل: بَطريَركيّة أورشَليم اللاتينيّة

القِسم الثّاني: الكَنيسَة الملَكيّة الكاثوليكيّة

NOBILIS

طبعة أولى ـ ٢٠٠٤

طبعة ثانية ـ ٢٠٠٥

إسم المَجموعَة	:	موسوعَـــة عَالَـــم الأديَـــان
		كُلُّ الأديَان والمَذَاهِب والفرَق والبَدَع في العَالَم
إسم الكِتَاب	:	بَطريَركيَّةُ أورَشَليم اللاتِّينيَّة الكَنيسَةُ المَلَكِيَّةُ الكَاثُولِيكيَّة
الجِزء	:	الحَادي عَشَرَ
المؤلّف	:	مجمُوعَة مِن كبَار البَاحِثين بإشراف ط. ب. مفرِّج
قياس الكتَاب	:	٢٠ × ٢٨
مَكَان النَّشر	:	بيروت
دَار النَّشر والتَّوزيع	:	NOBILIS
تلفاكس	:	٩٦١ ـ ١ ـ ٥٨١١٢١
	:	٩٦١ ـ ٣ ـ ٥٨١١٢١

مُحتَوَيَات القِسْم الأوَّل

الفَصْلُ الأوَّل

كَنِيسَةُ القُدسِ اللاتِينِيَّة

بَطرِيَركِيّةُ القُدس اللاتِينيَّة ـ ص ١٣؛

المُقَاوَمَـةُ اليَهُودِيَّة ـ ص١٨؛ الاضطِهَادُ الرُّومانيّ وأعمَالُ بطرُس وبُولُس ـ ص٢١؛

كَنِيسَـــةُ القـُــدسِ والمُعتَقد المُستَقيم ـ ص٢٩.

الفصلُ الثَّانِي

مِنَ الفُرسِ إلى الصَّلِيبِيّين

الهَجمَةُ الفَارِسيَّة والرِدَّة الهِرَقلِيَّة ـ ص٣٥؛

فِي ظِلِّ الإسلاَم ـ ص٣٨؛ أورشَلِيم القُدس في الحَقبَة الصَّلِيبِيَّة ـ ص٤٦؛

كَنيسَـــة أورَشَليــم فِي الحقبَة الصَّليبيَّة ـ ص٥١؛ يَـــومُ الرَّملَة ـ ص٥٣؛

مَعــركَةُ حطِّيــن وسقُوط أورشَليم ـ ص ٥٦؛

بينَ ريكَردوس وصلاَاح الدِّين ـ ص٦٢؛

تأرجح وَضــع القُــدس بينَ الفرنجَة والمسلِمين ـ ص٦٤؛

في عَصـرِ الممَاليـك ـ ص٦٧.

الفَصلُ الثَّالث

بعدَ الصلِيبيِّين

إنفِصَالُ الشَّرقِ عَن الغَرب ـ ص٧٥؛

كَنيسَـةُ القُدسِ بعدَ الصَّليبيّين ـ ص٧٧؛ جُيُـوشُ التَّبشِير ـ ص٧٩؛

الكرمليُّون ـ ص٧٩؛ الفرَنسيسكَان والدُّومِينيكَان ـ ص٨٣؛

الفَصل الرَّابِع

في الشَّرق الحَدِيثِ والمُعَاصِر

الكَنِيسَة اللاتِينيَّة في الشَّرق الحَدِيث ـ ص١٠٥؛

البَطرِيَركِيَّة اللاَّتِينِيَّة تَعـودُ إلَـى القُـدس ـ ص١٠٧؛

البَطرِيَركُ الثَّـانِـي والرُّهبَانيَّات المُستَقدَمَة ـ ص١٢٣؛ دخُولُ الرَّهبَانيَّات ـ ص١٢٤؛

الإخوة الواعِظون أو الدُّومينيكان ـ ص١٢٦؛ رهبانية الوردية ـ ص١٢٨؛

راهبات المحبّة. راهبات القدّيس شارل بوروميه. راهبات الراعي الصالح ـ ص١٣٠؛

راهبات مار يوسف. الفرنسيسكانيّات. راهبات الناصرة ـ ص١٣١؛

آخِـر بَطَارِكَـــــة القَرن التَّاسِع عَشَر ـ ص١٣٢؛

تأسيس إكليريكيَّة القدِّيســة حنـــّة ـ ص١٣٤؛

بطَاركةُ القَرن العِشريـن والتغيُّرات الدِّيموغرَافِيّة ـ ص١٤٠؛

بَطرِيَركيَّة القُدسِ اللاَّتِينِيّة في الزَّمَــن المُعاصــــر ـ ص١٥١.

مُحتوَيَات القِسْمِ الثَّانِي

الفَصلُ الأَوَّل

الكَنيسةِ المَلكيَّةِ الكَاثُولِيكِيَّة

نشوء الكَنيسةِ المَلكيَّةِ الكَاثولِيكيَّة ـ ص١٦٧؛

بِدَايَــات التَّقــارُب بَينَ المَلكِيِّين ورُوما ـ ص١٦٩؛ دَيــر المخلِّص ـ ص١٧٨؛

دير مار يوحنّا الصايغ والرّهبَانيَّتَان الشوَيريَّة والحَلَبيَّة ـ ص١٨٢؛

الفَصلُ الثَّانِي

البَطرِيَركِيَّة المَلكِيَّة الكَاثُولِكيَّة

نُشوء البَطرِيَركِيَّة ـ ص١٨٩؛ تمَركُز البَطرِيَركِيَّة في لبنَان ـ ص١٩٣؛

مُشكِلَـةُ خِلافَــةِ البَطريَركِ الأوَّل ـ ص١٩٧؛ قَــرنُ المُعانَاة ـ ص١٩٩؛

الفَصلُ الثَّالِث

عَهدُ تحرُّرٍ وازدِهَار

ثَلاثُ مَراحِل ـ ص٢٠٩؛ البَطريَرك مكسيمُس الثالث مظلُوم ـ ص٢٠٩؛

اقلِيمنضُس بَحُّوث ـ ص٢٢٠؛ غريغُوريُوس يوسُف الأوَّل سيُّور ـ ص٢٢٣؛

أعلاَم القَرن التَّاسِع عَشر ـ ص٢٣٤.

الفَصلُ الرَّابِع

في القَرن العِشْرِين

بَطَارِكَةُ القَرن العِشْرِين ـ ص٢٣٩؛ بُطرُس الرّابع الجرَيجِيرِي ـ ص٢٣٩؛
كِيرِلُّس الثَّامِن جِحَا ـ ص٢٤٠؛ جَمعيَّة الآبَاء المُرسَلين البُولسِيِّين ـ ص٢٤١؛
مَجمَع عَينْ ترَاز ـ ص٢٥٠؛ آخــرُ أيَّـــام كيرلُّس الثَّامِن ـ ص٢٥٢؛
نَكبَة الكَنيسَةِ المَلَكيَّة الكَاثُوليكيَّة في خِلاَل الحَربِ العَالميَّة الأولَى ـ ص٢٥٣؛
دِيمِترِيُوس الأوّل قَاضِي ـ ص٢٥٧؛ كِيرِلُّس التَّاسع مغَبغَب ـ ص٢٥٩؛
مُرسَلات سَيِّدَة المَعُونَة الدائمَة ـ ص٢٦٢؛ مَكسيمُس الرَّابِع الصَّائغ ـ ٢٦٥؛
في بلدَان الانتِشَار٢٦٨؛ العَمَل المَسكُوني ـ ص٢٧١؛ المَجمَع الفَاتِيكَاني ـ ص٢٧٢؛
مَكسِيمُس الخَامِس حَكِيم ـ ٢٧٦؛ مسأَلَةُ العَمَل المَسكُونِي ـ ص٢٨٠؛
المُؤتَمَر الكُهنُوتِي ـ ص٢٨٦؛ المؤتَمرُ العَام ـ ص٢٨٧؛
مِن أعلاَم الكنيسةَ المَلَكيَّة الكَاثوليكيَّة في حَقَبـة القَـرنِ العِشرين أعلام ـ ص٢٨٨.

الفَصلُ الخَامِس

الكَنِيسَة المَلَكيَّة الكَاثُوليكِيَّة في القَرنِ الحَادِي والعِشرِين

البَطرِيَرك غرِيغُورِيُوس الثَّالث لحَّام ـ ص٢٩٥؛
هَيكَلِيَّةُ كَنيسَةِ الرُّومِ المَلَكِيِّينَ الكَاثُولِيك ـ ص٣٠١؛ الرهبانيَّات ـ ص٣٠٦.

القِسم الأوّل

بطرِيَركيّةُ أورَشَليم اللاّتَينِيَّة

الفصل الأوّل

كَنيسَةُ القُدسِ اللاَّتينِيَّة

بَطريَركِيَّة القُدس اللاَتينِيَّة؛

المُقَاوَمَةُ اليَهُودِيَّة؛

الاضطِهَادُ الرُّومانـيّ وأعمَالُ بطرُس وبُولُس؛

كَنيسَـةُ القُـدسِ والمُعتَقَد المُستَقيم.

بَطريَركيَّة القُدس اللاتينيَّة

تختلف رؤية الباحثين الكنسيّين حول تاريخ نشأة بطريركيّة القدس اللاتينيّة، بين قائلين بأنّها قد أُسّست في سنة ١٨٤٧، يوم اختار البابا بيوس التاسع لهذا المنصب البطريرك يوسف فالرغا (١٨٤٧ - ١٨٧٢)؛ وقائلين بردّها إلى الزمن الأوّل لنشوء البطريركيّات في الشرق.

أصحاب الرؤية الأولى يقولون بأنّ الجاليات الغربيّة كانت تقيم في الشرق منذ القرون الأولى لتأسيس الكنيسة، فكان لها بعض المعابد والأديرة، ولا سيّما في مدينتَي القدس والقسطنطينيّة، من دون أن يكون لها أبرشيّات خاصّة، وكانت تنتمي إلى السلطة الشرقيّة المحليّة. ولمّا جاء الصليبيّون أقاموا الأسقفيّات والبطريركيّات اللاتينيّة في الشرق، إلاّ أنّها اندثرت مع اندثار الحكم الصليبيّ، ولم يبقَ منها إلاّ الشيء القليل، وذلك في الديار التي امتدّ إليها نفوذ البندقيّة. ومع ذلك، فإنّ أصحاب هذا الرقي يعتبرون أنّ البطريركيّة اللاتينيّة الحاليّة في الأراضي المقدّسة ما هي سوى امتداد لتلك البطريركيّة القديمة. ويعتبر هؤلاء أنّ الرهبان الفرنسيسكان قد عادوا إلى الشرق في أواسط القرن الرابع عشر، فعُهدت إليهم حراسة بعض الأماكن المقدّسة وخدمة الحجّاج الإفرنج، ثمّ اهتمّوا بالجاليات التجاريّة والقنصليّات التي أُقيمت في الشرق، بعدما تحسّنت العلاقات السياسيّة بين المماليك والعثمانيّين من جهة، والدول الغربيّة من جهة أخرى.

ثمّ قدم إلى الشرق في مطلع القرن السابع عشر المرسَلون الكبّوشيّون والكرمليّون واليسوعيّون[1] ولم يكن في نيّتهم إنشاء كنيسة لاتينيّة، بل إعادة الوحدة بين الشرق والغرب حسب مقرّرات مجمع فلورنسا. ولم تتمّ هذه الوحدة إلاّ بشكل جزئيّ، ما أدّى إلى تقسيم الطوائف الشرقيّة إلى كاثوليكيّة وأرثذوكسيّة. ولمّا صدر، عام ١٧٢٩، القرار المشدّد على عدم اشتراك الكاثوليك مع الأرثذوكس في القدسيّات، لم يكن الإكليروس الشرقيّ الكاثوليكيّ متوفّرًا في كلّ الأنحاء، بل كان مشرّدًا بسبب الاضطّهاد، فأخذ الرهبان الغربيّون يقومون بالخدمة الروحيّة للشرقيّين، ويسمحون لهم بممارسة أعيادهم وأصوامهم اللاتينيّة. وانتمى هكذا بعض الأفراد إلى الطقس اللاتينيّ رغم معارضة البابا بنديكتُس الرابع عشر. وظلّ عدد هؤلاء ضئيلاً جدًّا حتّى أواسط القرن التاسع عشر، فأُسّست إذ ذاك البطريركيّة اللاتينيّة في القدس، وتدفّق الرهبان والراهبات إلى الشرق فخدموا البلاد خدمات جلّى، ففتحوا المدارس والمستشفيات، وجابهوا الخطر البروتستانتيّ والإلحاد الغربيّ.

إثر ذلك دخل في الرهبانيّات الغربيّة عدد وافر من الشرقيّين، وتبّعوا الطقس اللاتينيّ. إلاّ أنّه منذ بضعة أعوام، صدرت الأوامر كي يحافظ هؤلاء الشرقيّون على طقوسهم ضمن الرهبانيّة الغربيّة، فتتهيّأ هذه الرهبانيّات لتأسيس فروع شرقيّة لها. وأخذت عدّة مؤسّسات غربيّة عاملة في الشرق تتبع الطقوس الشرقيّة، وتنتمي إلى سلطة الأساقفة الشرقيّين، وتمكّنت هكذا من القيام بخدمات أعظم للبلاد وللطوائف المحليّة[2].

---

١ - ناب عن اليسوعيّين اللعازاريّون في آخر القرن الثامن عشر.

٢ - يتيم المطران ميشيل والإرشمندريت أغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة وأهمّ أحداث الكنيسة الغربيّة، منشورات المكتبة البولسيّة، ط٤ (بيروت، ١٩٩٩) ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

غير أنّ المرجع نفسه، يورد في مكان آخر، أنّ النظام الكنسيّ الذي نشأ في القرن الثالث وأقرّه رسميًّا مجمع نيقيا سنة ٣٢٥ كان يقوم بتجمّع الأساقفة حول أسقف عاصمة الإقليم أو المتروبوليت. وقد أخذ هذا النظام يمتدّ تدريجًا إلى الغرب. وقد اعترف مجمع نيقيا أيضًا بالسلطة العليا التي كانت لروما والإسكندريّة وأنطاكية على مقاطعات أوسع. وبرزت في القرنَين الرابع والخامس أهميّة كنيستَين أخريَين، هما كنيستا القسطنطينيّة والقدس، فعلا شأنهما واتّسع نفوذهما، فأقرّ المجمع الخلقيدونيّ سنة ٤٥١ وضعَيهما الجديد واعترف لأسقفَيهما بلقب "رئيس أساقفة". ورأى يوستينيانُس الملك، في القرن السادس، أنّ هذه الكنائس الخمس تشرف على شؤون الأبرشيّات الأخرى دون مقاومة أو اعتراض، فأصدر مرسومًا قسّم بموجبه العالم الرومانيّ إلى خمس "بطريركيّات" تخضع لها جميع أبرشيّات الدولة، ومنح أساقفتها لقب "بطريرك"، فثَبّت الوضع الذي كان راهنًا يومذاك ووطّد سلطة البطاركة. وهذه البطريركيّات الخمس هي: روما، القسطنطينيّة، الإسكندريّة، أنطاكية، والقدس. واعترف الأمبراطور "لبطريرك" روما بأسبقيّته على البطاركة الآخرين، بل وبمسؤوليّته الكبرى عن شؤون الكنيسة جمعاء، إذ دعاه "رئيس كهنة اللّه أجمعين". وقد نال هذا البطريرك الملقّب بـ"البابا" سلطته من السيّد المسيح نفسه لأنّه خليفة القدّيس بطرس[1].

ويعتبر أئمّة الباحثين الكنسيّين المعاصرين من أبناء كنيسة القدس اللاتينيّة أنّ كنيسة القدس هي الكنيسة الوارد ذكرها في سفر أعمال الرسل. وهي كنيسة الجماعات المسيحيّة الأولى المتّصلة مباشرةً بالرسل وبيسوع المسيح نفسه. ففي القدس بدأ كلّ شيء. وفيها وُلد كلّ مسيحيّ وكلّ كنيسة. وكنيسة يسوع واحدة، ولو أنّها اليوم

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص١٠٣.

منقسمة. ولهذا فإنّ هذه البداية هي بداية جميع الكنائس أيضًا. وصلاة يسوع ما زالت تدعو الجميع إلى الوحدة: "يا أبتي القدّوس، إحفظهم بإسمك الذي وهبته لي، ليكونوا واحدًا كما نحن واحد[1]".

ويقدّم هؤلاء لبحثهم بالتوضيح أنّنا نجد اليوم في القدس عدّة كنائس ترقى كلّها إلى العصور القديمة. ومن طبيعة كنيسة القدس أن تكون في الوقت نفسه كنيسة محلّيّة وكنيسة جامعة أو في خدمة الكنيسة الجامعة، لأنّ جميع الكنائس، على غرار جميع المسيحيين، وُلدت روحيًّا في القدس. ومن ثمّ، فإذا دوّنت اليوم أيّ كنيسة في القدس تاريخها، وجب أن تعي هذا البعد الشموليّ والعامّ الذي تحمله في صميم كيانها. وإذا كان التاريخ الماضي مثقلاً بالنزاعات وبنظريّة "الحقوق المكتسبة" وعقليّتها، وجب أن يكون التاريخ الحاضر محرّرًا من هذا العبء القديم، ليتسنّى لجميع الكنائس أن تُعدّ مستقبلاً واحدًا لكنيسة يسوع المسيح، ولجميع أبنائها في الأرض التي قدّسها بتعاليمه وآلامه وقيامته. فمَن قال اليوم أنّه ينتمي إلى كنيسة القدس، يجب أن يُنمّيَ في نفسه إحساسًا بجميع إخوته المسيحيّين الذين جاوروه في المكان والزمان، بالخصومات تارة وبالأخوّة تارة أخرى، ولكنّهم رفعوا دائمًا مثله التسبيح للربّ يسوع المسيح نفسه القائم من بين الأموات، بعد أن تألّم ومات، ليخلّص كنيسة القدس وجميع كنائس العالم، بل العالم كلّه. ولهذا، فإذا أردنا أن نقدّم تاريخ كنيستنا الأورشليميّة اللاتينيّة على حدة، فإنّنا نعتبر، في الوقت نفسه، أنّ تاريخ كلّ كنيسة في القدس هو تاريخنا أيضًا. وكلّ حضارة مرّت عبر القرون بأرضنا المقدّسة هي حضارة كلّ ابن للأرض المقدّسة[2].

---

١ ـ يوحنا، ١٧: ١١.

٢ ـ أحد كهنة البطريكيّة اللاتينيّة الأورشليميّة، في كتاب: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق (بيروت،١٩٩٧)، ٢: ٢٤٩.

ويعتبر بعض مفكّري الكنيسة اللاتينيّة الأورشليميّة[1] أنّ كنيسة القدس الأولى، وهي الكنيسة الأمّ لجميع الكنائس، قد تكوّنت من الرسل أنفسهم وممَّن كان معهم من المؤمنين. فبعد صعود يسوع المسيح، ورد في سفر أعمال الرسل: "رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يُقال له جبل الزيتون، وهو قريب من أورشليم على مسيرة سبت منها. ولمّا وصلوا إليها، صعدوا إلى العلّية التي كانوا يقيمون فيها. وهم بطرس ويوحنا، ويعقوب وأندراوس وفيليبس وتوما، وبرتلماوس ومتّى، ويعقوب ابن حلفى وسمعان الغيور، فيهوذا بن يعقوب. وكانوا يواظبون جميعًا على الصلاة بقلب واحد، مع بعض النسوة، ومريم أمّ يسوع، ومع إخوته[2]".

وبعد العنصرَة[3]، أخذ عدد المؤمنين ببشارة الخلاص يتكاثر. ويصف سفر أعمال الرسل هذه الجماعة المسيحيّة الأولى بهذا الكلام:

> وكانوا يواظبون على تعليم الرسل وكسر الخبز والصلوات... وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كلّ شيء مشتركًا بينهم، يبيعون أملاكهم وأموالهم، ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كلّ منهم، يلازمون الهيكل كلّ يوم بقلب واحد ويكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام بابتهاج وسلامة قلب، يسبّحون اللّه وينالون حظوة عند الشعب كلّه. وكان الربّ كلّ يوم يضُمُّ إلى الجماعة أولئك الذين ينالون الخلاص[4].

---

١ ـ كلداني الأب د. حنا من كهنة البطريركيّة اللاتينيّة، المسيحيّة المعاصرة في الأردن وفلسطين (عمان، ١٩٩٣)، موجز عنه في كتاب: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق (بيروت،١٩٩٧) ٢: ٢٥١ وما يليها.

٢ ـ رسل، ١: ١٢ ـ ١٤.

٣ ـ العَنْصَرَة: هو عيد تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ، يقع بعد عيد الفصح بخمسين يومًا. أمّا العنصرة عند اليهود فهو عيد تذكار نزول الشريعة في طور سيناء. واللفظة عبرانيّة معناها "اجتماع" أو "محفل".

٤ ـ رسل، ٢: ٤٢ ـ ٤٧.

وكان هؤلاء المؤمنون الأوّلون من اليهود الذين آمنوا بيسوع المسيح. وكانوا يجمعون بين تمسّكهم بشريعة موسى وإيمانهم بيسوع المسيح. فيؤدّون الصلاة في الهيكل مثل سائر الشعب، ويلتزمون بالختان وبسائر فرائض الشريعة الموسويّة. ولهذا نرى أنَّ السلطات الرومانيّة ف هذه الحقبة، إذا ما بلغتها مخاصمات بين المتنصّرين من اليهود وسائر مواطنيهم، رتها خلافات يهوديّة داخليّة، لا شأن لها فيها. هذا كان، على سبيل المثال، موقف الوالي الرومانيّ "غاليون" في "آخائية"، حتّى اشتكى اليهود على بولس. فقد قال لهم الوالي الرومانيّ:

> لو كانت المسألة مسألة جرم أو جناية قبيحة، لاستمعت إليكم كما يقضي الحقّ. ولكن، لمّا كان الجدل في الألفاظ والأسماء وفي شريعتكم، فانظروا أنتم في ذلك، لأنّني لا أريد أن أكون قاضيًا في هذه الأمور[1].

المُقَاوَمَةُ اليَهُودِيَّة

تعرَّض المؤمنون في هذه الكنيسة الأولى إلى المقاومة من قِبَل مواطنيهم اليهود، كما تعرَّضوا أيضًا للضربات الخارجيّة.

فعندما أمر عظيم الكهنة اليهود بسجن الرسل، فُتحت أبواب السجن بشكل غريب، ما زاد في عدد الأتباع والمؤمنين[2]. ومع ازدياد الإقبال عليهم، عيّن الرسل سبعة معاونين لهم هم: إسطفانس، وفيلبّس، وبروخورس، ونيقانور، وطيمون، وبرمناس، ونيقلاوس[3]. وأصبح أحد هؤلاء: إسطفانس، أوّل شهداء المسيحيّة إذ رجمه اليهود إثر

---

١ ـ رسل ١٨: ١٤ ـ ١٧.

٢ ـ أعمال الرسل، ٥: ١٢ ـ ٢١.

٣ ـ أعمال الرسل، ٦: ٥ ـ ٦.

خطبته المدافِعة عن الدين المسيحيّ أمام عظيم الكهنة بخلال اعتقاله. وعقب ذلك اضطّهاد شديد على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتّت المسيحيّون جميعًا، ما عدا الرسل، في نواحي اليهوديّة والسامرة[1]. ذلك أنّ المجتمع الأورشليميّ المسيحيّ الأوّل لم يكن حاسمًا بالنسبة لبعض الآراء اليهوديّة، فراح هؤلاء يعارضون أعمال التبشير التي كان يقوم بها بولس ورفاقه بين الوثنيّين. وبلغت معارضتهم حدّ الحرب العقائديّة، إذ راحوا يتتبّعون بولس في آسية الصغرى وبلاد اليونان داعين المسيحيّين من أصل يهوديّ إلى الانتقاض على بولس، والذين من أصل وثنيّ إلى وجوب الاختتان وحفظ السبت وسوى ذلك من فرائض العهد القديم. ويبدو أنّ أمر هؤلاء قد استشرى بشكل خطير، ما أوجب على بولس إرسال رسائله إلى كنائس المنطقة، ساعيًا إلى تحرير المسيحيّة من تلك الاعتبارات اليهوديّة الأصوليّة. فقد اعتبر غلاة "النصارى" ـ أي أولئك اليهود المتنصّرون من بني إسرائيل، بولس مرتدًّا، وكفّروه، ما جعل بولس يعتبر أولئك النصارى في رسائله: "الإخوة الكاذبين". وفي رسائله الكلاميّة إلى الغلاطيّين وإلى الكورنثيّين وإلى الرومانيّين، يتصدّى بولس "للنصرانيّة" المحافِظة التي تريد إقامة التوراة والختان مع الإنجيل والعماد، ولسان حاله أنّ "الخلاص والتبرير بالإيمان بالمسيح وبالإنجيل، لا بأعمال الشريعة"، فقد نسخ المسيح الشريعة بصليبه. وقد جاء في رسالته إلى الغلاطيّين: "الإنسان لا يبرّر بأعمال الشريعة، بل بالإيمان بيسوع المسيح، إذ ما من إنسان يبرّر بأعمال الشريعة[2]". ويقول في رسالة أخرى حمل عبرها على "أهل الشرّ" و"أهل البتر" ـ أي الختان: "في كلّ شيء لا أرى سوى

---

١ ـ أعمال الرسل، ٨: ١ ـ ٢.

٢ ـ رسالة بولس إلى أهل غلاطية، ٢: ١٦، وفي رسائل بولس إلى أهل روما مواقف مماثلة، وأخرى تحذّر من الشقاق الذي يحاول هؤلاء "النصارى" من اليهود أن يثيروه بين المسيحيّين، ويدعو إلى الابتعاد عنهم، "فإنّ أمثال أولئك لا يعملون للمسيح ربّنا، بل لبطونهم، ويضلّلون القلوب بمعسول كلامهم وتملّقهم". الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس، ١١: ١٣ ـ ١٥.

أقذار... حتّى أربح المسيح وأجدني فيه، لا على برّي الذي من الشريعة، بل على البرّ الذي بالإيمان بالمسيح؛ البرّ الذي من اللّه، القائم على الإيمان[1]". ويقول بولس للكورنثيّين، في ردّ عنيف ضدّ "النصارى" من بني إسرائيل الذين طعنوا في سيرته وفي دعوته وفي رسوليّته، متستّرين خلف بطرس، ومعتمدين على أسلوب الحكمة في تقديم معتقدهم: "لو جاءكم أحد يدعو بيسوع آخر لم ندعُ به، أو نلتم روحًا آخر غير الذي نلتموه، أو بشارة غير التي قبلتموها، لاحتملتموه أحسن احتمال، ولكنّي أحسب أنّي لست أقلّ شأنًا من أولئك الرسل الأكابر[2]" ... "إنّ هؤلاء القوم رسلٌ كذّابون وعملة مخادعون يتزيّون بزيّ رسل المسيح. ولا عجب فالشيطان نفسه يتزيّا بزيّ ملاك النور، فليس بالغريب أن يتزيّا خدمه بزيّ خدم البرّ. ولكنّ عاقبتهم تكون على قدر أعمالهم[3]".

يقول لنا سفر أعمال الرسل إنّ بولس الرسول عندما رجع من بلاد اليونان لزيارة أورشليم، وكانت آخر زيارة له، عرّج على صور فوجد فيها كنيسة تضمّ أعضاء من رجال ونساء وأولاد، وقد أقام بينهم سبعة أيّام، وقد حذّره مسيحيّو صور من الذهاب إلى أورشليم لأنّهم كانوا يوجسون خيفة عليه، فتضرّعوا إليه ليظلّ عندهم. وعندما شيّعوه إلى الشاطئ ليستقلّ السفينة، ركعوا على الرمال وصلّوا من أجله[4]. وقد تعرّض بولس في هذه الحقبة لمحاولة الاغتيال من قِبَل اليهود في أورشليم، فهرّبه الإخوة إلى قيصريّة، ثمّ رحّلوه إلى طرسوس، مسقط رسه، حيث أقام بضع سنوات. وكان الذين

---

١ ـ الرسالة إلى أهل فيليبي، ٣: ٨ ـ ٩.

٢ ـ الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس، ١١: ٤ ـ ٥.

٣ ـ الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس، ١١: ٤ ـ ٥. وفي رسائل أخرى لبولس إلى أهل روما مواقف مماثلة، كما ذكرنا سابقًا. الرسالة إلى أهل روما، ١٦: ١٧ ـ ١٨.

٤ ـ أعمال الرسل، ٢١: ٤ ـ ٦.

تشتّتوا بسبب الضيق الذي وقع على معتنقي المسيحيّة إثر استشهاد إسطفانس، قد انتقلوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية، حيث راحوا يحاولون إقناع اليهود بالإيمان بأنّ يسوع هو المسيح. وكان هؤلاء، باختلاطهم مع اليونانيّين، يحاولون تبشيرهم أيضًا، وقد آمن من هؤلاء، على ما يبدو، عدد لا بأس به، ما جعل كنيسة أورشليم توفد إلى أنطاكية برنابا لرعاية هؤلاء. ولمّا رأى برنابا شدّة الإقبال تلك على الإيمان بالمسيح، سارع إلى طرسوس يبحث عن بولس، واصطحبه إلى أنطاكية، حيث راحا يعملان معًا في تعليم الناس. وهكذا نشأت الكنيسة الأنطاكيّة بعد كنيسة أورشليم، حيث عُرف أتباع الدين الجديد، لأوّل مرّة، بالمسيحيّين[1].

الاضطِهَادُ الرُّومانيّ وأعمَالُ بطرُس وبُولُس

في سنة ٧٠، لمّا دمَّر الرومان أسوار أورشليم، لجأ المسيحيّون إلى مدينة PELLA، وهي "طبقة فحل" في شرق الأردن. وأصبحت أنطاكية العاصمة الوحيدة للعالم المسيحيّ يومذاك، وتمتّعت لبعض الوقت بمقدار معيَّن من السلطة على الأبرشيّات، المجاورة على الأقلّ[2]. وقد اعتبر مؤرّخون أنّه بعد استشهاد بطرس، خلفه، في الشرق، "أفوذيوس" الذي لم تحفظ المدوّنات عنه الشيء الكثير. إلاّ أنّ التقليد يفيد بأنّ الخليفة الأوّل لبطرس قد استُشهد هو الآخر في عهد نيرون. ثمّ خلف بطرس بعد أفوذيوس إغناطيوس ثيفوريوس (٦٤ ـ ١٠٧) الذي في عهده قضى تيطس على ثورة اليهود في فلسطين، مدمّرًا الهيكل في أورشليم في السنة ٧٠، وقد خُيّل للرومان أنّهم بذلك قضوا على اليهود والمسيحيّين معًا، وكان الرومان، حتّى ذلك الحين، لا يزالون

---

١ ـ أعمال الرسل، ١١: ٢٢ ـ ٢٦.

٢ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، دار الثقافة (بيروت،١٩٥٨) ١: ٣٧٠ ـ ٣٧١.

يخلطون بين الديانتَين في أحيانًا. وحدث الاضطهاد العنيف سنة ٩٥، في عهد دوميتيانس أخي تيطس وخليفته (٨١ ـ ٩٦)، فقد جاء ليجبي ضريبة الهيكل من اليهود، ما أدّى إلى التفتيش الدقيق عن المسيحيّين وتدوين أسمائهم وإكراههم على دفع ضريبة الهيكل وإرسالها إلى صندوق جوبيتير في روما. وفي سنة ٩٩ طبّق الأمبرطور تريانس القانون الذي كان أصدره سلفه نيرون، والذي اعتبر أنّ التديّن بالدين المسيحيّ هو خروج على القانون، وأنّه ليس على السلطات أن تفتّش عن المسيحيّين فإنّ مَن يُعلن من هؤلاء أنّه ليس مسيحيًّا يُعتبر بريئًا ومَن يصرّ على مسيحيّته يُدان ويُعدم[١].

وفي عام ١٣٥، عاد الأمبراطور الرومانيّ هدريانُس ودمَّر القدس، وقضى على كلّ وجودٍ يهوديّ فيها، حتّى أنّه بدّل اسمها بإسم رومانيّ جديد، وأصبحت تُعرف بإسم إيلياء AELIA CAPITOLINA، ومنع إقامة اليهود فيها، يوم كانت روما لا تفرّق بين يهوديّ ومسيحيّ كما سبق أن ذكرنا. ومع ذلك، فإنّنا نجد في الحقبة نفسها جماعة من اليهود المتنصّرين يقيمون في جبل صهيون خارج أسوار المدينة. وأُطلق على تلك الجماعة اسم النصارى نسبةً إلى يسوع الناصريّ. وكان أوّل أسقف لهم الرسول يعقوب الصغير المعروف بأخي الربّ والذي استُشهد عام ٦٢ في القدس. ثمّ خلفه سمعان ابن عمّه واستُشهد هو أيضًا في عهد نيرون عام ١٠٧، ذلك أنّ اليهود كانوا قد أثاروا الشغب على "النصارى" في مدن فلسطين تلك السنة، ووشى بعضهم بأسقف أورشليم سمعان، فقالوا "إنّه مسيحيّ من سلالة داود" فأمر حاكم فلسطين الرومانيّ بتعذيب سمعان، وكان طاعنًا في السنّ، وأمر بعد ذلك بصلبه[٢]. واستمرّت هذه الجماعات

---

١ - راجع: CALLEWAERT C. DANS REVUE HISTORIQUE ECCLESIASTIQUE, 1901, PP. 771- 797; 1902, PP. 5- 15, 324 - 348, 607 - 615.

٢ - EUSCHIUS, *HIST.ECC.*, IV, 22.

اليهوديّة المسيحيّة حتّى القرن الرابع. ثم تبدّدت، إمّا فيالفِرَق والبِدَع، وإمّا في زخم الكنيسة القادمة من الأمم، والتي انطلقت بعد دمار القدس عام ١٣٥[١].

وذكر باحثون أنّ الرسل كانوا يتوجّهون في بشارتهم إلى اليهود أوّلاً، فإذا ما رفض اليهود البشارة توجّهوا إلى الوثنيّين. ونجد بطرس الرسول يتوجّه منذ البداية إلى الوثنيّين. وأوّل مَن بشّره هو القائد الرومانيّ قرنيليوس مع جميع أهل بيته[٢]. وبعد دمار القدس عام ١٣٥، كان أسقف القدس يحمل اسمًا لاتينيًّا وهو مرقس، أوّل أسقف للكنيسة القادمة من الوثنيّين. وخلفه على الكرسيّ الأورشليميّ ١٢ أسقفًا يحملون اسمًا لاتينيًّا مثله[٣].

بينما نجد في أعمال الرسل ما معناه أنّ بولس، هو الذي كان أوّل مَن اقتنع بوجوب تحرير المسيحيّة من الموسويّة. وكذلك فعل برنابا، اليهوديّ القبرصيّ الذي اهتدى إلى المسيحيّة، ورافق بولس في تبشيره. وعندما بلغ الفرّيسيّين وسواهم من المتنصّرين اليهود في أورشليم مضمون دعوة بولس وبرنابا، بدأ صراع شديد بين الفئتَين بعد عودة الرسولَين من رحلتهما الأولى بين الأمميّين في "المشرق" فتقرّر الاحتكام إلى مجلس الرسل والكهنة الأساقفة في أورشليم. فكان مؤتمر الرسل هناك سنة ٤٩. وقد خرجت نظريّة بولس منتصرة بفضل تأييد بطرس، الذي اقتنع بوجوب تحرير المسيحيّة من الموسويّة، وتأييد يعقوب، وأسقف أورشليم، أمّ الكنائس[٤]. وقد حرّر ذلك المؤتمر المسيحيّ الأوّل المسيحيّين الأمميّين من الشريعة والختان، لكنّه ترك

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق.

٢ ـ راجع رسل، الفصل ١٠.

٣ ـ كلداني، مرجع سابق.

٤ ـ راجع: أعمال الرسل، ١٥: ٥ ـ ٢٣.

النصارى من بني إسرائيل أحرارًا في إقامة التوراة والإنجيل معًا، والعماد والختان معًا، والسبت والأحد معًا[١]. ولقد كان انتصار المسيحيّة المحرّرة من اليهوديّة، انتصارًا بالتراضي، علمًا بأنّ هذا التراضي ينقذ روح المشاركة في الكنيسة. وقد بقي الجوهر سالمًا: فسواء كان ختان أم لا، لا يخلص المسيحيّون إلاّ بالإيمان وبنعمة المسيح[٢]. بيد أنّ غلاة المتنصّرين من بني إسرائيل، لم يغفروا أبدًا لبولس دعوته لتحرير المسيحيّة من الموسويّة. وهكذا كان مؤتمر الرسل سببًا غير مباشر لانقسام أهل الإنجيل إلى فئتَين: فئة "النصرانيّة" من بني إسرائيل، وفئة "المسيحيّة" المهتدين من الأمميّين. وقد ظهرت يومذاك بدعة الأبيونيّين[٣] EBIONAIOI الذين تفرّعوا عن كنيسة أورشليم، وتفرّقوا معلّمين أنّ المخلّص هو ابن يوسف، وأنّ بولس مرتدّ عن الدين القويم، متمسّكين بالناموس، وكانوا يجعلون في صلواتهم أورشليم قبلة لهم. بينما تكتّل النصارى حول يعقوب، وانتسب المسيحيّون إلى بولس. وبالرغم من هذا الفارق المعتقديّ بين "النصارى" و"المسيحيّين"، وما سينتج عن هذا الخلاف في المعتقد من تباين وانقسام، فقد درج العرب في ما بعد على تعميم تسمية النصارى على جميع أتباع يسوع. هذا الخطأ الشائع مقتصر على الكتابات العربيّة، نقصد الكتابات باللغة العربيّة كائنًا مَن كان كاتبها، وقد أضحى من الصعب تصحيحه.

إثر ذلك، قام بطرس بتعميد أوّل مجموعة من الوثنيّين باسم يسوع المسيح، وذلك في قيصريّة. وكانت ردّة فعل الأتباع الأوائل من أصل يهوديّ، في أورشليم،

---

١ ـ راجع: أعمال الرسل، ١٠: ١؛ ١٠: ٢٨ و٣٨؛ ١١: ٢٠ ـ ٢١؛ ١٥: ١ و٥؛ ١٥: ٤ ـ ٢٩.

٢ ـ راجع، أعمال الرسل، ١٥: ٩ و١١.

٣ ـ يختلف الباحثون في أصل التسمية، فينسبه بعضهم إلى أبيون EBION على أنّه المؤسّس، ويقول آخرون بأنّه مشتقّ من "أبيونيم" العبريّة، ومعناها الفقراء، وبأنّه مأخوذ من الآية: "طوبى لكم أيّها المساكين، فإنّ لكم ملكوت اللّه" لوقا، ٦: ٢٠؛ متّى، ٥: ٣.

عنيفة، ضدّ إقدام بطرس على "دخوله إلى أناس قلف وأكله معهم". ولكنّ بطرس أخبر هؤلاء عن الرؤيا التي أوحى له الله من خلالها بأن يعمّد الوثنيّين. "فلمّا سمعوا ذلك، هدأوا ومجّدوا الله وقالوا: قد وهب للوثنيّين أيضًا التوبة التي تؤدّي إلى الحياة[١]".

وفي الخلاصة، فإنّ هويّة كنيسة القدس هي هويّة الجماعة المذكورة في سفر أعمال الرسل، وهي جماعة اليهود النصارى. وقد حاولت هذه الجماعة أن تبقى في بداية الأمر متّحدة بالديانة اليهوديّة، ولكنّها انفصلت عنها في ما بعد، وأصبح لها معابدها وأماكن صلاتها. واضطرّت إلى إقامة صلواتها في الخفاء خوفًا من الاضطهاد، ولهذا لجأت إلى استخدام الرموز في شعائرها الدينيّة. وزال أثر هذه الكنيسة الأولى في القرن الرابع تقريبًا. وخلفتها كنيسةٌ تكوّنت من العناصر المختلفة من أهل البلاد ومن الفاتحين من الرومان. وكان من بين المتنصّرين من الرومان في القرن الثاني، الفيلسوف والقدّيس الشهيد يسطينس، وهو رومانيّ من مدينة نابلس FLAVIA NEAPOLIS، وهو الذي وجّه كتابه في الدفاع عن المسيحيّة إلى الأمبراطور أنطونيوس (١٣٨ ـ ١٦١)، ثمّ إلى خلفه مرقس أوريليوس (١٦١ ـ ١٨٠)[٢].

كان لوجود بطرس وسائر الرسل في أورشليم ميّزة خاصّة، إذ مكّن هذه الكنيسة الأولى من أن تكون مركزًا منظّمًا، فالرسل هم الذين أقاموا الشمامسة، أمّا الشيوخ الذين يرد ذكرهم في مدوّنات تلك الحقبة، خاصّة في سفر أعمال الرسل[٣]، فهم الذين

---

١ ـ أعمال الرسل، ١١: ٨.

٢ ـ كلداني، مرجع سابق.

٣ ـ راجع: الكتاب المقدّس، العهد الجديد، طبعة دار المشرق (بيروت،١٩٩١) ص ٣٧٠؛ وراجع: أعمال الرسل، ٢:١؛ ١:٣١؛ ٢:١٤؛ ٥:٣؛ ٥:٢٩؛ ٩:٣٢؛ ١٥:٧؛ ٤: ٣٣ ـ ٣٧؛ ٥: ١٢؛ ٥: ١٨؛ ٥: ٤٠؛ ٩: ٢٧؛ ٨: ١٤؛ ٩: ٣٢؛ ١١: ١٠؛ ١١: ٢٧ ــ ٣٠؛ ١٥: ٢؛ ١٥: ٣٦؛ ١٣: ٣١؛ ٢٠: ١٨؛ ١١: ٣٠؛ ٢١: ١٨؛ ١٢: ١٧؛ ١٥: ١٣.

أقامهم بولس للاضطّلاع بأعباء الكنائس في غيابه، وهكذا يُفترض بشيوخ أورشليم الذين كانوا حول يعقوب الرسول إبن حلفا المعروف بيعقوب الصغير، رئيس كنيسة أورشليم، الذي تعزى إليه رسالة يعقوب، وقد استُشهد رجمًا سنة ٦٢. ولا يعني هذا أنّ "الأخوة" العاديّين لم يكن لهم أيّ عمل، سواء كانوا أصحاب رتب أم لا، فقد كانوا يشاركون في اختيارات هامّة، ونرى، على سبيل المثال أنّ مجمع أورشليم قد اختُتم بقرار من الروح القدس، بإجماع من الكنيسة كلّها[١].

خفّ الاضطهاد الرومانيّ للمسيحيّين في عهد كركلاّ (٢١١ ــ ٢١٧) خليفة سويروس دون أن ينقطع تمامًا. واستمرّ الوضع على هذه النسبة من الأمان في عهود الأباطرة الذين خلفوا كركلاّ من الأسرة الشرقيّة. وسط هذه المهادنة، استعادت كنيسة أورشليم بعض نشاطها. وأنشأ فيها أسقف قيصريّة قبدوقية ألكسندروس مكتبة جمعت أهمّ ما صُنّف في الدين المسيحيّ، وما جُمع من وثائق ورسائل في هذا المضمار. وأضحت مكتبة أورشليم المرجع الأساسيّ للتاريخ الكنسيّ لتلك الحقبة. وكان ألكسندروس هذا قد ساس كنيسة أورشليم بين سنة ٢١٢ وسنة ٢٥١ نيابة عن أسقفها الأصيل القدّيس زقيبسوس بعد أن شاخ وعجز عن القيام بأعباء الرسالة. وفي زمن سياسة ألكسندروس لكنيسة أورشليم، ازدهر حجّ المسيحيّين إلى الأماكن المقدّسة بشكل علنيّ، ما يفيد عن نسبة جيّدة من الأمان الذي شهده المسيحيّون لبعض الوقت. ومن دلائل هذا الاستقرار النسبيّ نشوء مدرسة قيصريّة فلسطين التي أسّسها أوريجانوس حوالى سنة ٢٣١، وكان لتلك المدرسة أثر فعّال في انتشار المسيحيّة في فلسطين وجوارها[٢].

---

١ ـ أعمال الرسل، ١٥: ٢٢ ـ ٢٣ و٢٨.

٢ ـ راجع: . EUSÈBE, HIST. ECC., IV, 19, 27; PATROLOGIA GRAECA, VOL. 10, COL. 1049 - 1105

وعادت الكنيسة الناشئة لتمرّ في حقبة اضطهاد عنيفة من قِبَل السلطات الرومانيّة، خاصّة عندما حرّم داقيوس[1] المسيحيّة تمامًا. حتّى أنّ كبار مؤرّخي الكنيسة يقولون بأنّ داقيوس "حاول محو اسم يسوع"[2]. وكان من جملة مَن استُشهدوا في تلك السنة، أسقف أورشليم ألكسندروس[3]. وجاء الاضطّهاد الأعظم الذي شهدته المسيحيّة في العهود الرومانيّة كافّة، نتيجة أمر الأمبراطور ديوقليتيانس (٢٤٥ ـ ٣١٣) الذي "صدر في الثالث والعشرين من شباط (فبراير) سنة ٣٠٣ وقضى بمحو كنائس المسيحيّين وحرق كتبهم وطرد كلّ مَن يشغل منهم وظيفة مدنيّة وعسكريّة من منصبه، وأمر بفرض جميع أنواع العقوبات باستثناء الإعدام. ولكن حتّى الإعدام طُبّق على مقياس واسع"[4]. وكان أوّل شهداء فلسطين في اضطهاد ديوقليتيانوس، بروكوبيوس القارئ، الذي كان يقرأ الأسفار والصلوات في كنيسة بيسان جنوب طبريّة، وتبعه زكّا شمّاس كنيسة جدَرة في أرض الأردن، وألفيوس قارئ كنيسة قيصريّة[5]. أمّا أشهر شهداء كنيسة أورشليم في السنة التالية: ٣٠٤، فكان تيموتاوس[6] وأغابيوس وتقلا في غزّة، ورميلوس أبوذياكون في اللدّ، وألكسندروس الغزّاوي، وهم من أشهر الشهداء الثمانية الذين نالوا الإكليل في تلك السنة[7]. كما نُفّذ حكمٌ بالأشغال الشاقّة على سلوانس كاهن غزّة ورفاقه في وادي عربة. كما نالت ثيودوسية الصوريّة إكليل الشهادة في

---

١ ـ **داقيوس** DECIUS (٢٠١ ـ ٢٥١): قائد رومانيّ، نادى به جنوده أمبراطورًا بعد انتصاره على القوط، حكم ٢٤٨ ـ ٢٥١.

٢ ـ ORIGÈNE, *HOMEL*, IX, IN, JOSUAM.

٣ ـ رستم د. أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، المكتبة البولسيّة (بيروت،١٩٨٨) ١: ١٠٢ ـ ١٠٣.

٤ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١، ص ٣٦٨.

٥ ـ EUSÉBIUS, *MARTYR. PALEST.*, I, II.

٦ ـ **تيموتاوُس**: هو غير القدّيس تيموتاوس تلميذ بولس ورفيقه الذي استُشهد نحو ٩٧.

٧ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ١: ٣٦٨؛ EUSÉBIUS, BK. VIII, CH. 12, COL. 1, 2.

قيصريّة فلسطين بعد أن مشّط الجند جسدها بأمشاط حديديّة. وفي هذه الحقبة استُشهد بولس الغزّاوي، إضافة إلى أنطونيوس وزبينا وجرمانوس والفتاة البيسانيّة أوناثا، ثمّ استُشهد بامفيلوس مع أحد عشر شهيدًا بينهم فالانسيوس الشيخ شمّاس إيليه وبورفيروس الخطّاط[1]. ودامت الاضطهادات حتّى عهد الأمبراطور قسطنطين الذي تنصَّر في عام ٣١٣، والذي جعل من الديانة المسيحيّة الديانة الرسميّة للأمبراطوريّة. ونعمت كنيسة القدس بالسلام منذ القرن الرابع.

في هذه الحقبة، شيَّدت والدة الأمبراطور قسطنطين، القدّيسة هيلانة[2]، عددًا من الكنائس، أشهرها كنيسة القيامة وكنيسة المهد.

وشهدت كنيسة القدس في الحقبة نفسها حركة ازدهار في الحجّ وفي النسك والحياة الرهبانيّة. فامتلأت صحراء غزّة والصحراء الشرقيّة حول بيت لحم والقدس وغيرها من المناطق بالنسَّاك والرهبان. وما زال بعض أديرة ذلك العصر قائمًا حتّى اليوم، مثل دير مار سابا ومار ثيودوسيوس شرق بيت لحم، ومار جاورجيوس في وادي القلت في شرق القدس. ومن بينها أديرة لاتينيّة على جبل الطور نشأت مع الراهب

---

١ - EUSÉBIUS, *MARTYR. PALEST.*, IV - VII.

٢ - **القدّيسة هيلانة (٢٤٧ ـ ٣٢٧)**: والدة الأمبراطور قسطنطين، المقول إنّها رهاويّة الأصل إبنة أحد الكهنة المسيحيّين السريان، وإنّه كان لها تأثير فعّال في ميل الأمبراطور إلى المسيحيّة، وتُروى عنها حكايات مفادها أنّه عندما قصدت الأراضي المقدّسة للبحث عن خشبة الصليب سنة ٣٢٤، وبعد أن وُفِّقت في العثور على الأثر المقدّس في ١٤ أيلول (سبتمبر) من تلك السنة، وأصبح هذا اليوم تذكارًا سنويًا تعيّد فيه الكنيسة ويحيي المسيحيّون احتفالات رمزيّة يتخلّلها إشعال النيران تمثّلاً بالطريقة التي راسلت من خلالها هيلانة ابنها قسطنطين عبر إشعال النيران من تلّة إلى تلّة بين القدس والقسطنطينيّة، أمّا عيد القدّيسة هيلانة ففي ١٨ آب (أغسطس). والمقول إنّ هيلانة قد أوصت ابنها قسطنطين بزيارة القدس تبرّكًا. وتنفيذًا لرغبة والدته، قام الأمبراطور بعد موتها سنة ٣٢٧ بتنفيذ الوصيّة، ويرى بعض المؤرّخين أنّ قسطنطين هو الذي بنى كنيسة القيامة وكنيسة المهد ـ راجع: حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج١، ص ٣٨٧ ـ وجاء في مصنّف أفسابيُس عن حياة قسطنطين وأعماله أنّ "الفضل في المكان الذي صُلب فيه السيّد المخلّص والمكان الذي دُفن فيه جسده الطاهر يعود إلى مكاريُس أسقف أورشليم آنئذ" ـ رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ١: ١٨٧ ـ ١٨٨.

روفينس والقدّيسة ميلانيا[١]، وفي بيت لحم أسّس القديس هيرونيمُس[٢] بموازرة أخيه بولينيانوس والكاهن منصور ديرًا للرهبان. وقد رافق إيرونيموس وصحبه تقيّتان هما بولا PAULA وأستوكيوم EUSTOCHIUM، فشيّدتا في جوار المذود ببيت لحم، وبقرب الدير الأوّل، ديرًا آخر للنساء. وبينما ترأس إيرونيموس دير الرهبان، أشرفت بولا على دير الراهبات[٣]. وفي المدوّنات ذكرٌ لدير روفينوس للرهبان على جبل الزيتون الذي يعود إلى القرن الرابع[٤].

كَنِيسَـــةُ القُـــدُسِ والمُعتَقَد المُستَقيم

كانت كنيسة القدس تابعة منذ نشأتها لكنيسة قيصريّة[٥]. فنجد أنّه عندما استشرى الخلاف في مسألة عيد الفصح قبل نهاية القرن الثاني، تداعى في العام ١٩٨ أساقفة قيصريّة وأورشليم وصور وعكّا وعقدوا مجمعًا في قيصريّة برئاسة أسقفها ثيوفيلُس، عُرِف بمجمع قيصريّة فلسطين، أقرّوا "أنّ يوم الربّ هو أوّل أيّام الخلق والسبت

---

١ ـ القدّيسة ميلانيا أو ميليا MÉLANIE (٣٨٣ ـ ٤٣٩): سيّدة رومانيّة شريفة، وزّعت، بالاتّفاق مع زوجها بينيانس، ثروتها الوافرة على الفقراء، شادت الكنائس والأديرة وأنهت حياتها رئيسة لهذا الدير في أورشليم.

٢ ـ القديس هيرونيمُس أو إيرونيمُس JÉRÔME HIERONYMUS (حوالى ٣٤٧ ـــ ٤٢٠): من آباء الكنيسة، وُلد في دلماتيا (يوغوسلافيا)، تنسّك في شمال سورية ثمّ في بيت لحم، مؤرّخ ومفسّر للأسفار المقدّسة التي ترجمها بكاملها إلى اللاتينيّة وأصبحت النصّ المعتمد عليه في الكنيسة الغربيّة.

٣ ـ راجع: رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ١: ٢٩٤ بالاستناد إلى: HELM R., *HIERONYMUS ZUSATE IN EUSIBIUS CHRONIK*.

٤ ـ راجع: رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ١: ٢٨٩ و٢٩٧.

٥ ـ قيصريّة أو قيساريّة فلسطين: مدينة قديمة بناها هيرودوس الكبير ٤٠ ـ ٤ق.م. بين حيفا ويافا، مركز إقامة الحكّام الرومان، كرسيّ أسقفيّ كانت له الرئاسة على فلسطين، احتلّها العرب ٦٣٣، لم يبقَ منها اليوم إلاّ أنقاض؛ تجدر الإشارة هنا إلى أنّ كنيسة قيصريّة كانت متعلّقة ببطريركيّة أنطاكية.

آخرها"، ثمّ شرعوا بتعيين عيد الفصح، فأجمعوا على أن "يقع في يوم الربّ (الأحد) لأنّه اليوم الذي قام فيه الربّ"[1]. كذلك نجد أنّ كنيسة القدس كانت لا تزال أسقفيّة في عهد البابا قليستينس الأوّل (٤٢٢ - ٤٣٢) الذي دعا إلى مجمع محلّيّ عُقد في صيف سنة ٤٣٠ للبحث في تعاليم نسطوريُس، فاعتبرها غير قويمة، وكتب البابا بذلك إلى أساقفة الشرق وأوجب التراجع عن الضلال فورًا مهدّدًا بالقطع، فأيّد روما في موقفها أساقفة آسية وأورشليم والإسكندريّة[2].

منذ عام ٤٥١[3]، رُقِّيت كنيسة أورشليم إلى "كنيسة بطريركيّة" بفضل جهود البطريرك يوفنالس (٤٢٢ ـ ٤٥٨) في المجمع الخلقيدونيّ[4]. وبلغ عدد الكراسي الأسقفيّة في هذه الحقبة في فلسطين ٤٥[5]. وفي شرق الأردنّ ٣٠. ولكنّ عهد الازدهار لم يطل، إذ جاءت "ثورة السمرة" عام ٥٢٩ فكان قتلٌ ودمار[6].

---

١ - المطران ساويروس يعقوب، الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة، ١: ١٢١ - ١٢٢.

٢ - JAFFÉ - WATTENBACH, *REGESTA PONTIFICIUM ROMANORUM*, PP. 372 - 373.

٣ - نلاحظ أنّه قبل هذا التاريخ، كان مجمع نيقيا المنعقد سنة ٣٢٥ قد أقرّ لكنيسة "المدينة المقدّسة" ميزة شرفيّة.

٤ - قابل: كلداني، مرجع سابق، الذي ذكر أنّ جعل أسقفيّة أورشليم بطريركيّة قد حصل في مجمع أفسس سنة ٤٥١، مع أنّ مجمع أفسس قد عُقد سنة ٤٣١ في أفسس التي تقع اليوم أنقاضها بالقرب من سلجوق تركيا، بينما نجد في المراجع الأخرى (يتيم وديك ص١١٢) أنّ المجمع الخلقيدونيّ سنة ٤٥١ هو الذي اعترف لأسقفَي القدس والقسطنطينيّة بلقب "رئيس أساقفة"، وأنّ يوفنالس قد سعى في مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١ لرفع شأن كنيسة القدس فحمل أعضاء المجمع على الإعتراف باستقلالها عن كنيسة أنطاكية وجعلها بطريركيّة تضمّ مقاطعات فلسطين الثلاث، وقاعدتها قيصريّة وبيسان والبتراء.

٥ - إشتهر بين أساقفة كنيسة القدس في القرن الرابع من آباء الكنيسة **الأسقف يوحنّا، والأسقف القدّيس كيرلُس الأورشليميّ** (٣١٥ ـ ٣٨٦) الذي حارب بدعة آريوس فنُفي مرارًا، وترك مواعظ في التعليم المسيحيّ ألقاها على مَن كانوا يُعرفون بـ"جماعة الموعوظين".

٦ - كلداني، مرجع سابق.

قبل ذلك التاريخ، يبدو أنّه كان قد أصبح للرهبان القائلين بالطبيعة الواحدة وجودًا ملحوظًا في نطاق كنيسة أورشليم، فقد ذكرت الحوليّات أنّه لمّا عاد أسقف أورشليم يوبيلانيوس إلى أسقفيّته من المجمع الخلقيدونيّ سنة ٤٥١، وكان من الذين أيّدوا مقرّرات ذلك المجمع الذي حرّم أوطيخا، حاصره الرهبان المعارضون لمقرّرات المجمع الخلقيدونيّ، وخيّروه بين الموافقة على موقفهم من المجمع، أو الاستقالة والعزلة، فرفض. فأحاط الرهبان به من كلّ جانب وهدّدوه بالقتل. وإذ تمكّن من الفرار، اغتالوا سويريانوس أسقف بيسان... ما أدّى إلى سيامة أساقفة على فلسطين يقولون بالطبيعة الواحدة[١]. على أنّ مذهب الطبيعة الواحدة الذي انتشر في سائر الكنائس الشرقيّة، لم يتأصّل في الديار المقدّسة، ويرجع الفضل في ذلك إلى كبار الرهبان مثل القدّيس أفتيمُس[٢] وتلميذَيه القديسَين سابا[٣] وثاوذوسيوس[٤]، وأضحى دير القدّيس سابا القريب من القدس معقل المعتقد القويم ولعب دورًا واسعًا في حياة بطريركيّة القدس[٥].

ولمّا التأم مجمع في القسطنطينيّة في الثاني من أيّار (مايو) ٥٣٦ برئاسة البطريرك ميناس بطريرك القسطنطينيّة المستقيم الرأي وعضويّة أساقفة الكرسيّ

---

١ ـ رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ١: ٣٥٤، بالاستناد إلى: BARDY G., *LUTTES CHRISTOLOGIQUES*, IV, PP. 276 - 277; BARDENHEWER O., *GESCH. DER. ALTKIRCHLICHEN LIT*, IV, PP. 315 - 317.

٢ ـ **القدّيس أفتيمُوس الكبير** (٣٧٧ ـ ٤٧٣): وُلد في ملطيّة بتركيا، تنسّك في فلسطين حيث أسّس عدّة أديار قاومت المونوفيزيّة.

٣ ـ **القديس سابا** (٤٣٩ ـ ٥٣٢): تنسّك في فلسطين على القدّيس أفتيمُس، أنشأ بالقرب من القدس الدير المعروف باسمه، حارب الأوريجينيّة.

٤ ـ **القدّيس ثاوذوسيوس أو ثيودوسيوس الناسك** (٤٢٣ ـ ٥٢٩): راهب، وُلد في كبدوقية، تنسّك في فلسطين حيث أسّس ديرًا قرب بيت لحم.

٥ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص١١٢.

القسطنطينيّ وأساقفة الوفد الرومانيّ ووكيل بطريرك أنطاكية، مثّل بطريركيّة أورشليم وكيل بطريركيّ في ذلك المجمع الذي جرّد أنثيموس الفارّ من صلاحيّاته الروحيّة بما في ذلك صلاحيّات الكهنوت وخلُع وقُطع نهائيًّا، كما قطع ذلك المجمع أساقفة ورجال دين آخرين كانوا يقولون بالطبيعة الواحدة.

ومن الذين أدّوا قسطًا رائعًا من تثبيت ركائز بنيان الكنيسة عبر الزمن يوسيبيوس (٢٦٤ ـ حوالى ٣٤٩) إبن قيصريّة فلسطين وأسقفها وتلميذ أنطاكية، الذي يُعتبر المؤرّخ الكنسيّ الأوّل، وقد كان من أعظم المثقّفين في عصره، وضع عدّة مؤلّفات تاريخيّة، منها التاريخ الكنسيّ ECCLESIASTICAL HISTORY الذي يصف فيه بالتفصيل ظهور المسيحيّة وعلاقتها بالأمبراطوريّة. وقد كان يوسيبيوس طيلة حياته "صديقًا حميمًا لقسطنطين ومعجبًا به ومتحمّسًا له[1]". وكان يوسيبيوس في بداية أمره مدافعًا عن قضيّة آريوس، إلاّ أنّه في مجمع نيقيا الذي عَهد إليه قسطنطين بافتتاح جلساته، أدان زعيم الهراطقة. بعد يوسيبيوس بحوالى مئتَي عام وُلد مؤرّخ آخر في قيصريّة هو: بروكوبيوس PROCOPIUS الذي توفّي حوالى سنة ٥٦٣، بعد أن أرّخ الكنيسة في عصر يوسينيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥) الغنيّ بالأحداث. وقد صحب هذا المؤرّخ الكنسيّ الشهير، في شبابه، القائد الرومانيّ باليساريوس BELISARIUS في جميع حملاته في الشرق والغرب بوصفه أمينًا خاصًّا ومستشارًا قانونيًّا له. وقد أصبح في ما بعد عضوًا في مجلس الشيوخ. إلاّ أنّ هذا الذي أرّخ الكنيسة في تلك الحقبة الحرجة من التاريخ، لم يكن ملتزمًا في مسيحيّته. ذلك أنّه أرّخ في كثير من الأحيان وهو متحمّس لآلهة اليونان[2].

---

١ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ١: ٣٩٧.

٢ - H.B. DEWING, *PROCOPIUS*, 7 VOLS. (LONDON AND CAMBRIDGE MASS 1914 - 1940).

الفصلُ الثَّانِي

مِنَ الفُرسِ إلى الصَّلِيبيّين

الهَجمَةُ الفَارِسِيَّة والرِّدَّةُ الهِرَقلِيَّة؛ في ظِلِّ الإسلَام؛

أورشَليم القُدس في الحَقبَة الصَّلِيبيَّة؛

كَنيسَة أورشَليم فِي الحقبَة الصَّليبيَّة؛

يَومُ الرَّملَة؛ مَعركَةُ حطّين وسقُوط أورشَليم؛

بينَ ريكردوس وصلاحَ الدِّين؛

تأرجح وَضع القُدس بينَ الفرنجَة والمسلمين؛ في عَصرِ المَماليك.



الهَجمَةُ الفارِسِيَّة والرِدّةُ الهِرَقليَّة

سنة ٦١٣ احتلّ الفرس طرطوس وقيليقية، واتّجهوا جنوبًا نحو أورشليم ودخلوها عام ٦١٤ عنوة بعد حصار لم يدم أكثر من عشرين يومًا، وقتلوا حوالى ستّين ألفًا من المسيحيّين، وأسروا نصف هذا العدد، ودمَّروا الكنائس في القدس ومنها كنيسة القيامة، واعتقلوا البطريرك زخريّا واقتادوه إلى الأسر، واستولوا على عود الصليب. وبعد ثلاث سنوات واصل الفرس زحفهم جنوبًا فاحتلّوا مصر. ولم يعد في البلاد الشرقيّة إكليروس ولا كنيسة[1]. وبعد الاحتلال الفارسيّ، عادت الكنائس تدريجًا إلى الوجود، ولكن تحت طاعة الفرس الذين أصبحوا هم الذين يقرّرون عقد المجامع الكنسيّة بأمر من الشاه، ويقرّون طبيعة المسيح التي تُناسب سياسة الشاه ودولته، وهكذا أصبح القول بالطبيعة الواحدة هو القول المشروع بالنسبة إلى فارس[2].

إلاّ أنّ هذا الواقع لم يدم أكثر من خمسة عشر عامًا، ذلك أنّ انتصارات هرقل التي أدّت سنة ٦٢٨ إلى إبرام المعاهدة الشهيرة في التاريخ بينه وبين الفرس، وهي التي قضت بإعادة الحدود القديمة إلى ما كانت عليه بيَن الجبّارَين، وبإطلاق الأسرى، وبإرجاع الصليب المقدَّس إلى مهده. وقد "أدخل هرقل الصليب إلى المدينة المقدّسة في موكب مجلّل بمظاهر الأبّهة والفخر والهيبة، خشعت أمامه الرؤوس والقلوب. وقد رُفع

---

١ - THÉOPHANÉS A., 6101.

٢ - راجع: MARQUART, *OSTEUROPAEISCHE UND OSTASIATISCHE*, STREIFZUGE (LEIPZEG, 1903)

الصليب في مكانه وسط تلك الأجواء المعبِّرة"[1]. وعندما دخل هرقل إلى المدينة المقدّسة معيدًا عود الصليب، أمر اليهود بالابتعاد مسافة ثلاثة أميال عن المدينة احترامًا للرمز المقدّس[2]. وكان اليهود قد ناصروا الفرس ضدّ المسيحيّن بشكل سافر، ما جعل رهبان المدينة المقدّسة يسألون الأمبراطور الاقتصاص منهم، غير أنّ هرقل استجاب ليهود الجليل الذين أوفدوا إليه مَن رحّب به مقدّمين له الهدايا طالبين الأمان، فمنحهم تلك البراءة التي حملت خاتمه كما يقول بعض المراجع[3]. لكنّ هرقل لن يتمكّن من لجم غضبه عندما سيتطوّع اليهود لخدمة المسلمين والتجسّس لحسابهم والتواطؤ معهم في حربهم ضدّ البيزنطيّين، ما سيجعله يُصدر سنة ٦٣٤ أمرًا أمبراطوريًّا يقضي بوجوب عمادهم أينما كانوا وحيثما حلّوا، مؤكّدًا على الضرر والخطر على المسيحيّة والأمبراطوريّة جرّاء بقائهم على دينهم[4].

على أنّ محاولة هرقل إيجاد معتقد وسط بين المعتقدَين الأرثذوكسيّ والمونوفيزيّ، من خلال طرحه العقيدة القائلة بالطبيعتَين والقوّة أو المشيئة الواحدة في المسيح، قد أحدثت صراعًا جديدًا داخل الكنائس، تأثّرت به كنيسة القدس بشكل مباشر. وفي سنة ٦٣٣ لمّا عُقد في الإسكندريّة مجمع أقرّ الاتّحاد بين الأقباط والملكيّين على أساس الطبيعتَين والقوّة الواحدة، كان أوّل مَن احتجّ على اعتماد تلك العقيدة الراهب الملكيّ الدمشقيّ صفرونيُس الذي أصبح بطريرك القدس منذ ٦٣٤ حتّى وفاته حوالى سنة ٦٣٨، فنبّه البابا إلى ما في هذا التعليم الجديد من التباس وغموض وخطر على معتقد

---

١ - راجع: MICHEL LE SYRIEN, II: 427; SÉBEOS, PP. 90 - 91; THÉOPHANÈS A., 6020; VINCENT ET ABEL, PP. 191- 205; ANTIOCHUS LE STRATÈGE DANS: KOULAKOVSKY, P. 38.

٢ - THÉOPHANÈS A., 6120

٣ - EUTYCHIOS, *ANNALÈS*, PATR. GR., VOL. III, COL. 1089 - 1090.

٤ - راجع: BARDY G., *TROPHÈES DE DAMAS*, INTRODUCTION, PATR. OR., XV.

الناس. واطّلع هرقل على هذه المقاومة فأمر بعدم التحدّث في الموضوع العقائديّ. وإذ كان القدّيس صفرونيُس بطريرك القدس قد توفّي، فلم يُسمع في الشرق العربيّ احتجاجٌ ما، وبلغ البابا يوحنّا الرابع هذا القول فعدّه ضلالاً وبدعة جديدة. فأهمله هرقل ولم يعد يكترث له[1]. إلاّ أنّ إصرار بعض خلفاء هرقل على القول بتلك البدعة، وضغطهم على رؤساء كنائس الشرق للرضوخ لهم، نجد أنّ بطريركَي أنطاكية وأورشليم كانا قد قالا بالمشيئة الواحدة، فإنّ البابا مارتينُس الأوّل (٦٤٩ ـ ٦٥٣)، إثر مجمع اللاتران الذي عُقد في روما سنة ٦٤٦ قد أقام أسقف فيلادلفية (عمّان) وكيلاً بطريركيًّا على أبرشيّات كنيستَي أنطاكية وأورشليم، وأمره بخلع كلّ أسقف يصرّ على القول بالمشيئة الواحدة[2]. وعزّز البابا إجراءه برسائل رعائيّة وجّهها إلى المؤمنين في أبرشيّات أنطاكية وأورشليم. وقد دفع البابا مارتينُس الأوّل ثمن موقفه المستقيم هذا حياته شهيدًا، إذ إنّ خليفة هرقل كونستانس الثاني (٦٤٢ ـ ٦٦٨) قد أحضر هذا البابا القدّيس إلى القسطنطينيّة ليتلقّى تعذيبًا شديدًا نُفي بعده إلى القفقاس ربيع سنة ٦٥٥ حيث كانت وفاته.

في هذا الوقت، كانت نقطة التحوّل في تاريخ الشرق بمجيء الفتح الإسلاميّ عام ٦٣٨. وكان فتحًا مستقرًّا خلق أوضاعًا جديدة ما زالت باقية حتّى اليوم.

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص١٦١ ـ ١٦٢.

٢ ـ MANSI, X, COL. 806 - 822.

فِي ظِلِّ الإسلاَم

يعتبر بعض الباحثين في تاريخ كنيسة أورشليم أنّه من المعروف أنّ الحكم الرومانيّ تأثّر إلى حدّ بعيد بالثقافة اليونانيّة. وكانت الأمبراطوريّة واحدة. ولذلك فلمّا جاء العرب، عرّفوا المسيحيّين في الشرق جميعًا بإسم واحد ونسبوهم إلى روما، فأطلقوا عليهم اسم الروم [١]. إلاّ أنّنا لا نسلّم بهذا الرأي. ففي "العهد" الذي كتبه أبو عبيدة بن الجرّاح لأهل بعلبكّ عند سقوطها بيد العرب المسلمين قبل نهاية صيف ٦٣٥م.، جاء: "بسم اللّه الرحمَن الرحيم. هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبكّ رومِها وفرسها وعربها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها [٢]..."؛ وإذ لا خلاف حول أنّ بعلبكّ كانت مسيحيّة عند ذلك الفتح، فهذا يعني أن الفاتح قد ميّز بين الروم والفرس والعرب المسيحيّين، ونجد في مدوّنات أخرى كثيرة ما يفيد بأنّ العرب كانوا يُطلقون على المسيحيّين عند الفتح إسم "النصارى" و"أهل الكتاب" وليس إسم الروم الذي كان إنّما يُطلق على الروم منهم فقط.

لمّا تمَّ الانفصال بين شطرَي الأمبراطوريّة الرومانيّة في القرن الرابع، وكانت العاصمة غربًا روما وشرقًا بيزنطية أو القسطنطينيّة، برزت مع هذا الانقسام العصبيّتان الرومانيّة واليونانيّة على الصعيدَين السياسيّ والدينيّ معًا. وأمّا لغة الشعب الغالبة فكانت الآراميّة، أي السريانيّة، وهي اللغة التي نطق بها السيّد المسيح. ثمّ جانبتها اللغة اليونانيّة، وهي لغة الثقافة والحضارة. وأمّا الإدارة الرومانيّة فقد استعملت

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق.

٢ ـ حتّي، لبنان في التاريخ، طبعة فرنكلين (بيروت ـ نيويورك، ١٩٥٩) ص٢٩٢؛ عن: البلاذري، فتوح البلدان، طبعة دي غويه (ليدن، ١٨٦٦) ص١٣٠.

لغتها اللاتينيّة في الشؤون الإداريّة. ولمّا جاء العرب في القرن السابع، أخذت اللغة العربيّة تتقدّم شيئًا فشيئًا حتّى عمّت. وانحسرت القوميّات المختلفة بلغاتها في إطار الانتماءات الكنسيّة والعلوم اللاهوتيّة والطقوس الليتورجيّة [١].

وقع الصدام الأوّل بين الفاتحين العرب بقيادة يزيد، وجيش هرقل، في وادي العربة، جنوب البحر الميت، فكان النصر فيه ليزيد على سرجيوس سنة ٦٣٤، فاجتاح يزيد وعمرو القسم الجنوبيّ من فلسطين برمّته. وعُزلت القدس تمامًا عن البحر [٢]". وإذ قاومت القدس وقيساريّة في الجنوب، اللتان اصطبغتا بالصبغة الهلّينيّة، صمدت القدس حتّى سنة ٦٣٨ عندما اشترط سكّانها أن يكون تسليم المدينة للخليفة عمر بن الخطّاب بالذات [٣]. وإذ كان عمر في سورية، كتب إليه أبو عبيدة يُعلمه بأنّ أهل إيلياء الذين طال صبرهم (على الحصار) يطالبون بأن يكون الخليفة المصالح لهم، زار الخليفة عمر بيت المقدس (إيلياء)، وكتب لأهلها كتاب عهد. وقد اختلف المؤرّخون في ما إذا كان هذا الصلح قد جرى مع اليهود أو مع المسيحيّين، إلاّ أنّ المتّفق عليه عمومًا هو أنّه قد جرى مع المسيحيّين، وقد جاء في كتاب العهد:

> باسم اللّه الرحمَن الرحيم، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطّاب لأهل بيت المقدس. إنّكم آمنون على دمائكم وأموالكم، وكنائسكم لا تُسكن ولا تُخرب، إلاّ إن تحدثوا حدثًا عامًّا.

ودوّن مؤرّخون أنّه كان لزيارة عمر إلى بيت المقدس وقع في نفوس مسيحيّي المدينة لا يقلّ شأنًا عن وقعه في نفوس المسلمين، ونقل مؤرّخون محدثون [٤] عن

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق.

٢ ـ بولس جواد، التحوّلات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الاسلام، دار عودة، (بيروت، لا.ت.) ص ٨٦ بالاستناد إلى: حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ٦.

٣ ـ راجع: حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ١٢ ـ ١٣.

٤ ـ حتّي د. فيليب، صانعو التاريخ العربي، نشر دار الثقافة (بيروت،١٩٦٩) مرجع سابق، ٤٩.

ثيوفانس هذا الوصف:

دخل المدينة المقدّسة لابسًا ثوبًا رثًّا من وبر الجمل، وعلى محيّاه دلائل التقوى والورع. ثمّ طلب إلى أعوانه أن يروه هيكل اليهود الذي بناه سليمان لكي يؤدّي صلاته فيه. وعندما رآه رئيس الأساقفة صفرينوس صاح قائلاً: "هذا هو الرجس المخرّب الذي تكلّم عنه دانيال (١١: ٣١) واقفًا في المكان المقدّس". إلاّ أنّنا نشكّ في صحّة نسبة هذا القول إلى البطريرك صفرينوس، ونميل بشدّة إلى الاعتقاد بأنّه من قول حاخام اليهود، وذلك لأسباب عدّة أهمّها أنّ وجود صفرينوس في هيكل اليهود كان أمرًا مستحيلاً، فهو بطريرك كنيسة أورشليم التي لم يكن اليهود ليعترفوا به ولا بكنيسته، ثمّ إنّ المؤرّخين العرب قد دوّنوا حادثة يتناقض مفهومها كليًّا مع ما نُسب إلى البطريك صفرينوس، أمّا الرواية التي دوّنها المؤرّخون عن حادثة جرت أثناء زيارة الخليفة عمر بيت المقدس، فتقول: عندما كان رئيس الأساقفة يطوّف بالخليفة ليرى كنيسة القيامة حان وقت الصلاة، فقدّم له الأسقف سجّادة لكي يؤدّي عليها صلاته. فأبى الخليفة أن يصلّي في الكنيسة، خوفًا من أن يقوم أتباعه فيدّعوا ملكيّة المكان الذي صلّى فيه. وخرج إلى باحة الكنيسة وصلّى. وعلى البقعة التي صلّى عليها عمر بني مسجد يُعرف بمسجد عمر [١].

أمّا قيساريّة فقد كانت على اتّصال بالإمدادات البحريّة، ما جعلها تقاوم حتّى سنة ٦٤٠ إذ رضخت إثر حصار حادّ ضربه عليها معاوية [٢].

---

١ ـ المرجع السابق.

٢ ـ راجع: حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ١٢ ـ ١٣.

في التقسيم الإداريّ الأوّل الذي أحدثه المسلمون في سورية ولبنان وفلسطين، إذ جعلوا لهذه المنطقة عدّة حكومات عسكريّة سُمّيت "جندًا"، جعلوا مراكز هذه الحكومات بعيدة عن البحر لاتّقاء هجمات الأساطيل البيزنطيّة. فكانت تلك المراكز: دمشق وحمص وعكّا والأردنّ وقنسرين. وبذلك انتقل مركز الثقل السياسيّ في فلسطين من القدس إلى عكّا. رغم ذلك، ففي العهد الراشديّ كان مركز الخلافة في الحجاز: المدينة. وكان الخليفة يبايَع هناك، بينما نودي بمعاوية خليفة في إيلياء. وإيلياء هي نفسها أورشليم، وهي نفسها القدس. كان ذلك سنة ٦٦١ بعد أن حسم معاوية أمر الخلافة لنفسه، إثر الحرب الأهليّة الإسلاميّة على موضوع هذه الخلافة بينه وبين علي بن أبي طالب. وإذ جعل معاوية من دمشق عاصمة للدولة الإسلاميّة الشاسعة الأطراف، انتقل مركز الثقل للأمبراطوريّة الإسلاميّة من الحجاز إلى شرقيّ البحر الأبيض المتوسّط.

تابعت الكنيسة الأورشليميّة نموّها في عهد الخلافات الراشدة والأمويّة ثمّ العبّاسيّة. فنجد بطريرك أورشليم مشاركًا في المجمع الكنسيّ الذي دعا إليه يوستينيانُس الثاني سنة ٦٩٢. ونجد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (٦٩٠ ـ ٧٤٣) الذي ارتاح لمعارضة كنائس أنطاكية وأورشليم والإسكندريّة للأمبراطور البيزنطيّ في موقفه من مسألة الأيقونات، فرخّص لها بإقامة البطاركة من جديد [١]. ونجد البطريرك باسيليُس الأورشليميّ، يناهض مواقف الأمبراطور ثيوفيلُس الأوّل (٨٢٩ ـ ٨٤٢) [٢]. وبطريرك أورشليم يجاري البابا نيقلاوس الأوّل (٨٥٨ ـ ٨٦٧) في رفضه تنصيب رئيس الوزراء البيزنطيّ فوطيوس (ت٨٩١) نفسه بطريركًا

١ ـ راجع: THEOPHANES, *CHRON*, A. 6234.

٢ ـ راجع: رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ٢: ١٣٠.

للقسطنطينيّة[1]. ونجد البطريرك نفسه يقاطع المجمع الشرقيّ الذي عُقد في القسطنطينيّة سنة ٨٦٧ بدعوة من فوطيوس، وهو المجمع الذي قطع البابا نيقولاوس الأوّل، ونادى بلويس الثاني أمبراطورًا. وتقول المصادر الغربيّة إنّه لم يحضر هذا المجمع أيّ من كنائس الشرق، باستثناء فوطيوس الذي "عيّن ثلاثة رهبان من أتباعه لينوبوا عن بطاركة أورشليم وأنطاكية والإسكندريّة[2]". كما نجد ممثّلاً لبطريرك أورشليم في مجمع في القسطنطينيّة الذي انعقد في تشرين الأوّل (أكتوبر) سنة ٨٦٩ بدعوة من الأمبراطور باسيليُس الأوّل (٨٦٧ ـ ٨٨٦)، وقد صدر عن هذا المؤتمر قطع لفوطيُس، بعد أن صدر قطع مماثل عن مجمع غربيّ عُقد في كنيسة القدّيس بطرس في روما في حزيران (يونيو) ٨٦٩ بدعوة من البابا أدريانُس الثالث (٨٦٧ ـ ٨٧٢). وعندما عادت روما فاعترفت بفوطيوس بطريركًا للقسطنطينيّة سنة ٨٧٧، سارع البطريرك الأورشليميّ إلى الاعتراف به أيضًا.

وكانت الحروب بين المسلمين والبيزنطيّين قد بقيت بعيدة عن القدس وفلسطين نسبيًّا في العهدَين الأمويّ والعبّاسيّ وبداية العهد الفاطميّ. وبعد أن كانت إسبانية قد أفلتت من السيطرة العبّاسيّة منذ سنة ٧٥٦، والمغرب منذ سنة ٧٨٨، وتونس منذ ٨٠٠ وخراسان منذ ٨٢٢، وإيران الشرقيّة منذ ٨٧٠، استقلّت مصر عن تلك الخلافة على يد حاكمها التركيّ أحمد بن طولون (٨٧٢ – ٨٨٤) مؤسّس الدولة الطولونيّة الذي سلخ فلسطين عن بغداد العباسيّة وضمّ الى حكمه لبنان وسورية. ثمّ في ٩٦٩ حلّ محلّ الأتراك الأخشيديّين في مصر الفاطميّون مؤسّسو الخلافة الفاطميّة الشيعيّة الذين ضمّوا

---

١ - راجع: HERGENROITHER J., *PHOTIUS PATRIARCH VON KONSTANTINOPEL*, 3 VOLS, MONUMENTA GRACCA AD PHOTIUM PERTINENTIA

٢ - HEFELÉ - LECLERQ, IV: 532.

إلى دولتهم فلسطين ولبنان وسورية. وفي ظلّ هذه الفوضى الناشئة عن حالة تنازع السلطات في العالم الإسلاميّ، ووسط ثورة فريق من المسلمين سنة ٩٢٣ في بلدة الرملة الواقعة شرق شمال القدس ضد العامل العبّاسيّ، أقدم الثوّار على هدم كنيستَين: كنيسة مار قزما وكنيسة مار كورقس. كما هدموا كنيسة عسقلان على الساحل الجنوبيّ لفلسطين وكنيسة قيصريّة بين حيفا ويافا. ووقعت أحداث مماثلة في مصر ودمشق. وفي العام ٩٣٧ ثار المسلمون بالقدس وأحرقوا كنيسة القيامة ونهبوها وخرّبوا منها ما قدروا عليه؛ وفي حوالي الوقت نفسه ثار المسلمون أيضًا بمدينة عسقلان مرّة ثانية "وهدموا كنيسة مريم العذراء ونهبوا ما فيها، وأعانهم اليهود حتّى أحرقوها، ففرّ أسقف عسقلان إلى الرملة وأقام بها حتّى مات[١]". ثمّ قام الأمبراطور نيقوفورُس المعروف بنقفور الفقّاس (٩٦٣ - ٩٦٩) بالاستيلاء على العديد من المناطق التي كانت خاضعة لحكم المسلمين، ومن بينها أنطاكية. وفي ربيع سنة ٩٧٥، جاء القائد البيزنطيّ يوحنّا الذي عرفه العرب بابن شمشقيق، في عهد الخليفة الفاطميّ الرابع المعزّ لدين اللّه (٩٥٣ ــ ٩٧٥)، إلى أنطاكية، ومنها انطلق قاصدًا أورشليم. وبطريقه مرّت الحملة بدمشق حيث اعترف حاكمها سلمًا بسيادة الأمبراطور الذي ترك فيها حامية مسيحيّة، بعد أن انتزع من حاكمها قبولاً خطّيًا يقضي بدفع جزية قدرها ستّون ألف دينار كلّ سنة. ومن دمشق مرّ بجبيل وبيروت التي أسر أميرها نصر الخادم، واستولى على بانياس وجبلة دون أن يتمكّن من طرابلس، وتوجّه نحو فلسطين فدخل طبريّة وتسلّق جبل الطور تبرّكًا عافيًا عن الناصرة احترامًا للسيّد[٢]. وفي جبل الطور راح يتقبّل أداء الطاعة له من قِبَل حكّام أورشليم والرملة وعكّا التي أرسل إليها

---

١ ـ المقريزي، الخطط، طبعة بولاق، ٢: ٤٩٥.

٢ ـ EUTICHIUS, *ANNALÉS*, II: 145 - 146.

جميعًا حكّامًا عسكريّين مقيمين [1]. هذه الانتصارات التي حقّقها الروم في عهدَي نيقيفورُس (نقفور) ويوحنّا بن شمشقيق، على حساب تفكّك الخلافة العبّاسيّة، كانت محكومة بقِصر العمر، ونجد الخليفة الفاطميّ الخامس العزيز باللّه (٩٧٥ ـ ٩٩٦) يسعى لاستيعاب النصارى من خلال تولية بعضهم، وكانت زوجة العزيز، أمّ ستّ الملْك، جارية روميّة أرثذوكسيّة، وكان لستّ الملّك خالان رفعهما العزيز بتدخلّه في شؤون الكنيسة إلى أعلى المناصب الإكليريكيّة، فجعل أحدهما: أورسطيُس بطريركًا على أورشليم سنة ٩٨٤، والآخر: أرسانيُس متروبوليتًا على القاهرة ثمّ بطريركًا على الإسكندريّة [2]. وكان الأمبراطور باسيليُس الثاني (٩٧٦ ـ ١٠٢٥) قد تمكّن في زمن الخليفة الفاطميّ الحاكم بأمره (٩٩٦ ـ ١٠٢١) من ضمّ فلسطين إلى أمبراطوريّته، بعدما كتب الخليفة إلى عامله في الرملة بفلسطين أمرًا بهدم كنيسة القيامة ومحو آثارها، وقد تمّ الهدم دون التمكّن من إزالة الآثار نظرًا لاستحالة التنفيذ بسبب ضخامة البناء، كما هدموا في الوقت نفسه كنيسة القدّيس قسطنطين وسائر ما حوته حدودها من بناء، واجتهدوا في إزالة الآثار المقدّسة، وحاولوا تحطيم القبر المقدّس، فنقروا الصخر وفتّتوا جزءًا كبيرًا منه، وكان في الجوار دير للراهبات يُعرف بدير السرب لم يسلم هو الآخر من الهدم. وقد صادر الهدّامون كلّ ما كان في تلك الأماكن المقدّسة من ثروات. ولمّا خفّ باسيليوس الثاني إلى دخول القدس عنوة لرفع الضيم، اضطرّ الخليفة الفاطميّ القويّ إلى عقد صلح مع البيزنطيّين مدّته عشر سنوات [3]. وبعد انتقال الخلافة الفاطميّة إلى الظاهر بن الحاكم (١٠٢١ ـ ١٠٣٦) الذي عادت معه سلطة

---

١ - LAURIER E, *CHRONIQUE DE MATTHIEU D'EDESSE*, PP. 16 - 24.

٢ - الأنطاكي، مرجع سابق، ص ١٦٤، ١٦٥، ١٨٥، ٢٩٨؛ المقريزي، الخطط، ٤: ٣٩٨.

٣ - SCHLUMBERGER G., EPOP. II: 201 - 208.

السيّدة ستّ المُلك، أخت الحاكم بأمر اللّه، إلى سابق عزّها. وما إن تسنّم ابنها الظاهر كرسيّ الخلافة بعد موت أبيه حتّى سارعت ستّ الملك إلى إيفاد نيقوفوُس بطريرك أورشليم الى القسطنطينيّة ليبلغ الأمبراطور باسيليُس بعودة الكنائس وتجديد كنيسة القيامة وسائر البيَع في جميع بلاد مصر والشام، ورجوع أوقافها إليها [1]. إلاّ أنّ تلك الوعود لم تنفّذ، وعندما تقرَّر بناء سور لمدينة القدس في عهد الظاهر، "خرّب المتولّون لعمله كنائس كثيرة في ظاهر المدينة، وأُخذت حجارتها، وعوّلوا على نقض كنيسة صهيون وكنائس غيرها ليحملوا حجارتها إلى السور [2]". ولم تتمّ إعادة بناء كنيسة القيامة إلاّ في عهد الخليفة الثامن: المستنصر باللّه (١٠٣٦ ـ ١٠٩٤) الذي "هادن ملك الروم فاشترط عليه، هذا الأخير، أن يعمّر بيعة القيامة مقابل إخلاء الروم خمسة آلاف أسير، وقد أرسل ملك الروم مَن عمّرها وصرف عليها مالاً جزيلاً [3]". ولكن في سنة ١٠٧١ سقطت مدينة القدس، وهي كبرى مدن سورية الجنوبيّة التي كان قد بسط الفاطميّون سلطتهم عليها، سقطت في أيدي السلاجقة. وتبعتها سنة ١٠٧٦ مدينة دمشق. وقد تمكّن الفاطميّون من استرجاع القدس في حوالى سنة ١٠٩٧.

---

١ ـ الأنطاكي، مرجع سابق، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤.

٢ ـ الأنطاكي، مرجع سابق، ص٢٧٢.

٣ ـ إبن الأثير، الكامل في التاريخ (القاهرة ١٣٤٩ هـ) ٩: ١٥٩.

أورشليم القُدس
في الحَقبَة الصَّلِيبيَّة

كانت أورشليم قد أضحت مقصد الحجّاج المسيحيّين من كافّة الأقطار، منذ أن أقرّ مجمع نيقيا المنعقد سنة ٣٢٥ للمدينة المقدّسة ميّزة شريفة، وقامت فيها البنايات الفخمة التي شيّدها قسطنطين الملك ووالدته القدّيسة هيلانة، لا سيّما كنيسة القيامة وكنيسة بيت لحم، فازدادت أهمّيّة كنيستها[١]. وقد كان لتلك الأحداث التي شهدتها كنيسة القيامة وسواها من المقدّسات في خلال عهود الفوضى في القرون الوسطى، تأثير بالغ الأهميّة في نفوس المسيحيّين في العالم قاطبة. وإذ كانت الخلافات قد دبّت بين كنائس الشرق من جهة، وبينها وبين كنيسة روما من جهة ثانية، فقد كان لتلك الأعمال التي شهدتها القدس فعل الجمع، وإن الموقّت، بين مختلف تلك الكنائس، ربّما تحت ضغط العامّة من المسيحيّين الذين سمعوا بما يجري لمقدّساتهم، في وقت كان رؤساء الكنيسة والقادة السياسيّون لاهين بصراعاتهم السلطويّة والعقيدويّة.

وسط تلك الأحوال، بادر البطريرك الأنطاكيّ بطرس الثالث (١٠٥٢ ـ ١٠٥٦) إلى تعزيز علاقته بكنائس روما والإسكندريّة وأورشليم[٢]. وقد أدّت هذه الجهود إلى تقارب مهمّ بين روما وكنائس الشرق، ما عدا كنيسة القسطنطينيّة، فاصبح ذكر البابا الرومانيّ يرد في رتبة القدّاس الأنطاكيّة، وكذلك في أورشليم والإسكندريّة، علمًا بأنّ لاون التاسع كان قد أجاب على رسالة بطرس برسالة سلام تضمّنت تأكيد البابا بوضوح على "تقدّم روما وعصمة السدّة البطرسيّة، وعلى أنّ كنيسة روما هي أمّ

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص١١٢.

٢ ـ MICHEL A., *HUMBERT UND KEROULLARIOS*, II: 437 - 452.

الكنائس، ومحكمتها أعلى المحاكم"[1]. بينما كان الأمبراطور البيزنطيّ رومانُس الثالث (١٠٢٨ ـ ١٠٣٤) يعمل بجهد على إخضاع كنائس الشرق لسلطته. وسعى بطريرك القسطنطينيّة الطموح ميخائيل كيرولاريُس (١٠٤٣ ـ ١٠٥٩) إلى تقديم نفسه على بطاركة الشرق وإلى تزعّم جميع الكنائس الشرقيّة، فأوجب توحيد الطقوس والقوانين، وتدخّل في شؤون الكنائس الشرقيّة غير الأرثذوكسيّة أيضًا محاولاً استيعابها، ثمّ مدّ طموحه نحو الكنائس اللاتينيّة الموجودة في القسطنطينيّة، فأوجب عليها ممارسة الطقوس بموجب التقليد البيزنطيّ (اليونانيّ)، ولمّا تمّ الاتفاق بين ملك القسطنطينيّة قسطنطين التاسع مونوماكس (١٠٤٣ ـ ١٠٥٥) وبابا روما لاون التاسع (١٠٤٩ ـ ١٠٥٤)، وإذ كانت الكنائس اللاتينيّة قد امتنعت عن تنفيذ ما حاول هذا البطريرك فرضه عليها، أمر بإغلاقها[2]. كما راح يُهاجم الكنيسة اللاتينيّة وينتقد بعض عاداتها وتقاليدها السائدة. وقد تدخّل الملك قسطنطين بقوّة، ولكن دون جدوى، لوقف الصراع المتبادل في تلك الظروف الحرجة بين كنيستَي روما والقسطنطينيّة، فتراشقت الكنيستان بالحرم المتبادل، فكان الانشقاق[3]. غير أنّ خطورة الأحداث التي كانت جارية في الشرق والغرب في تلك الحقبة المفصليّة من التاريخ، ووجود أمبراطور بيزنطيّ راغب في إعادة وحدة الكنيسة، هو ألكسيُس كومنينُس (أمبراطور ١٠٨١ ـ ١١١٨)، ووجود بابا يولي الكنيسة الجامعة كلّ اهتمامه ويرعاها بعناية مستمرّة، وهو أوربانُس الثاني (١٠٨٨ ـ ١٠٩٩)، قد أعاد الإتّصالات المتواصلة إلى ما بين البابا والأمبراطور، التي نقل هذا الأخير في خلالها إلى البابا مخاوفه من تفاقم الشرّ في

---

١ - MICHEL A., OP. CIT., PP. 458 - 475.

٢ - AMANN E., OP. CIT., VII: 140; HUMBERT, *BREVIS ET SUCCINCTA*, P.L., VOL. 136, COL. 1002.

٣ - يتيم ميشال، تاريخ الكنيسة الشرقية، طبعة ثالثة (جونية،١٩٩١)، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥.

آسية الصغرى وتزايد عدد الأتـراك فيهـا وانتشـارهم فـي سـهولها ووديانهـا. وهـذا مـا اعتبره المؤرّخون نداءات متتالية من الأمبراطور إلى البابا، وصفها بعضهم بالاستنجاد والاستغاثة. كما وصلت إلى مسمع البابا، عـن طريـق الحجّـاج الغربيّيـن، إقـدام رعـاع التركمان وأمثالهم على العيث بأرض الشرق فسـادًا يقتلـون وينهبـون، ينتهكـون حرمـة الكنائس في أثنـاء الصلـوات، حيـث يجلسـون علـى الموائـد المقدّسـة ويهينـون الكهنـة، ويخرّبون الكنائس[1]. كلّ تلك الأعمال قد خبرها الحجّاج الغربيّون بأنفسهم، واضطرّوا في بعض الأحيان إلى أن يُقاتلوا للوصول إلى القبر المقـدّس. وقـد اسـتفضنا فـي تبيـان خلفيّات الغـزو الصليبـيّ فـي الجـزء الحـادي عشـر مـن هـذه الموسـوعة، حيـث يمكـن مراجعتها. ولكن ما لا بدّ من ذكره هنا، هو أنّ البابـا أوربـانُس الثـاني، عندمـا اعتلـى المنصّة المهيبة التي أُقيمـت خصّيصًـا للمناسـبة فـي باحـة كاتدرائيّـة كليرمون، وراح، بلهجة الخطيب المفوّه، يدعو مسيحيّي الغـرب لنجـدة المسـيحيّة فـي الشـرق، إنّمـا راح يعدّد فظائع السلاجقة الأتراك المرتكَبَة في الشرق، مُذكّرًا بقدسـيّة أورشـليم، وبوجـوب الحفاظ عليها، وتأمين وصـول الحجّاج إلى مقدّسـاتها، داعيًا إلى الجهاد فـي سـبيل اللّـه، مؤكّدًا الغفران للشهداء المجـاهدين[2]. فـالقدس إذن، كـانت الـهدف الرئيـس فـي أذهـان أولئك المجاهدين الذين قصدوا الشـرق، هـاتفين: "هـذا مـا يريـده اللّـه DEUS LE VOLT"، واضعين شارة الصليب قماشًا أحمر علـى أكتـافهم أو صدورهم، فعُرفـوا بـالصليبيّين. ففي هذا الإطار يندرج انبعاث النزعة الدينيّـة فـي حالـة ثأريّـة عنـد مسـيحيّي الغـرب، لإقدام الخليفة الفاطميّ الحاكم بأمره، على هدم كنيسة القيامـة فـي القـدس سـنة ١٠٠٩،

---

١ - GROUSSET R., *HISTOIRE DES CROISADES*, I: 2; CLAUDE CAHEN, *LA SYRIE DU NORD À L'ÉPOQUE DES CROISADES* (PARIS, 1940) P. 199; WILLIAM OF TYRE, VOL. I: 47.

٢ - MUNRO D.C., *SPEACH OF URBAN II AT CLERMONT*, AMER. HIST. REVUE, XI, 231 F.F.

وهي المحجّ المقدّس الذي كان الغربيّون المتديّنون قد اعتادوا على تكبّد عناء الحجّ إليه تبرّكًا. وقد زاد في هذا المحرّض البالغ الأهميّة، إقدام السلاجقة المسلمين على وضع الصعوبات في طريق الحجّاج بخلال مرورهم في آسية الصغرى وهم في طريقهم إلى القدس. كلّ هذه العوامل، كانت مثيرة للعاطفة الدينيّة، التي تأجّجت في قلوب أصحابها.

كانت أورشليم في ذلك الوقت بيد الفاطميّين، وعامِلُهم فيها الفضل بن بدر الجمالي، وحاميتها عربيّة سودانيّة، وعديدها نحو ألف رجل. أمّا عدد المهاجمين فقد بلغ نحوًا من أربعين ألفًا نصفهم من الجنود النظاميّين، وكان على رأسهم ثلاثة من كبار القادة: غودفري[١] وريموند[٢] وتانكريت[٣]. وبعد حصار دام شهرًا ونيفًا أطبقوا على المدينة المقدّسة في الخامس عشر من تمّوز (يوليو) ١٠٩٩ "وفتكوا بأهلها على اختلاف السنّ والجنس بلا تمييز ولا مراعاة[٤]". وفي أحد المصادر العربيّة[٥] أنّ عدد الضحايا بلغ نحوًا من سبعين ألفًا، ويذكر مؤرّخون لاتين أنّ "النظر كان يقع على أكوام من الأشلاء في الساحات والطرق[٦]".

وباحتلال الصليبيّين للقدس، نشأت في سورية الدولة اللاتينيّة الثالثة، إذ كانوا قبلاً قد احتلّوا الرها وأنطاكية، بيدَ أنّ أورشليم كانت أهمّ تلك الدول على الإطلاق. وقد

---

١ ـ **غودفري أو غودفروا أو غودفريد** GODEFROY (نحو ١٠٦١ ـ ١١٠٠): إبن أسطاخيوس الثاني أمير بولونيا ودوق اللورين، توفّي في القدس.

٢ ـ **ريموند أو ريمون الربع**: من أمراء تولوز ـ فرنسا.

٣ ـ **تانكريت أو تانكريد دي هوتفيل** TANCRÈDE: من أمراء صقليّة النورمان، اشترك في حصار أورشليم، أمير الجليل ١١٠٠ ـ ١١١١، وأنطاكية ١١١١ ـ ١١١٢.

٤ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ٢٢٩.

٥ ـ إبن الاثير، الكامل، ١٠: ٢٨٣.

٦ ـ WILLIAM OF TYRE, I: 370.

تولّى الحكم فيها غودفري، وكان لمّا نودي به "ملك القدس" قد فضّل اتّخاذ لقب "حامي القبر المقدّس". وراح تانكريت يتوغّل نحو الأردن، فسيطر على بيسان بعد اخضاع نابلس من دون مقاومة، ثم استقرّ في طبريّة بصفة حاكم إقليم تابع للقدس. إلاّ أنّه مع بداية القرن الثاني عشر أصبح حاكمًا لأنطاكية خلفًا لعمّه بوهمند الذي كان قد أُسر على يد السلاجقة. وكان بودوان[1]، شقيق غودفري أمير الرها، قد استُدعي ليتوّج ملكًا على القدس في يوم الميلاد من العام ١١٠٠ باعتبار أنّه المؤسّس الحقيقيّ للمملكة اللاتينيّة في الشرق.

وعندما مات بودوان سنة ١١١٨ كانت المملكة اللاتينيّة قد بلغت ذروتها وأصبحت تمتدّ من خليج العقبة إلى بيروت باستثناء شبه جزيرة صور التي بقيت بيد المسلمين حتّى ١١٢٤، وعسقلان حتّى سنة ١١٥٣، وكان الامتداد الشرقيّ لتلك المملكة محاذيًا لوادي الأردن. وقد خلف بودوان الأوّل بودوان الثاني الذي ملك حتّى وفاته سنة ١١٣١ حين أصبحت المملكة اللاتينيّة في الشرق تضمّ دولاً ثلاثًا: طرابلس وأنطاكية والرها، تدين بالولاء الإسميّ لملك القدس. إلاّ أنّ بعض المدن الداخليّة ومنها: حلب، وحماة، وحمص، وبعلبك، ودمشق، قد بقيت خارج سلطة الإفرنج.

وهكذا فقد حقّقت الحملة الصليبيّة التي دعا اليها البابا أوربانوس الثاني أهدافها، وأصبحت طريق بيت المقدس سالكة للحجّاج الغربيّين. بيد أنّ الحروب الصليبيّة لم تتوقّف عند هذا الحد، كما أنّها لم تثبت على حال مستقرّة، بل كانت فاتحة صراع جديد بين الشرق والغرب تحت عنوان المسيحيّة والإسلام.

---

١ - **بودوان** BAUDOUIN: إسم خمسة من ملوك القدس الصليبيّين، عُرفوا عند العرب بأسماء: بغدوين، بردويل، بلدوين، أشهرهم الأوّل حاكم الرها ١٠٩٨ - ١١٠٦، قائد الحملة الصليبيّة الأولى، ملك القدس ١١٠٠ - ١١١٨.

كَنيسَــة أورَشَلَيــم
فِي الحقبَة الصَّليبيَّة

على صعيد الكنيسة، فعند فتح القدس من قِبَل الصليبيّين، كـان بطريـرك أورشـليم: سمعان، قد غادر كرسـيّه بسـبب الضيـق الشـديد الـذي أصـاب المسـيحيّين فـي المدينـة المقدّسة قبل الغزو الصليبيّ، لينتقل إلى قبرص، وقـد رافقـه إلـى الجزيـرة عليّـة أفـراد الإكليرس[1]. ولمّا وجد الصليبيّون الكرسيّ الأورشليميّ شـاغرًا، عيَّنـوا عليـه بطريركًـا منهم. وأعادوا التنظيم الكنسيّ، فأقاموا رؤسـاء الأسـاقفة والأسـاقفة ومجلسًا بطريركيًّا مكوَّنًا من الكهنة الملقّبين بـ "قانونيّي" القبر المقدّس CHANOINES DU SAINT-SÉPULCRE.[2]

ويعتبر بعض مؤرّخي الكنيسة أنّ التعيين الـذي أجـراه الأمـراء الصليبيّـون لأرنولفُس روهيز بطريركًا على أورشليم، قد أدّى إلى نتـائج خطيـرة علـى صعيـد العلاقـات بيـن الكنيستَين الشرقيّة والغربيّة، بسـبب مماشـاة هـذا البطريـرك لسياسـة بوهمنـد الكنسيّة، معتبرين أنّه، إضافة إلـى إبعـاده الكهنـة المونوفيزيّين الأرمـن واليعاقبـة والأقبـاط عـن كنيسة القبر المقدّس، قـد أبعـد الأرثذوكسـيّين المشـرقيّين أيضًـا وعيّـن عشـرين كاهنًـا لاتينيًّا للخدمـة فـي تلـك الكنيسـة. ثـمّ "قبـض علـى الكهنـة الأرثذوكسيّين مُطالبًا بعـود الصليب، وأمر بتعذيبهم، حتّى قبلوا مكرهين بتقديم الأثر المقدّس لـه[3]". ويبـدو أنّ هـذا البطريرك اللاتيني، الذي كان واعظًا أديبًـا دون أن يكـون زاهـدًا أو حـائزًا أيّـة درجـة كهنوتيّة، قد تصـرّف ببعض الاستبداد، مـا أغضـب الشـعب الأرثذوكسـيّ وكهنتـه، كمـا

---

١ - GROUSSET R., I: 47.

٢ ـ كلداني، مرجع سابق.

٣ ـ راجع: رستم، كنيسة مدينة الله، ٢: ٢٧٩؛ WILLIAM OF TYRE, IX:1; FULCHER DE CHARTRES, I: 30.

أثار استياء القسطنطينيّة[1]. ولمّا عيّن البابا أوربانُس الثاني، قبل وفاته، رئيس أساقفة بيزا دمبرتوس DAIMBERT خلفًا للأسقف أديمار (ت١٠٩٨) الذي كان عيّنه منذ البداية قائدًا أعلى وزعيمًا أوحد للصليبيّين وممثّلاً لسلطة روما في الأراضي المقدّسة، حلّ دمبرتوس محلّ أرنولفوس بطريركًا على أورشليم، وخضع له غودفري، وكيل القبر المقدّس، وبوهمند أمير أنطاكية، وأقسما يمين الطاعة والولاء له. أمّا أمير الرها بودوان، فامتنع عن الخضوع.

منذ دمبرتُس تعاقب على سدّة البطريركيّة في أورشليم أحد عشر بطريركًا لاتينيًّا كان آخرهم هرقليُس (١١٨٠ ـ ١١٩٠). بينما جلس على كرسيّ أنطاكية في الحقبة نفسها أربعة بطاركة كان آخرهم بطرس (١١٩٦ ـ ١٢٠٨). ونشأت تدريجًا خمس أبرشيّات كبرى تابعة لأورشليم رأس كلاً منها رئيس أساقفة، وهي أبرشيّات: صور وقيصريّة وبيسان وبصرى وعمّان. وكانت أسقفيّات بيروت وصيدا وبانياس وعكّا تابعة لصور، وأسقفيّات سَبْطية تابعة لقيصريّة، وطبريّة وجبل الطور لبيسان. بينما كان لأنطاكية ست عشرة أبرشيّة هي أبرشيّات: مصيصة والباره وأباميه ومنبج والرها وبانياس وجبلة وطرابلس واللاذقية وحارم (أو ارتاح) ومرعش وقيسون وقورش ورفنية وطرطوس وجبيل. وقد نشأت منازعات شديدة بين البطريركيّتَين على أبرشيّات الساحل الفينيقيّ، فكانت أوشليم تقول بوجوب اتّباع الملاءمة السياسيّة في تقسيم الأبرشيّات، بينما قالت أنطاكية بقرارات المجامع المسكونيّة ووجوب إبقاء القديم على قدمه. وبعد تطوّر تلك المنازعات وتدخّل ثلاثة باباوات في ملابساتها، بقي الحدّ الفاصل بين البطريركيّتَين الحدّ السياسيّ بين مملكة أورشليم وإمارة طرابلس[2].

---

١ - RUNCIMAN S., *HISTORY OF THE CRUSADES*, I: 294 - 295.

٢ - CAHEN C., *LA SYRIE DU NORD*, PP. 314 -317; RICHARD J., *ROYAUME DE JERUSALEM*, PP. 97 - 98.

في هذه الأثناء، امتنع الأرثذوكسيّون عن الاعتراف بسلطة الإكليروس اللاتينيّ، وراحوا ينتخبون في القسطنطينيّة بطريركًا تلوّ البطريرك على أورشليم طوال المدّة التي كان فيها اللاتين في المدينة المقدّسة، وكان هؤلاء البطاركة، على ما يبدو، يقيمون دومًا في القسطنطينيّة. أمّا بالنسبة لأنطاكية فيذكر بعض المراجع أنّها، بإيعاز من الأمبراطور، حذت حذو أورشليم[1].

ولقد كانت سلطة ملك القدس على رأس الهرميّة الإقطاعيّة إبّان السيطرة الصليبيّة على الشرق، مستمَدَّة من سلطة الولاة الإقطاعيّين ومن سلطة البطريرك الأورشليميّ. تجدر الإشارة إلى أنّ مملكة القدس ودويلاتها لم تكن خاضعة لأيٍّ من الدول الغربيّة، بل كانت دولاً محليّة شرقيّة ذات حكم لاتينيّ. وقد اعتبر الإفرنج، عمومًا، كلّ مَن احترم الصليب مسيحيًّا، محاولين عدم التمييز بين الكنائس، وإن كان بعض تلك الكنائس غيرَ موال لهم.

يَوْمُ الرَّمْلَة

عندما كان الصليبيّون الإفرنج مسيطرين على الساحل الشرقيّ الذي يضمّ فلسطين ولبنان والشاطىء السوريّ، كانت سورية الداخليّة التي تضمّ دمشق وحمص وحلب والموصل، إسلاميّة وعلى رأسها الأمراء الأتراك السلجوقيّون أو عمّالهم الأتراك الأتابكة، وكان هؤلاء في حال مقاومة شبه مستمرّة للصليبيّين، كما كانوا في حال صراع شبه دائم بين بعضهم البعض للإستيلاء على السلطة. بينما كانت مصر لا تزال

---

١ - راجع: رستم، كنيسة مدينة الله، ٢: ٢٨٨ - ٢٨٩.

خاضعة لسلطة الخلافة الفاطميّة الشيعيّة. وبعد تطـوّرات سلطويّة دراماتيكيّـة حصلت في أوساط الفئات الإسلاميّة الحاكمة، برز من بيـن الأتابكـة قـائد فَذّ، هـو عمـاد الديـن زنكي، فسادَ الموصل سنة ١١٢٧ ثم بسط سيطرته على الجزيرة الفراتيّة، ومـن هنـاك دفع بجيوشه إلى مدينة الرها فانتزعها سنة ١١٤٤ من أيدي الصليبيّيـن الذيـن حكموهـا نحو خمسين سنة، بعد أن ضمّ حلـب إلـى سلطته سـنة ١١٢٨ ثـمّ اسـتولى علـى حمـاة فبعلبكّ. وخلفه في القيادة ابنه نور الدين الذي تمكّن سنة ١١٥٤ من انتزاع دمشـق مـن السلالة التركيّة البوريّة التي أسّسها طغتكيـن بـن عبداللّـه بعـد أن كـانت دمشـق لسـنين كثيرة حليفة فعليّة للقدس اللاتينيّة. وبسيطرته على دمشق، أزال زنكـي العقبـة الأخـيرة القائمة بين المناطق الخاضعة له ومدينة القدس. وللمرّة الأولى منذ سقوط الأمويّين سنة ٧٥٠، أصبحت دمشق عاصمة دولة مسلمة واسـعة موحّـدة ومسـتقلّة. وإذ كـان زنكـي هادفًا إلى تطويق القدس من الشمال والجنوب، رأى أن لا بدّ من السيطرة على مصـر. فبعث بقائده أسد الدين شيركوه الكرديّ إلى عاصمة الخلافة الفاطميّة حيث تمكّـن سـنة ١١٦٩، بعد انتصارات حقّقها في ميدانَي القتال والسياسـة، مـن تولّـي الـوزارة للخليفـة الفاطميّ العاضد (١١٦٠ – ١١٧٠)، ولكنّـه لـم يعـش وزيـرًا سـوى شـهرَين. فـانتقلت الوزارة في الخلافة الفاطميّة الواهنة إلى ابن أخيه صلاح الدين بن أيّوب الذي كان قـد رافقه إلى مصر. وبعد وفاة نور الديـن زنكـي فـي دمشـق سـنة ١١٧٤، وكـان صـلاح الدين قد أقدم على خلع الخليفة العاضد وإلغاء الخلافة الفاطميّة نهائيًا في مصر وسيطر على بلاد النيل سيطرة تامّة، قام قائد صلاح الدين بعبور الصحراء على رأس سبعمائة فارس من الجنود المدرّبين، ودخل دمشق فـي ٢٤ تشـرين الأوّل (أكتوبـر) ١١٧٤ بـلا مقاومة، ثم تزوّج أرملة نور الدين ونال المبايعة من زعماء المدينة، وولّى المدينة أخاه طغطكين، وغادرها على رأس جيش جنّده من الشام قاصدًا حلب فأخضعها، كذلك فعل

ببعلبك، ومنها توجّه شمالاً إلى حماه حيث وجد أنّ جيشًا من جند حلب والموصل كان في أعقابه، وكان النصر الذي حقّقه صلاح الدين على هذا الجيش سنة ١١٧٥ حاسمًا. وبعد توحيده لمصر وسورية، أصبح انتزاع البلاد من سيطرة الإفرنج الهدف الخطير لصلاح الدين. وقد بدا هذا الهدف ممكن التحقيق بعد أن أصبحت القدس بين فكّ الكمّاشة الأوّل: القاهرة، وفكّها الثاني: دمشق. أمّا الوضع في فلسطين فإنّه كان يغري مَن يتطلّع إلى غزوها. ذلك أنّ مملكة بيت المقدس كانت، خلافًا لبنود هدنة السلام، تقوم بغزوات إلى جهة الشمال وإلى أبعد من حلب دون أن تترك جيشًا يتولّى أمر الدفاع عن فلسطين. وكان يتسلّم عرش مملكة بيت المقدس في ذلك الزمان بودوان الرابع ذو السادسة عشرة.

بدأ صلاح الدين حروبه مع الصليبيّين بمهاجمة مدينة عسقلان الواقعة بين مصر وفلسطين، فكان فتحها أشبه بنزهة قام بها جنوده البالغ عددهم ستّة وعشرين ألف مقاتل. وتابع الجيش زحفه شمالاً على ساحل البحر، إلى الرملة، مخلّفًا بيت المقدس وراءه. في هذه الأثناء جمع الافرنج جيوشهم من بيت المقدس وعلى رأسهم الداوية، ومن صيدا وعلى رأسهم ريجنالد، ومن الكرك وعلى رأسهم ريجنالد شانتيون (اورناط). وكان جيش الداوية يُعرف أيضًا بالهيكليّين، نسبة لهيكل سليمان في القدس حيث أُسّست فرقتهم سنة ١١١٨ لحماية الحجّاج، وليحاربوا إلى جانب أيّ جيش من جيوش الصليبيّين. وكان هنالك طائفة أخرى منهم تُعرف بالإسبيتاريّة أو جنود القدّيس يوحنّا، وقد أُسّست هذه الأخويّة العسكريّة الدينيّة لتقوم بإيواء الحجّاج وتقديم الطعام والمأوى لهم. وظهر في ساحة المعركة في الرملة أسقف بيت لحم يحمل الصليب الحقيقيّ وينفث في جنوده روح الحماسة. وكانت النتيجة "أن تمزّق جيش صلاح الدين شرّ ممزّق، وأمّا هو فإنّه نجا من الموت بأعجوبة، وعندما أسدل الظلام ركب ذليلاً

يتبعه مَن تبقّى من أفراد حرسه، وتراجعوا تاركين الجرحى وراءهم. وكان يوم الرملة (٢٥ تشرين الثاني - نوفمبر -) من أسوأ ما عرفه صلاح الدين في حياته العسكرية[١]".

مَعركَةُ حطِّين
وسقُوط أورشَليم

بينما كان صلاح الدين يعيد النظر في بُنية آلته العسكريّة، ويتهيّأ لتحقيق أهدافه، راح بودوان، أمام الخطر المحدق بالمملكة اللاتينيّة، يعمل على تقوية الدفاعات عن المدينة. وبعد مرور أقلّ من سنتَين على يوم الرملة، كان بودوان قد بنى قلعة في ممرّ مؤدٍّ إلى نهر الأردن في المكان الذي يُعرف ببنات يعقوب، حيث تقول التوراة أنّ يعقوب صارع فيه ملاك الرب؛ وكان هذا الممرّ حيويًّا بالنسبة لدمشق إذ كان يصلها بسهل بانياس الذي كانت تعتمد في قسم كبير من تموينها بالقمح والأرزّ والقطن عليه.

في ٢٥ آب (أغسطس) ١١٧٩، أصبحت هذه القلعة في حكم المحاصرة من قِبَل جيش صلاح الدين المعاد تنظيمه والمعزّز بجنود من القاهرة ودمشق. ولقد دافع عنها الهيكليّون ببسالة نادرة، فصمدت أسوارها التي بلغت ثخانتها ثلاثة عشر قدمًا "مدّة خمسة أيّام كان النقّابون واللغّامون في أثنائها، من جيش صلاح الدين، يحاولون نقبها. ثم إنّهم حفروا حُفرًا عميقة خارج الأسوار أشعلوا فيها النار أيّامًا، وحفرًا أخرى ملأوها ماء، وأخيرًا نجحوا في إحداث ثغرة في الأسوار، فتدفّقت الجيوش منها وهجموا على حاميتها، فقتلوا عددًا منهم ورموا بجثثهم من على الأسوار، وأُسر منهم سبعمئة فارس. وبالرغم من شدّة حرّ شهر آب (أغسطس)، وبالرغم من الرائحة الخبيثة المنبعثة من تفسّخ الجثث، فإنّ صلاح الدين أبى أن يغادر المكان قبل أن يرى

---

١ - حتّي، صانعو التاريخ العربي، مرجع سابق، ص١٧٨.

تهديم القلعة التي بناها بودوان. وتقول الروايات الإسلاميّة إنّ يعقوب بكى ابنه يوسف في هذا المكان، ولذلك سُمّي في ما بعد "بيت الأحزان". وأصبح "بيت الأحزان" الآن مكان حزن وبكاء عند النصارى[1]".

إثر هذه النكسة الصليبيّة التي ترافقت مع انتكاس صحّة بودوان، ومع سنة قحط ومجاعة ضربت مملكة صلاح الدين، قبِل الثاني بطلب الأوّل لهدنة سنتَين. بيدَ أنّ هذه الهدنة لم تُرح القائد المسلم الذي واجهته مشكلات في حلب بسبب موت الملك الصالح، وعندما وصل إلى دمشق وجد أنّ عماد الدين، أخا عز الدين ملك الموصل، نصّب نفسه ملكًا وارثًا لابن عمّه في حلب. وهكذا وجد صلاح الدين أن لا بدّ له من إحكام قبضته على كامل سورية والعراق، إضافة إلى مصر، قبل أن يشنّ حربه التحريريّة ضدّ الصليبيّين.

وفي شهر أيلول (سبتمبر) ١١٨٢ كانت جيوشه أمام مداخل مدينة الموصل. وراحت مدن شمالي العراق تستسلم له المدينة تلو الأخرى من الرها إلى نصيبين على دجلة، فضرب الحصار على الموصل وراح جيشه يخرّب المناطق المحيطة بها. وفي الحادي من حزيران (يونيو) ١١٨٣ وصل صلاح الدين إلى مداخل حلب التي سرعان ما استسلمت بفعل تعصّب سكّانها لفروسيّة صلاح الدين ونبله وعدله وكرمه. ذلك أنّ اسمه كان قد شاع في جميع أنحاء العالم الاسلاميّ على أنّه البطل المحرّر، ليس من الصليبيّين فحسب، بل ومن شذّاذ الحكّام وأهل السلطة من المسلمين. وبذلك، وبعد معاهدة بينه وبين حاكم الموصل تعترف بالسلطة العليا له، أصبح سلطان مصر وسورية معزّزًا بلقبٍ إضافيّ: سلطان شمالي العراق. على أنّ لقب سلطان الإسلام

---

١ - حتّي، صانعو التاريخ العربي، مرجع سابق، ص١٨٠.

والمسلمين كان اللقب الجامع الذي يفضّله، متطلّعًا بعد هذه الانتصارات الداخليّة إلى المستقبل بثقة وعزم وطموح لا يعرف حدًّا، يعزّزه إيمان بهدف وقضيّة؛ بينما كان ما تبقّى بين أيدي الصليبيّين غير باعث إلى مثل هذه الحالة المعنويّة، إذ لم يتبقّ في أيديهم الآن سوى كونتيّة طرابلس وكونتيّة أنطاكية ومملكة بيت المقدس، وكانت هذه هشّة الترابط، تهدّدها كتلة إسلاميّة متراصّة. وبينما كان تركيب السكّان في المنطقة الصليبيّة من أقليّة أوروبيّة ضئيلة تسيطر على طبقات عديدة من السكّان الأصليّين من مسيحيّين ومسلمين، كان سكّان الكتلة الإسلاميّة يشكّلون، تحت لواء صلاح الدين، جبهة موحّدة وثابتة ومقيمة، يختلف عنها كليًّا وضع المجموعات الواقعة تحت السيطرة الصليبيّة، حيث كان النصارى من الأرمن واليعاقبة في الجزء الشماليّ غير موالين للصليبيّين، على عكس الموارنة والكاثوليك من الملكيّين، بينما الروم الأرثذوكس في الجزء الأوسط من البلاد وفي الجنوب يمحضون ولاءهم للأمبراطور. ولقد كان الصليبيّون يعتمدون في أمنهم على العون الذي يقدّمه لهم الحجّاج إلى بيت المقدس، ولكنّ الحاجّ كان يعتقد أنّ حجّه ينتهي بزيارة بيت المقدس، ثمّ يأخذ بالتفكير في العودة إلى وطنه، فكان الحجّاج كالطيور القاطعة، تمرّ مرًّا. فلا يمكن، والحالة هذه أن يُعتمد عليهم كعنصر في الدفاع عن الممتلكات الصليبيّة. ثمّ كان هناك جاليات من جنوى والبندقيّة وبيزا، ولكنّهم كانوا تجّارًا همّهم الربح والمصالح الخاصّة أوّلاً. وكان لهذه الجاليات أحياء معيّنة يقيمون فيها. وكان لهم امتيازات يتمتّعون بها.

إنّ الروح الصليبيّة الأولى في أوروبّة، وما كانت تنطوي عليه من مغامرة، كانت في هذا الحين قد زالت. ولم يعد الناس ينظرون إليها كما في بادىء الأمر. وحلّ محلّها اهتمام بأمور التجارة، ونظرة جديدة إلى الحياة... "ومنذ البدء، كانت هذه الممالك الصليبيّة ممالك دخيلة مصطنعة. وقد وجد الصليبيّون أنفسهم يتيهون في معمعة لا

يعرفون لها مخرجًا. وبينما كانت البلدان الإسلاميّة المحيطة بهم تتّحد، كان الصليبيّون يجدون أنفسهم ضعافًا غير متّحدين[1]".

ففي القدس مشكلة خلافة بودوان الرابع الذي توفّي مريضًا سنة ١١٨٣، إلى أن استولى على العرش صهره استيلاء. وفي طرابلس مشكلة مماثلة: فلقد كان أميرها ريموند الثالث وصيًّا، وبصفته هذه ادّعى أنّه وارث للعرش، فتفرّد بعقد معاهدة مع صلاح الدين ضدّ سيّده المرتبط معه بالولاء في بيت المقدس. حتّى أنّ بعضهم ذكر أنّ ريموند الثالث قد زار صلاح الدين في دمشق واعتنق الإسلام. هذا الحدّ بلغه التنابذ في صفوف الصليبيّين "فكان صاحب الإقطاع يثور ضدّ سيّده ويتصرّف تصرّف المستقلّ. وفي أحيان كثيرة كان الصليبيّون يحالفون المسلمين ضدّ خصومهم من المسيحيّين، وأصبحوا الآن يشكون من العلل ذاتها التي كان يشكو منها المسلمون عند مقدم الصليبيّين: الانقسام والتحاسد[2]". أو التحاسد الذي يؤدّي دومًا إلى الانقسام.

إضافة إلى كلّ هذا، كان للتصرّفات الرعناء لبعض القادة الإفرنج فعل تأجيج العداء والتصميم على الانتقام في نفوس المسلمين وسلطانهم صلاح الدين. من هؤلاء ريجنالد صاحب قلعة الكرك الذي كان يعيش في قلعته عيشة بذخ وإنفاق لِما توفّر له عن طريق مداهمة القوافل التجاريّة ونهب قوافل الحجّاج المسلمين التي كانت تمرّ بقرب قلعته، حتّى أنّه نزل ذات مرّة على شواطىء الحجاز بقصد تدنيس المكان. وفي ١١٨٧ وقعت قافلة فيها أخت السلطان صلاح الدين في الأسر، ولكي يكمل ريجنالد طين العداوة بلّة قال مخاطبًا الأسرى: "دعوا الآن نبيّكم ينجّيكم من يديّ". هنا أقسم صلاح الدين على أنه سيقطع رأس ريجنالد بيده.

---

١ ـ حتّي، صانعو التاريخ العربي، مرجع سابق، ص١٨٣.

٢ ـ حتّي، صانعو التاريخ العربي، مرجع سابق، ص١٨٤.

لسنا ندري إذا كانت هذه الحادثة التي جرت في ربيع سنة ١١٨٧ هي التي عجّلت في توقيت ساعة المعركة الحاسمة. فقد قرّر صلاح الدين الخروج على رأس جيش قوامه اثنا عشر ألف فارس وستّة آلاف متطوّع من المشاة من مدينة دمشق، يوم الجمعة في السادس والعشرين من حزيران (يونيو).

كان هدف الجيش الأوّل: مدينة طبريّة، التي استسلمت بعد ستّة أيّام من الحصار. ولقد كان سقوط طبريّة إيذانًا بزوال المملكة اللاتينيّة من الشرق.

في جوار طبريّة فوهة بركان خامد على رأس قمّة تُعرف بـ "قرون حطّين"، ترتفع حوالى ستّمائة متر فوق سطح بحر الجليل. وفي الأخبار أنّ عظة السيّد المسيح على الجبل إنّما كانت في هذا المكان. ونحو هذا المكان تحوّل جيش المسلمين من طبريّة في جوٍّ حرّه شديد للغاية، يوم الثالث من تمّوز (يوليو) حيث نشبت المعركة الفاصلة. وكان السير الطويل قد أنهك جيوش الإفرنج المدجّجين بالسلاح الثقيل. فقد كان سلاح الفارس الصليبيّ يشتمل على سترة جلديّة فوقها درع، وعلى خوذة ثقيلة، وسيف طويل، ورمح، وترس. وقد ضرب العطش ذلك الجيش حتّى خبله في تلك البقعة الجديبة حيث لا ماء، فأحاط بهم المسلمون بسلاحهم الخفيف وأمطروهم بوابلٍ من النبال لم يسبق أن تعرّضوا لنظيره. ولم يسلم من العشرين ألفًا بين فارس وراجل، إلاّ مَن ارتدّ أو لاذ بالفرار. أمّا الباقون فقد سقطوا في المعركة، أو وقعوا في الأسر.

كان على رأس موكب الأسرى ملك القدس بذاته: غي دي لوسينيان، إضافة إلى ذلك الذي أقسم صلاح الدين على قطع رأسه: ريجنالد أوف ساتدن. وفي خيمة صلاح الدين أجلس السلطان إلى جانبه ملك الإفرنج وأمر له بشراب ماء الورد، وعامله بما يليق برتبته الرفيعة، هامسًا في أذنه:

"إنّ الملك لا يقتل ملكًا". واستلّ سيفه وهوى به على عنق ريجنالد فقطع رأسه بارًّا بقسمه[١].

لم تصمد القدس أمام الحصار الذي استهدفها سوى أسبوع واحد، كانت نهايته ونهاية الحكم الصليبيّ عليها في الثاني من تشرين الأوّل (أكتوبر). ويركّز المؤرّخون على الفارق بين معاملة صلاح الدين للمدنيّين من الإفرنج، ومعاملة الإفرنج للمسلمين قبل ثمانٍ وثمانين سنة. "فمَن استطاع أن يؤدّي الفدية عن نفسه فقد فعل، وسُمح للفقراء منهم بفرصة عشرين يومًا يجمعون خلالها مبلغًا يفتدون به نفوسهم، ويبيع الباقون عبيدًا. أمّا الأراضي التي أخلاها الإفرنج، فقد ابتاعها الجنود والمسيحيّون من المواطنين. واتّجهت موجة الفتح بعد القدس نحو الحصون الباقية فجرفت في طريقها الشوبك*، والكرك[٢]، إلى الجنوب، وقلعة كوكب[٣]، والشقيف[٤]، وصهيون[٥]، إلى الشمال. ثم سقطت عسقلان وعكّا وصفد وطرطوس وجبل واللاّذقية جميعًا قبل نهاية سنة ١١٨٩، حيث لم يبقَ في يد الإفرنج إلاّ صور وطرابلس وأنطاكية وبعض المدن والحصون الصغيرة"[٦].

١- ERNOUL AND BERNARD, *LE TRESORIER* CHRONIQUE, ED. DE MAS LATRIE (PARIS, 1871), PP. 172-174;- إبن شدّاد بهاء الدين ، سيرة صلاح الدين (القاهرة ،١٣١٧) ص٢٧، ٦٠ - ٦٥؛ إبن الأثير، ١١: ٣٥٢ - ٣٥٥؛ أبو شامة، ٢: ٧٥.

٢ - **الكرك**: حصن مسوّر كان للموآبيّين، عُرف قديماً باسم: كير مؤاب، موقعه في الأردن، يشرف على طريق الحج والتجارة.

٣ - **كوكب**: حصن بناه الصليبيون في الأردن إلى الشمال من بيسان، وكان كامل اسمه: كوكب الهواء.

٤ - **الشقيف**: قلعة قائمة على صخر شاهق يبلغ ارتفاعه خمسمائة متر عن نهر الليطاني في لبنان، وهي تسيطر على الممر الجبلي من دمشق إلى صيدا؛ إسمها الكامل: شقيف أرنون، والكلمتان سريانيتان، شقيف: الصخر العظيم، أرنون: السيل المندفع.

٥ - **صهيون**: قلعة صهيون أو قلعة صلاح الدين: قلعة في سورية قرب اللاّذقية، تحصّن فيها الفينيقيّون دون الإسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد، احتلّها البيزنطيون ٩٧٥، ثم الصليبيون ١١١٩، ثم صلاح الدين ١١٨٨.

٦ - حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ٢٣٨: إبن خلدون، ٥: ٣١١؛ المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة الملوك، نشر مصطفى زيادة (القاهرة، ١٩٣٤)، ١: ٩٩ - ١٠١؛ إبن شداد، ص ٦٥ وما يليها؛ ERNOUL AND BERNARD, P. 179.

بينَ ريكَردوس
وصلاَح الدِّين

كان لسقوط المدينة المقدّسة في يد المسلمين، ولإخراج الصليبيّين منها، ردّة فعل عنيفة في أوروبّة المسيحيّة. وقد تُرجمت ردّة الفعل هذه بإعداد حملة صليبيّة ساهم فيها أقوى الملوك في أوروبّة الغربية آنذاك: ملك المانيا فريدريك باربروسا، وملك فرنسا فيليب أغسطُس، وملك بريطانيا ريكاردُس الملقّب بقلب الأسد "وقد التقت الأسطورة بالتاريخ لتجعل من هذه المعركة التي تقابل فيها البطلان: ريكاردُس وصلاح الدين، حقبة من أروع الحقب وأشدّها إثارة في تاريخ الغرب والشرق"[1].

هذه الحملة الصليبيّة الجديدة سوف يُكتب لها أن تستمرّ في عمليّاتها الحربيّة السنتَين الممتدّتَين بين ٢٧ آب (أغسطس) ١١٨٩ و١٢ تمّوز (يوليو) ١١٩١. وتُعتبر العمليّات الحربيّة التي شهدها الشرق في هاتَين السنتَين من أعظم المواقع التي دارت في تاريخ القرون الوسطى. وسجّل فيها التاريخ أعمالاً من البطولة النادرة جرت في كلّ من المعسكرَين المتقاتلَين. وقد اشترك فيها أساطيل غربيّة إلى جانب الصليبيّين وملاّحون مسلمون من بيروت، وسبّاحون أمّنوا، كما الحمام الزاجل، الصلات بين صلاح الدين وجيوشه المحاصرة.

إشترك من اللاتين في هذه المعارك المقيون منهم في سورية والقادمون حديثًا في الحملة الجديدة من أوروبّة باستثناء الألمان الذين كان ملكهم قد سلك طريق البرّ، لكنّه غرق وهو يعبر نهرًا في قيليقية، فتخاذل الكثيرون من أتباعه وعادوا أدراجهم.

---

١ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ٢: ٢٣٩.

بعد أن حرّر الإفرنج مدينة عكّا تحوّلوا إلى القدس فحاصروها. وإذ أخفق صلاح الدين في الحصول على نجدة من الخليفة العبّاسيّ، استسلمت المدينة. وكان من شروط الاستسلام إعادة عود الصليب الحقيقيّ الذي انتهب في حطّين، وإخلاء سبيل الحامية، في مقابل أداء ٢٠٠ ألف قطعة ذهبيّة. وفي حال عدم دفع المال بعد مضيّ شهر، يأمر قلب الأسد بالألفَين والسبع مئة أسير ليقتلوا عن آخرهم[١].

ويضع كبير مؤرّخي الشرق الأوسط، لكتابه، نهاية ذلك الفصل من الزمن الذي سطع في سماء شرقه إسم صلاح الدين الأيّوبي على الصورة التاية:

> وكان ريكاردُس وجدانيّ الخيال، فاقترح على صلاح الدين، حسمًا للنزاع، أن تُزف أخت ريكاردُس إلى أخ صلاح الدين الأصغر، الملك العادل، وأن تُقدّم عكّا والقدس للعروسَين هدية زفاف، فيكون بذلك ختام النضال المسيحيّ الاسلاميّ. وفي أيّار (مايو) ١١٩٢ قام ريكاردُس بمنح الملك الكامل ابن الملك العادل رتبة الفروسية في احتفال رسميّ مهيب، وكان عمّه صلاح الدين قد مُنح، قبل ذلك بسنين عديدة، هذه الرتبة السامية من رتب الفروسيّة المسيحيّة. وقد تبادل ريكاردُس وصلاح الدين الهدايا. لكن لم يُقدّر لهما أن يلتقيا. وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١١٩٢ تمّ الصلح بينهما على أنْ يكون الساحل، من مدينة صور إلى الجنوب، تابعًا للاتين، وأن يبقى الداخل بيد المسلمين، وألاّ يعترض أحد سبيل الحجّاج الوافدين على القدس. وهكذا قُسِّمت فلسطين، وودّع ريكاردُس سورية، وعاد أدراجه إلى وطنه. وفي مستهلّ شهر آذار (مارس) من العام التالي، توفّي صلاح الدين على أثر حمّى أصابته، وله من العمر خمس وخمسون سنة. ولا يزال قبره القائم إلى جانب المسجد الأمويّ من أجلّ المزارات في العاصمة السوريّة[٢].

---

١ ـ راجع: ابو شامه، ٢: ١٨٨؛ ابو الفداء، ٣: ٨٣ ـ ٨٤؛ إبن شداد، ١٦٤ ـ ١٦٥؛ قابل: BENEDICT OF PETER BOROUG, ED: W. STUBBS (LONDON, 1867) II: 189.

٢ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ٢٤٠.

أمّا الإرث الذي خلّفه صلاح الدين فقد بلغ سبعة وأربعين درهمًا وقطعة واحدة من ذهب، لكنّ الذكرى التي خلّفها لا تزال كنزًا يفوق كلّ تقدير في تراث الشرق.

تأرجح وَضع القُدس
بينَ الفرنجَة والمسلِمين

مثلما حصل في حالات إرث عظماء التاريخ، فإنّ تاريخ أمراء الأسرة الأيّوبيّة، منذ وفاة صلاح الدين سنة ١١٩٣ حتّى هلاك آخر أمير منهم سنة ١٢٥٠، لم يكن سوى سجلّ من الدسائس والصراع في ما بينهم، إذ كان لكلّ منهم أطماع توسّعيّة إقليميّة، وقد تمرّدوا جميعًا على سلطة سلاطين مصر الأيّوبيّين الذين كان أوّلهم الملك العادل أخا صلاح الدين، بينما كان إبنا صلاح الدين الوريثَين لأبيهما في المنطقة السوريّة التي قُسّمت بينهما. وقد نشأت بعد العادل أسر أيوبيّة عديدة تولّت الحكم في مصر ودمشق والعراق، وظهرت منها فروع أخرى في حمص وحماة واليمن[١].

لم يكن حال الصليبيّين، لجهة التفسّخ والفتن، أفضل ممّا كان عليه حال المسلمين. "ولم يكن الجمهور في أوروبّة طيلة القرن الثالث عشر، ليلقي بالاً إلى هذه الحروب. ولم يجهّز منها ما هو شبيه بالحملة الصليبيّة الأولى، من حيث أنّها تخلّفت عن الدوافع الدينيّة، إلاّ حملات القدّيس لويس ملك فرنسا في أواسط ذلك القرن. على أنّ عددًا من الحملات الصليبيّة التي جُهّزت في هذا العصر قد وُجّه إلى مصر على أمل أن يبلغ

---

١ - راجع: WIET, L'EGYPTE ARABE, P. 59.

البحر الأحمر، ويساهم في النشاط التجاريّ العامر في المحيط الهنديّ، على افتراض أنّ احتلال دمياط أو الإسكندريّة، مثلاً، قد يمكّن من استبدال القدس بإحدَيهما"[1].

في خلال هذه الأجواء التي فقد فيها الصليبيّون روح الجهاد تمامًا، مثلما فقدها المسلمون، وفي خلال الاضطرابات التي نشبت ما بين أمراء السلالة الأيوبيّة، إذ كان واحدهم يستدعي الإفرنج لمساعدته على الآخر، سواء كان هؤلاء أمراء في مصر أو دمشق أو حلب أو حماة أو حمص أو الكرك أو غيرها، أخذت المدن التي احتلّها صلاح الدين، كبيروت وصفد وطبريّة، تعود تباعًا إلى أيدي الإفرنج الذين كانوا ينتهزون الخلافات الأيّوبيّة، ليحصلوا على مغانم جوهريّة، حتّى أنّهم استعادوا القدس بالطرق الدبلوماسيّة، عندما تخلّى الملك الكامل ابن العادل: شقيق صلاح الدين، عن القدس لفريدريك الثاني ملك صقليّة، سنة ١٢٢٩، بموجب معاهدة عُقدت لعشر سنوات، تعهّد فريدريك بموجبها بأن يقدّم الدعم للسلطان الأيّوبيّ على أعدائه وجلّهم من الأيّوبيّين[2]. ولم تعد المدينة المقدّسة إلى حوزة الإسلام قبل سنة ١٢٤٤ عندما عمد نجم الدين ابن أخي الكامل إلى الاستخدام في القتال قوّة من الأتراك الخوارزم الذين أخرجهم جنكيزخان من موطنهم في آسية الوسطى.

وذكر باحثون أنّه بموجب اتّفاقيّة الهدنة التي عُقدت عام ١٢٢٩ بين فريديريك الثاني والملك الكامل، أعاد الملك الكامل إلى الصليبيّين القدس وبيت لحم والناصرة. أمّا الأسباب التي حملت الطرفَين على توقيع الهدنة، فهي حاجة الملك الكامل إلى عون خارجيّ لمواجهة أطماع أخيه "المعظّم" وحلفائه الخوارزميّين. أمّا فريديريك، فقد تعرّض لضغط شديد من البابويّة للقيام بحملة صليبيّة جديدة تُصلح الوضع الذي نجم

١ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ٢٤٢.

٢ ـ راجع: ابن الأثير، الكامل، ١٢: ٣١٥؛ ابو الفداء، ٣: ١٤٨.

عن إخفاق الحملة الخامسة. ولمّا ماطل فريديريك، هدّده البابا بالحرم الكنسيّ في أواخر أيلول (سبتمبر) ١٢٢٧، فاضطرّ مكرهًا إلى التوجّه إلى الشرق ومعه خمسمائة فارس، لا ليحارب، بل ليفاوض الكامل. فالظروف التاريخيّة والصداقة القائمة بينهما دفعت هذَين الملكَين إلى التفاهم وتفادي الحرب التي كان الطرفان في غنى عنها. وحتّى سنة ١٢٢٨، لم يتقدّم الملك فريديريك إلى القدس وأقام في عكّا، الأمر الذي دفع البابا غريغوريوس التاسع إلى حرمانه. ونقل صكَّ الحرمان الرهبان الفرنسيسكان إلى البطريرك اللاتينيّ في عكّا، ما أثار حفيظة الملك على الرهبان وعاقبهم[1].

ويذكر المرجع نفسه أنّه في مدّة الهدنة بين ١٢٢٩ ـ ١٢٤٠، عاد البطريرك اللاتينيّ المقيم في عكّا إلى القدس مع كهنته ورهبانه، ويُعتقد أنّ الرهبان الفرنسيسكان رافقوه في هذه العودة من غير أن تكون لهم صلاحيّات معيّنة في إدارة شؤون البلاد الدينيّة أو في الأماكن المقدّسة، بل كان وجودهم عبارة عن حضور رهبانيّ بإشراف بطريرك القدس، أسوةً بغيرهم من رجال الدين. وبانتهاء الهدنة عام ١٢٤٠، دخل المسلمون المدينة وأخلاها الصليبيّون إلى عكّا. وأمّا الرهبان الفرنسيسكان فقد مكثوا في المدينة حبًّا للأماكن المقدّسة[2].

وإذ كان الشقاق قد استشرى في صفوف الإفرنج واشتدّت المنافسة بين أهل جنوى منهم وأهل البندقيّة، واستحكم التحاسد بين الفرسان الهيكليّين والفرسان الإسبيتاريّين، ونشب النزاع بين زعمائهم، لم يعد بوسع هؤلاء أن يستغلّوا التفسّخ الأيّوبيّ مثلما فعلوا من قبل ومثلما استعان المسلمون بالصليبيّين على المسلمين، فها هم الصليبيّون في هذه الخصومات، يستعينون بالمسلمين ضدّ الصليبيّين.

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٥٥.

٢ ـ كلداني، المرجع السابق؛ راجع الرهبان الفرنسيسكان أدناه.

كانت الحملة الصليبيّة السادسة[1] الأبرز بين الحملات التي تلت الحملة الثالثة، وقد كان لقدوم ملك فرنسا القدّيس لويس (الملك لويس التاسع ١٢١٤ ـ ١٢٧٠) تأثير فعّال في إعادة ضخّ شيء من الجهاد الدينيّ في نفوس مقاتلي الإفرنج. وقد قضى هذا الملك القائد أربع سنوات في سورية (١٢٥٠ ـ ١٢٥٤) حيث حصّن يافا وعكّا وقيصريّة وصيدا التي كان يحتلّها الصليبيّون، ورمّم الحصن الذي اتّخذه مقرًّا له في صيدا، وأقام الفرسان الهيكليّين على حمايته.

كان لويس، بالنسبة إلى سائر القادة الصليبيّين، أطهرهم قلبًا وأسماهم خلقًا، بل لقد كانت له شخصيّة القدّيس الحقيقيّ كما يذكر مؤرّخو الحقبة الصليبيّة. وكان أوّل مَنْ قاد حملة صليبيّة ضدّ مصر سنة ١٢٤٩، فاستولى على دمياط، في دلتا النيل، على رأس جيشه الفرنسيّ، ثم قاد جيشه نحو القاهرة. ولكنّ جيش المماليك التابع للسلطان الأيّوبيّ عاهل مصر، قد قضى على الغُزاة الفرنسيّين في معركة المنصورة على طريق القاهرة، وأسر الملك لويس الذي استوجب تحريره إرجاع دمياط ودفع فدية كبيرة.

في عَصرِ المماليك

في هذه الحقبة برز خطر جديد مُداهِم أخذ ينذر بسوء العاقبة، قد ذرّ قرنه هذه المرّة من صوب الشرق. إنّهم التتر، الذين راحت قبائلهم المغوليّة تجتاح سورية من

---

١ ـ إختلف المؤرّخون في ترقيم الحملات الصليبيّة، فبينما اعتبر بعضهم أنّ الحملة التي قادها القديس لويس هي الحملة السادسة اعتبر آخرون أنّ هذا الملك القدّيس قد قاد الحملتَين السابعة والثامنة.

الشمال باتّجاه الجنوب. ففي سنة ١٢٥٨ استولت هذه الجيوش الزاحفة من مجاهل آسية الوسطى على بغداد فاستسلمت المدينة للنهب والذبح وقُتل فيها أكثر من مائة ألف إنسان، وهُدمت أحياء بكاملها، وقُتل الخليفة العباسيّ المستعصم باللّه، آخر الخلفاء العبّاسيّين (١٢٤٢ ـ ١٢٥٨). وإذ أُلغيت الخلافة العبّاسية نهائيًّا، بقيت عاصمتهم بغداد مدينة مدمّرة طوال ما تبقّى من القرن الثالث عشر وكامل القرن الرابع عشر. وفي الموصل شماليّ العراق أعلن العاهل الأيّوبيّ خضوعه للمغول. وفي السنة التالية سقطت حلب بعد مقاومة شهرَين فنهبها المغول، ما أفزع جارتها دمشق التي استسلمت بلا مقاومة بعد أن هرب أميرها الأيّوبيّ نحو الجنوب. ومن هناك اندفع الفاتحون المجتاحون حتّى غزّة. "وبينما كان الأمراء الأيّوبيّون، أحفاد صلاح الدين، يتنافسون في سورية في ما بينهم على الاستقلال المهين أمام المغول، اتّخذ المماليك الأتراك، في مصر، المبادرة ضدّ العدوّ الآسيويّ الجديد، وعزموا على المجابهة عسكريًّا. وبعد معركتَين في فلسطين اندحر المغول على يد ثالث سلاطين المماليك: قطز (١٢٥٩ ـ ١٢٦٠) الملقّب بالملك المظفّر الذي أرجعهم إلى ما وراء الفرات"[١].

المماليك، جمع مملوك كلمة عربيّة تعني: عبيدًا، أو أرقّاء، بشرتهم غير سوداء، يتحدّرون من أجناس وعناصر بشريّة متعدّدة، كان يؤتى بهم فتيانًا من شمال البحر الأسود والقوقاز. وكان معظمهم آسيويّين، من أتراك وشركس، اعتنقوا الإسلام في سنّ مبكّرة. إستعان بهم الأيّوبيّون للخدمة العسكريّة مثلما استعان العبّاسيّون يومًا بالأتراك السلجوقيّين. وكما فعل الأتراك بالعبّاسيّين، فعل المماليك بالأيّوبيّين، فتمكّن بعض زعمائهم من الوصول إلى الحكم، وأسّسوا في مصر سلالتَي المماليك البحريّة

---

١ ـ بولس، التحولات، مرجع سابق، ص٢٩٠.

والبرجيّة. فالبحريّون (١٢٥٣ - ١٣٨٢) اشتراهم أيوب الصالح نجم الدين وانشأ منهم فصيلة الحرس، وأسكنهم جزيرة الروضة على بحر النيل، فدُعوا بالبحريّين. والبرجيّون (١٢٨٣ ـ ١٥١٧) من مماليك السلطان قلاوون. أقاموا في برج قلعة القاهرة فُدعوا بالبرجيّين.

كان قطز حفيد أيبك الملقّب بالمعزّ، أوّل سلاطين المماليك البحريّين (١٢٥٤ ـ ١٢٥٧) وهو الذي اغتيل بدسيسة شهيرة من شجرة الدرّ، التي كانت والدة السلطان الأيّوبيّ القاصر طوران شاه، وقد قتله المماليك وأجبروا شجرة الدرّ على أن تتزوّج زعيمهم عزّ الدين أيبك سنة ١٢٥٤.

عندما دحر قطز المغول سنة ١٢٦٠ في فلسطين وأرجعهم إلى ما وراء الفرات، دخل هذا السلطان المملوكيّ الثالث في احتفال مهيب إلى دمشق حيث استُقبل كمحرّر عظيم. إلاّ أنّ البطل الحقيقيّ الذي انتصر على المغول لم يكن السلطان قطز بل كان قائده: بيبرس، التركمانيّ الأصل، وهو قد نشأ عبدًا في حضن الدولة الأيّوبيّة. وبينما كانت قافلة النصر عائدة من سورية إلى مصر، إنقضّ القائد على السلطان فقتله واغتصب الحكم لنفسه، وأصبح اسمه: الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (١٢٦٠ ـ ١٢٧٧). وقد غدا أعظم سلاطين دولة المماليك إطلاقًا، وهو الذي جاء على رأس سلسلة من السلاطين الذين سدّدوا إلى سورية اللاتينيّة الضربات القاضية الأخيرة، وقضوا تمامًا على مملكة قيليقية الأرمنيّة. ولقد تمكّن بيبرس من إعادة توحيد مصر وسورية ليغدو من ثمّ قادرًا على مواصلة الحرب المقدّسة، "فشنّ بين سنتَي ١٢٦٣ و١٢٧١ غارات سنويّة على معاقل الإفرنج حتّى خضعت له تباعًا، ومع أنّ الفرسان الهيكليّين والإسبيتاريِّين كانوا معتصمين في حصون منيعة، كانت للدولة اللاتينيّة بمثابة المتراس، فقد عجزوا عن الصمود أمام ضرباته المتتالية. ففي سنة ١٢٦٣ احتلّ

بيبرس الكرك، وهدم كنيسة الناصرة الجليلة. وبعد ذلك بسنتَين ظفر بقيصريّة على أثر هجوم مفاجىء. وبعد حصار دام أربعين يومًا تسلّم أرصوف من يد الفرسان الإسبيتاريِّين. وفي سنة ١٢٦٦ ألقت صفد السلاح وأُبيدت غدرًا حاميتها التي بلغت الألفَين بعد أن مُنحوا الأمان...، وفي ١٢٦٨ سقطت يافا واستسلمت قلعة شقيف أرنون. وأهمّ من ذلك كلّه أنّ أنطاكية نفسها ألقت سلاحها. وقد سقط من حاميتها وسكّانها ستّة عشر ألفًا تحت حدّ السيف، وأُسر ماية ألف، فبيع الصبيّ منهم باثنَي عشر درهمًا والبنت بخمسة. أمّا المدينة نفسها بقلعتها القديمة وكنائسها الشهيرة فقد جُعلت طعامًا للنار. وهي ضربة لم تصحُ منها أنطاكية حتّى الآن"[1].

هدم سقوط أنطاكية معنويّات الإفرنج، فسارعوا إلى إخلاء عدد من الحصون الصغرى القريبة، ثمّ استسلم حصن الأكراد المنيع بعد حصار قصير لم يدم أكثر من نصف شهر في ربيع ١٢٨١، وهو الحصن الذي حمى لسنين عديدة الممرّ الواصل ساحل لبنان الشماليّ بسورية. وقُهرت حصون مصياف والقدموس والكهف والخوابي التي كانت جميعًا بيد الحشّاشين أحلاف الإسبيتاريِّين، وكانت تقع في منطقة النصيريّة. فسارعت طرطوس، وهي حصن الهيكليّين الرئيسيّ، وقلعة المرأب وهي بيد الإسبيتاريِّين إلى عقد الصلح[2].

بموت بيبرس سنة ١٢٧٧ استقرّ من تبقّى من الصليبيّين، على قلّتهم، في ظلّ الهدنة التي كانوا عقدوها مع السلطان الراحل سنة ١٢٧٢ لمدّة عشر سنوات. وقد

---

١ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ٢٤٤، بالاستناد إلى: ابن الفرات، التاريخ، نشر قسطنطين زريق، ج٧، (بيروت، ١٩٤٢)، ص٨٢؛ المقريزي، كتاب السلوك في معرفة دول الملوك، ترجمة كاترمير (باريس، ١٨٥٤) ج١، ق٢، ص ٢٩ ـ ٣٠، ٥٢ ـ ١٥٤ أبو الفداء، ٤: ٣ ـ ٥؛ إبن العبري، ص ٥٠٠.

٢ ـ راجع: الإدريسي، نشر غولد ميستر، ص ١٨ ـ ٢٢.

خلف بيبرس سلطانان ضعيفان: بركة خان السعيد ناصر الدين (١٢٧٧ ـ ١٢٧٩) ثمّ سلامش العادل بدر الدين الذي لم يحكم سوى أشهر من سنة ١٢٧٩. عقبهما سلطان قويّ لا يقلّ عن بيبرس حمية هو قلاوون (١٢٧٩ ـ ١٢٩٠) الملقّب بالملك المنصور.

جدّد قلاوون الهدنة في ١٥ نيسان (إبريل) ١٢٨٢ مع الفرسان الهيكليّين في طرطوس لعشر سنوات وعشرة أشهر. ثمّ في ١٢٨٥ عقد هدنة مماثلة مع أميرة صور الصليبيّة التي كانت بيروت في حوزتها. وحاصر قلعة المرقب شهرًا ونيّفًا إلى أن استسلمت في ربيع ١٢٨٥ وسيقت حاميتها من فرسان الإسبيتاريِّين مخفورة إلى طرابلس التي كانت لا تزال في يد الإفرنج. وهذه كانت أكبر مدينة لا تزال في يد الصليبيّين، سقطت بعد ذلك بأربع سنوات، ولم يبقَ سوى عكّا كموقع حربيّ مهمّ في يد الإفرنج، وقد مات قلاوون بينما كان يتهيّأ للانقضاض عليها. وإذ تسلّم القيادة من بعده إبنه الأشرف (١٢٩٠ ـ ١٢٩٣)، استأنف مهمّة أبيه فانقضّ على عكّا في ١٨ آيّار (مايو) ١٢٩١ وفتحها "ولم يراعِ عهد الأمان الذي قطعه على نفسه للهيكليّين، بل فتك بهم أشدّ الفتك، وقد غدت المدينة بحكم الزائلة من الوجود"[1].

كان سقوط عكّا بعد سقوط طرابلس إيذانًا بمصير المدن الساحليّة القليلة الباقية في أيدي الصليبيّين. وفي اليوم الذي سقطت فيه المدينة الفلسطينيّة الأخيرة، أجلى الصليبيّون عن صور اللبنانيّة. ولم يبقوا في صيدا أكثر من شهرَين. ثم انسحبوا من بيروت قبل نهاية تمّوز (يوليو). وهجروا طرطوس في بداية آب (أغسطس) ولم يبقَ من الصليبيّين سوى الهيكليّين الذين صمدوا في جزيرة أرواد حوالى إحدى عشرة سنة. فكانوا خاتمة مشهد النهاية من فصل الوجود الصليبيّ اللاتينيّ في الشرق.

١ ـ أبو الفداء، المجلّد الرابع، ص ٢٥ ـ ٢٦؛ المقريزي، ج٢، ق٣، ص ١٢٥ ـ ١٢٩.



الفَصلُ الثَّالِث

بعدَ الصليبيّين

إنفِصَالُ الشّرقِ عَن الغَرب؛

كَنيسَةُ القُدسِ بعدَ الصّليبيّين؛

جُيُوشُ التّبشِير؛

الكرمليُون؛

الفرَنسِيسكَان والدُّومِينيكَان.



إنفصالُ الشَّرقِ عَن الغَرب

بانسحاب الصليبيّين من هذه المنطقة، نشأ واقع غاب عن رؤية الكثير من الباحثين، ألا وهو أنّ ذلك الانسحاب، كان بمثابة تقاسُم غير معلن للشرق والغرب، بين المسيحيّين والمسلمين: الشرق للمسلمين، والغرب للمسيحيّين. هذا الواقع فعل فعله في شكل العلاقة بين قوى روما اللاتينيّة وقوى القسطنطينيّة الإغريقيّة المسيحيّة، والتي أصبحت بيزنطيّة. صحيحٌ أنّ بداية الحملات الصليبيّة كانت تحالفًا بين هاتَين القوّتَين، إلاّ أنّهما لم تصبحا في يوم من الأيّام قوّة واحدة، هما لم تبلغا قطّ درجة الاندماج. حتّى في أحلك أيّام المسيحيّة، بقي هناك قوى بيزنطيّة وقوى لاتينيّة. بقيت هنالك كنيستان، بقي هنالك الأمبراطور والبطريركيّة المسكونيّة في القسطنطينيّة، والبابا في روما. وهكذا فقد كان للحروب الصليبيّة، عمليًّا نتائج مناقضة تمامًا للهدف الذي كانت من أجله تلك الحروب أساسًا، إذ إنّ الصليبيّون قد غزوا الشرق تحت شعار الصليب وبهدف حماية المسيحيّين والمسيحيّة فيه. أمّا الكنيسة اللاتينيّة، فقد خرجت بعد الحملة الصليبيّة متقهقرة بشكل خاصّ، إذ إنّ المسلمين قد حاولوا بعد تلك الحملات مدّ جسور التعاون مع الكنيسة البيزنطيّة لقطع الطريق على مسيحيّي الغرب إلى الشرق، بينما لم يجد أباطرة الشرق البيزنط مفرًّا من ذلك التعاون بعد اندحار الصليبيّين من الشرق[1].

---

١ ـ راجع الجزءين الثامن والتّسع من هذه الموسوعة.

جلس البابا غريغوريُس العاشر الذيعلى على كرسيه سنة ١٢٧١، وكان من الذين أدركوا حقيقة المخاطر المهدّدة بانهيار الامارات اللاتينيّة في الشرق، لأنّه يوم انتُخب بابا، كان في فلسطين، فراح يعمل على مختلف الجبهات من أجل درء ذلك الخطر. ففاوض التتر في محاربة المسلمين، وحضّ الأمير إدوارد البريطانيّ على تنظيم حملة صليبيّة جديدة. ومرّ، وهو في طريقه من فلسطين إلى روما، بالقسطنطينيّة حيث التقى الأمبراطور ميخائيل وأظهر له استعداده للعمل الجدّي في سبيل اتّحاد الكنيستَين. وبينما أكمل غريغوريُس طريقه إلى روما، سارع ميخائيل إلى دعوة الأساقفة والأشراف إلى اجتماع عامّ، شرح بخلاله الخطر المحدق ببيزنطية، وأعرب عن إيمانه بضرورة الاستعانة بالغرب. لكنّ موقف الأمبراطور قوبل بمقاومة شديدة ومكابرة عنيدة من قِبَل المجتمعين، لا سيّما من البطريرك والأساقفة وبعض أعضاء الأسرة المالكة. ولم يتمكّن ميخائيل من استمالة سوى بعض علماء اللاهوت وعدد قليل من الأساقفة[١].

في هذه الأجواء لبّى ميخائيل دعوة البابا غريغوريُس إلى مجمع عُقد في ليون ربيع سنة ١٢٧٤، وجاء المدينة الفرنسيّة وفد بيزنطيّ أعلن خضوع كنيسة بيزنطية لسلطة روما العظمى، وأكّد على استعداد الأمبراطور للاشتراك في حملة صليبيّة جديدة[٢]. ولكنّ ردّة الفعل، في القسطنطينيّة، على خضوع الأمبراطور لسلطة روما العليا، كانت عنيفة، فاستقالَ البطريرك يوسف الأوّل احتجاجًا، وقرّعت شقيقة الأمبراطور، أفلوجيا، أخاها، وضجّ الأمراء، والتأم مجمع أرثذوكسيّ لتوبيخ الأمبراطور الذي رغم ذلك كلّه، واظب على الاتّحاد حتّى وفاته[٣].

---

١ - BRÉTIER L., *BYZANCE*, P.398.

٢ - NICEPHORUS GREGORAS, IST., VI, 1 - 2.

٣ - GRUMEL V., *EN ORIENT APRÈS LE CONCILE DE LYON*, (ECHOS D'ORIENT, 1925) PP. 321 - 322; – ROUILLARD G., *POLITIQUE DE MICHEL VIII*, (ETUDES BIZANTINE, 1944) PP. 73 - 84.

خلف البابا غريغوريُس بعد وفاته سنة ١٢٧٦ أربعة باباوات بخلال أربع سنوات كان آخرهم نيقولاوُس الذي توفّي سنة ١٢٨٠، وقد سار الباباوات الأربعة على خطى غريغوريُس. ولكن بموت البابا نيقولاوس الثالث سنة ١٢٨٠ وبموت ميخائيل الثامن سنة ١٢٨٢، وإذ كانت تدابير تثبيت الاتّحاد قد تعرقلت بسبب تسارع موت الباباوات من جهة، وبسبب الخلافات العنيفة داخل القسطنطينيّة من جهة ثانية، وبوصول مرتينُس الرابع (١٢٨١ ـ ١٢٨٥) إلى السدّة الرومانيّة من جهة، ووصول أندرونيكُس إلى السدّة الأمبراطوريّة البيزنطيّة سنة ١٢٨٨، وقيام عمّته أفلوجيا بتحريضه على فسخ الاتّحاد، سقط حلم الاتّحاد بين الكنيستَين، ما أسقط حلم تثبيت ركائز الأمبراطوريّة المسيحيّة في الشرق، وأُعيد تنظيم الحكم والكنيسة في القسطنطينيّة بشكل معادٍ للاتين[١]، لتأخذ الأحداث مجراها الذي أخذته.

كَنِيسَةُ القُدسِ
بعدَ الصَّليبيّين

وعلى أرض الواقع، دمّر المماليك المدن الساحليّة التي كانت بيد الإفرنج ومرافئها لمنع المنسحبين من النزول فيها مجدّدًا. فأضحى الساحل الممتدّ من عكّا إلى أرواد يبابا. وقد وصف إبن بطّوطة عسقلان بأنّها كانت خرابًا، وكذلك مدينة عكّا، وصور، وطبريّة، وهكذا جميع مدن الشاطىء الواقعة بين عسقلان وطرابلس خرابًا أو ما يشبه الخراب[٢]. ومن جملة الكنائس والأديار التي دكّوها بعد انسحاب الصليبيّين، هدم العامل المملوكيّ في القدس كنيسة القيامة في سنة ١٢٧٧ "وقتل قسّيسها بيده وحوّلها

---

١ ـ NICEPHORUS GREGORAS, IST., VI: 1-2.

٢ ـ راجع: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٣٩؛ إبن بطوطة، تحفة النظار، ١: ١٢٦ ـ ٢٣١.

إلى زاوية إسلاميّة[1]. وهكذا فقد ترك الصليبيّون القدس في وضع أسوأ ممّا كان عليه، مسيحيًّا، حين قدومهم. فلمّا جاء الصليبيّون إلى القدس في حملتهم الأولى، كانت كنيسة القيامة في القدس مهدّمة، وبطريركها وأساقفتها لاجئين في قبرص، ولمّا غادروا ما لبث الوضع أن عاد إلى أسوأ ممّا كان عليه، فهدمت كنيسة القيامة، وكان لمّا احتلّ صلاح الدين الأيّوبي القدس عام ١١٨٧، قد انتقل البطاركة اللاتين إلى عكّا واستقرّوا فيها حتّى عام ١٢٩١، وهي السنة التي فتح فيها المماليك هذه المدينة، فأقام البطاركة اللاتين بعد ذلك في الغرب حتّى سنة ١٨٤٨ حين عادوا إلى المدينة المقدّسة بقرار من البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ ـ ١٨٧٨). قبل ذلك التاريخ، كان الرهبان الفرنسيسكان قد أمّنوا حضورًا متواصلاً للكنيسة الكاثوليكيّة في الأراضي المقدّسة، منذ حجّة مؤسّسهم القديس فرنسيس الأسيزي ومن صحبه من الرهبان[2] كما سيأتي.

ليس هذا وحسب، بل وفي سنة ١٤٤٥ قام الملك الظاهر سيف الدين جقمق (١٤٣٨ ـ ١٤٥٣) بتجهيز خاصكيٍّ اسمه إينال باي... فحضر إلى القدس الشريف "بمرسوم من الملك الظاهر بالكشف على الديارات وبهدم ما استجدّ بدير صهيون وغيره. وانتزاع قبر داوود من النصارى. فهُدم البناء المستجدّ بصهيون، وأُخرج قبر داوود من أيدي النصارى، ونُبشت عظام الرهبان المدفونين بالقبو الذي به قبر داوود... وكان ذلك اليوم مشهودًا. وفي تلك السنة وقع البطش بالنصارى، فأُخرج المسجد من دير السريان وسلّم للشيخ محمّد المشمّر وصار زاوية. وهُدم البناء المستجدّ ببيت لحم وبالقيامة، وقُلع الدرابزين الخشب... وأُخذ إلى المسجد الأقصى بالتكبير والتهليل. وكُشفت جميع الديارات وهُدم ما استجدّ بها[3]".

---

١ ـ النويري، نهاية الأدب، طبعة باريس، ج٢٩، ص ٩٨. ٢ ـ كلداني، مرجع سابق.

٣ ـ الحنبلي مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

جُيُوشُ التَّبشِير

كان رجال الفكر المسيحيّ في الغرب قد اقتنعوا بإخفاق الوسائل العسكريّة في معاملة المسلمين، بعد أن كان بعض الروّاد منهم قد دعا منذ أواسط القرن الثاني عشر إلى تركيز الاهتمام على الوسائل السلميّة، وخاصّة التبشيريّة منها. وكان الكاهن القطلاني "بيموند لال" المتوفّي سنة ١٣١٥ أبرز أوروبّيّ شدّد على أهميّة الدراسات الشرقيّة كأداة فعّالة لنضال سلميّ يعتمد الإقناع وسيلة بدلاً من الإكراه. وكان ريموند قد تعلّم العربيّة على يد عبد، ثمّ اشتغل في تعليمها. وبتأثيره جرى الروح الصليبيّ في مجرى جديد هو اقناع المسلمين باعتناق المسيحيّة بدلاً من محاولة إبادتهم[١].

الكرمليُّون

وكان من القائلين بهذه الوسيلة أحد الصليبيّين الذي أسّس الأخويّة الكرمليّة على جبل الكرمل الفلسطينيّ، فنُسبت إليه، وقد تعدّدت الآراء حول مؤسّسها وتاريخ تأسيسها، إذ ذكر بعضهم أنّها أسّست سنة ١١٥٧، وقال أنّ الكرمليّين كانوا في الأصل نسّاكًا أقاموا في جبل الكرمل في حيفا منذ القرون البعيدة، ثم انتظموا في القرن الثاني عشر بموجب قانون رهبانيّ وضعه لهم البطريرك ألبرتس، أحد بطاركة القدس المقيمين في عكّا. وما زال هؤلاء الرهبان مقيمين في ديرهم في حيفا حتّى اليوم. وبالإضافة إلى استقبال حجّاج الأرض المقدّسة، فإنهم رعوا شؤون الرعيّة اللاتينيّة في حيفا منذ العصور القديمة وما زالوا يرعونها حتّى اليوم. ومن حيفا انتشروا في أنحاء العالم العربيّ وفي العالم كلّه. ومنهم اليوم عدد من المطارنة في مجلس الأساقفة

---

١ ـ حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ٢٦٣.

اللاتين في البلدان العربيّة، فمنهم المطارنة اللاتين في لبنان والعراق والكويت[1]. بينما تقول مراجع كلاسيكيّة بأنّ الرهبانيّة الكرمليّة قد أُسّست سنة ١١٨٥[2]، وعدّ باحثون القدّيس سيمون ستوك الإنكليزيّ المتوفّي سنة ١٢٦٥ المؤسّس الثاني لهذه الرهبانيّة[3]. وفي خضمّ الحروب التي جرت في فلسطين نزح الكرمليّون إلى قبرص سنة ١٢٣٨، ومنها إلى روما[4]. وقد أقام القدّيس سيمون ستوك الإنكليزيّ أديرة لها في أوكسفورد وكمبريدج وباريس وبولونيا، وجمع في نظامها بين نظامَي الفرنسيسكان والدومينيكان. وفي روما أُسّس لهذه الجمعيّة فرع للنساء سنة ١٤٥٢ حمل اسم جمعيّة الراهبات الكرمليّات، عظمت أهميّتها بعد الإصلاحات التي أدخلتها إليها القدّيسة تيريزيا الآبِليّة (١٥١٥ ـ ١٥٨٢) الراهبة الكرمليّة الإسبانيّة الشهيرة، التي أسّست ديرًا للكرمليّات في مسقط رأسها أبيلا بإسبانيا وألحقت به عدّة أديار، ولها مؤلّفات في التصوّف المسيحيّ أهمّها تاريخ حياتها "طريق الكمال"، و"الحصن الداخليّ"، وشاركت أحد أبرار هذه الرهبانيّة القدّيس يوحنّا الصليبيّ الكرمليّ (١٥٤٢ ـ ١٥٩١) في مجهوده الموفّق

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٥٦.

٢ ـ المنجد في الأعلام، المطبعة الكاثوليكيّة، دار المشرق (بيروت،١٩٧٦)، ص٥٨٧.

٣ ـ الموسوعة العربيّة الميسّرة، ط٢، دار الجيل (بيروت، ٢٠٠١) ٣: ١٩٤٨.

٤ ـ يعتبر باحث لبنانيّ من آباء الرهبانيّة اللبنانيّة أنّ الكرمليّين يُنسبون إلى جبل الكرمل الذي قصده، متنسّكًا، أحدُ زعماء الصليبيّين سنة ١١٥٤، ثمّ لحق به عدد من الحبساء يعيشون حسب القانون الذي سنّه للنسّاك القدّيس باسيليوس أسقف قيصريّة قبدوقية (٣٢٩ ـ ٣٧٩)، إلى أن انتظم الجميع في رهبانيّة ذات قانون خاصّ سنة ١٢٢٤، أقرّه سنة ١٢٤٥ البابا اينوشنسيوس الرابع (١٢٤٣ ـ ١٢٥٤)، يلحظ الصلوات الليليّة، والقطاعة الدائمة والصوم والصمت والاستعطاء، إلاّ أنّ البابا أوجين الرابع (١٤٣١ ـ ١٤٤٧) رأى في قانون الرهبانيّة من الصرامة ما لا يتحمّله عامّة المتنسّكين فخفّف منها بعض الشيء واضعًا لها نظامًا جديدًا. ثمّ أقرّ البابا اقليمنضوس الثامن (١٥٩٢ ـ ١٦٠٥) النظامَين جاعلاً الكرمليّين فرعَين مستقلّين، ينقطع الأوّل عن العالم إلى حياة النسك، ويدخله الثاني واعظًا مبشّرًا معلّمًا. وقد عرف لبنان الآباء الكرمليّين منذ السنة ١٦٤٣، وقد أتوه من حلب حيث أقاموا منذ السنة ١٦٢٧، فاستقرّوا مبشّرين معلّمين، في طرابلس أوّلاً، ثمّ في بشرّي... راجع: زنده الأب أغوسطين، "التاريخ اللبناني"، تقديم وتحقيق الأب جوزف قزّي، جامعة الروح القدس (الكسليك،١٩٨٨).

لإصلاح الكنيسة وبثّ روح التقوى، هذا القدّيس يُعدّ من علماء التصوّف المسيحّي، لـه مؤلّفات تتّسم بدقّة التحليل وعمق التفكير وسهولة الأسلوب وحيويّته، أهمّها "أنشودة الفرح"، و"الليلة الظلماء". ومن مشاهير هذه الرهبانيّة القدّيسة تيريزيا الطفل يسوع (١٨٧٣ ـ ١٨٩٨) التي لا يزال قبرها من أبرز المزارات الفرنسيّة في "ليزيو"، ويجري حاليًّا تطواف برفاتها حول العالم، وكان آخرها في لبنان سنة ٢٠٠٢، ولهذه القدّيسة كتاب "حياة نفس". وقد كان لهذه الرهبانيّة شأن في الحياة الجامعيّة، ولا تزال هذه الرهبانيّة بفرعَيها ناشطة في أقطار عديدة من العالم. ولها في الشرق أديار منذ القرن السابع عشر لا تزال عاملة حتّى اليوم، منها في حلب منذ ١٦٢٧، وبغداد منذ ١٧٢٢، وماردين منذ ١٧٤٧، وكذلك في حيفا، وبشرّي[1] وطرابلس[2] والقبيّات[3] ومجدليّا زغرتا، والحازميّة (١٩٦٦) في لبنان؛ وكان الكرمليّون قد أنشأوا سنة ١٨٨٥ إرساليّة "بيلان" قرب اسكندرونة. واشتغلوا كثيرًا في سبيل جلب الأرمن إلى الكثلكة.

---

١ ـ أقام الرهبان الكرمليّون في دير مار سركيس في بشرّي الذي وقفه لهم أعيان بشرّي سنة ١٧٠١، وقد انتقلوا إليه من صوامعهم في دير مار اليشاع في وادي قاديشا حيث كانوا يقيمون مع رهبان دير مار ليشع منذ سنة ١٦٤٣، فجدّدوا البناء وحوّلوه إلى دير لهم على اسم مار سركيس وشغلوه حتّى سنة ١٩٠٨، وقد بنى الكرمليّون ديرهم على مراحل كان آخرها سنة ١٨٦٢. ويذكر مؤرّخون أنّ شقيقة جبران مريانا قد حقّقت حلم أخيها جبران الذي طلب في وصيّته دفنه في محبسة دير مار سركيس، فاشترت مريانا الدير والمحبسة والغابة التي يقوم فيها الدير سنة ١٩٣١ من الرهبان الكرمليّين الذين تجاوبوا مع رغبة جبران في بادرة كريمة منهم وتلبية لوصيّته ولتمنّيات الكثيرين من أبناء بشرّي، ودُفن جبران في المحبسة بعد نقل جثمانه إلى بشرّي في ٢٢ آب (أغسطس) ١٩٣١، ونقل رفاته إلى المحبسة في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٢. كلّ ذلك جرى قبل إنشاء "لجنة جبران الوطنيّة" التي أُسّست سنة ١٩٣٤ والتي حوّلت الدير متحفًا لجبران سنة ١٩٧٥.

٢ ـ كان الكرمليّون في طرابلس قبل رحيل الصليبيّين عنها، فرحلوا معهم، ثمّ عادوا إليها في القرن السابع عشر.

٣ ـ يعود الفضل في بناء دير الآباء الكرمليّين ومدرستهم في القبيّات إلى آل حبيش الذين وهبوا الكرمليّين أرضًا شاسعة لقاء إقامة اثنَي عشر قدّاسًا في السنة لراحة أنفس المتوفّين من الأسرة، وشرط دفن موتاهم في مدفن خاصّ تحت الكنيسة، وتعهّد الآباء بتعيين المتعلّمات من بنات العائلة مدرّسات في مدرستهم، ودوّنت هذه الهبة المشروطة على لوحة نحاسيّة محفوظة لدى الآباء الكرمليّين. وبدأ الرهبان الكرمليّون الطليان ببناء الدير والمدرسة سنة ١٨٤٠ وأنهوا البناء ١٨٥٢.

وللراهبات الكرمليّات "دير الكرمل" المعروف باسم "دير والدة الإله والوحدة" في درعون[1]، أنشئ سنة ١٩٦٢ بعد أن أتى من إسبانيا الى لبنان عشر راهبات كرمليّات عزمن على اتّخاذ الطقس الشرقيّ واقتباس العادات الشرقيّة. ولهنّ أيضًا مدرسة في الفنار[2] أُنجز بناؤها سنة ١٩٦٤ وهي بإدارة راهبات كرمليّات إيطاليّات. وقد اشتهر من أبناء رهبانيّة الكرمليّين في لبنان، الأب بطرس (أنستاس) جبرائيل عوّاد (١٨٦٦ ـ ١٩٤٧) وهو كاهن ومناضل ولغويّ وصحافيّ ومؤلّف، وُلد في بغداد من أبوَين لبنانيَّين، درس الفلسفة في بلجيكا واللاهوت في مونبلييه فرنسا، أتقن اليونانيّة والسريانيّة واللاتينيّة والصابئة والحبشيّة إضافة إلى العربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة والإيطاليّة والإسبانيّة والتركيّة والألمانيّة، سيم ١٨٩٤ كاهنًا كرمليًّا باسم الأب أنستاس وعاد إلى لبنان، نفاه الأتراك إلى الأناضول ونهبوا مكتبته التي كانت تضمّ ٨,٠٠٠ مجلّد، عاد إلى بغداد حيث أنشأ مجلّة "لغة العرب"، صاحب أثر أساسيّ في نهضة العراق العلميّة، أحيى التراث العربيّ القديم، نفاه الأتراك إلى الأناضول وأتلفوا خزائن مكتبته الضخمة، تابع نضاله بعد الحرب وألّف ٦٨ مصنّفًا؛ ومنهم إبن إهدن الأب كاميليو المقسيسيّ، الرئيس العامّ العالميّ للرهبانيّة الكرمليّة اليوم؛ والأب كرمللو فنيانوس، وهو الآخر من إهدن، والرئيس الإقليميّ للرهبانيّة الكرمليّة في لبنان والشرق الأوسط ومصر؛ والأب روفايل الشيخا الدويهي الإهدني، رئيس عام الرهبانيّة الكرمليّة في المكسيك.

---

١ ـ **درعون:** بلدة في وسط كسروان من أعمال قضاء كسروان الفتوح من محافظة جبل لبنان.

٢ ـ **الفنار:** ضاحية لبيروت في ساحل قضاء المتن.

الفرَنسِيسكَان والدُّومِينِيكَان

في أوائل القرن الثالث عشر، نشأت أخويّتان رهبانيّتان: الفرنسيسكان والدومينيكان، وقد أنشأ كلّ من هاتَين الأخويّتَين فروعًا في العديد من مدن الشرق. وقبل نهاية ذلك القرن كان للفرنسيسكان في بيروت كنيسة كبيرة.

أمّا مؤسّس الأخويّة الفرنسيسكانيّة فهو القديس فرنسيس الأسيزي[1]، الذي زار سنة ١٢١٩ بلاط الأيّوبيّين في مصر، حيث أجرى مناقشة مع السلطان الكامل الأوّل محمّد بن أحمد (١٢١٨ ـ ١٢٣٨)، تركّزت على المواضيع الدينيّة، ولكنّها كانت في النتيجة عقيمة. غير أنّ الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة التي انصرف رهبانها إلى التعليم والتبشير في المدن، حيث نشّطوا الحياة الروحيّة في العلمانيّين، قد استمرّت في تقدّم. فقد كان رهبانها في الشرق هم "حرّاس الأراضي المقدّسة". وجاء في الرواية الفرنسيسكانيّة أنّ فرنسيس الأسيزي زار الأماكن المقدَّسة واستملك بعضها، كمغارة بيت لحم والجلجلة وجبل صهيون وكنيسة الناصرة، واستبقى بعض رهبانه فيها. وهم الذين كانت لهم في القرون الوسطى حركة علميّة مرموقة، ويُعَدّ الراهب إيليا دا كورتونا ELIA DA CORTONA أوّل رئيس للمقاطعة الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة في الشرق عام ١٢١٩. وذكر باحثون أنّ الرهبان الفرنسيسكان قد أقاموا في القدس على فترات متقطّعة بين عام ١٢٤٠ وسقوط عكّا عام ١٢٩١، والدليل على ذلك أنّ سجلّات الرهبان تذكر بعض شهدائهم في تلك الحقبة من الزمن. ولمّا أصبح، منذ ١٢٩١، منصب بطريرك القدس

---

١ ـ **فرنسيس الأسيسي أو الأسيزي (١١٨٢ ـ ١٢٢٦)**: قدّيس، مؤسّس رهبانيّة الفرنسيسكان، وُلد في أسيزي وفيها توفّي، امتاز بتواضعه وروح البساطة والفرح وحبّه للفقر، كان أثره الدينيّ كبيرًا في الغرب طوال القرون الوسطى.

فخريًّا يُمْنَح لأحد الأساقفة المقيمين في الغـرب، عهـد الكرسـيّ الرسـوليّ إلـى الرهبـان الفرنسيسكان في العناية بالأقلّيّة الباقية من اللاتين في فلسطين، بالإضافة إلـى إشـرافهم على الأماكن المقدّسة. فقد حرص البابا يوحنّا الثاني والعشرون على استمراريّة صلـة الرهبان بالأراضي المقدّسة. وأوصى في التاسع مـن نيسـان (إبريـل) عـام ١٣٢٨ بـأن يبعث رئيس الفرنسيسكان الإقليمـيّ المقيم فـي قبرص اثنَيـن مـن رهبانـه سنويًّا إلـى فلسطين. وسُمّي هذا الإقليم في تنظيمات الرهبانيّة "حراسة الأراضـي المقدّسـة"، وكـان يشـمل سـورية ولبنـان وفلسـطين وقبرص. وقـد تـبرَّع ملـك نـابّولي روجيـه دي أنجـو ROGER D'ANJOU وزوجته الملكـة دي مـاجورك SANCHE DE MAJORIQUE بالمـال اللازم لاقتناء الأماكن المقدّسة. وفاوض الملك النـاصر، نيابـة عن الملـك روجيـه دي انجـو، الراهب روجيروس غاريني ROGERUS GARINI. وصدرت في هذه المناسبة سـنة ١٣٤٢ براءتان بابويّتان: الأولى "GRATIAS AGIMUS" والثانيـة "CARISSIMAE NUPER" فـي تثبيـت حقوق الكنيسة الكاثوليكيّة فـي الأمـاكن المقدّسـة. ويَعُدّ الفرنسيسـكان هـاتَين البـراءتَين وثيقةً تأسيسيّةً لحراسة الأراضـي المقدّسة. وقد تـمَّ شـراء بعـض الأمـاكن المقدّسـة مـن بيت مال المسلمين. ويحتفظ الرهبان بوثائق شـراء هـذه الأمـاكن فـي أرشـيف حراسـة الأراضـي المقدّسـة فـي ديـر المخلّـص بـالقدس. وقـد حقّـق جولوبوفيـش هـذه الوثـائق ونشرها في كتابه: SERIE CRONOLOGICA SUPERRIORI DI TERRA SANTA على شـكل ملحـق بعنـوان FIRMANIE DOCUMENTI ARABI INEDITI. وعـدد هـذه الوثـائق اثنتـا عشـرة وثيقـة حُرِّرت سنة ١٣٠٩م - ١٣٥٧م.؛ ويشهد مؤرّخون معاصرون لتلك الأحداث المذكـورة آنفًا باستملاك الرهبان بعض الأمـاكن المقدّسـة، ومنهـم الرحّالـة لودلفـو دي سـودهايم LUDOLFO DI SUDHEIM الذي زار فلسـطين عـام ١٣٣٦، وجـاء فـي مذكّراتـه: "فـي هـذا الدير (دير صـهيون) يعيش الإخوة الحُفاة (الإخوة الأصاغر). وفي زمن زيارتي للبـلاد

(١٣٣٦) قدّمت الملكة سانشا زوجة الملك روجيه كلّ ما يلزم للدير. وفي كلّ الأوقات، يقيم الرهبان القداس علنًا وبتقوى فائقة، ويدفنون موتاهم دون دفع أتاوة للحكّام. وهؤلاء الرهبان رجال أقوياء وقادرون، يحمدهم التجّار والمسلمون على حدّ سواء لِما يصنعون من خير". وهكذا بانت تدريجًا ملامح نظام حراسة الأراضي المقدّسة. فحارس GUARDIANO دير جبل صهيون هو الرئيس الأعلى لفرنسيسكان فلسطين، وكان تابعًا للرئيس الإقليميّ المقيم في قبرص. وفي ما بعد، استقلّ حارس جبل صهيون عن الرئيس الإقليميّ المقيم في قبرص، وارتبط برئيس الرهبانيّة العامّ. وثبّت ذلك مجمع الرهبانيّة العامّ المنعقد في لوزانّ عام ١٤١٤. وفي عام ١٥٢٦ مُنح حارس جبل صهيون صلاحيّات الرئيس الإقليميّ. وتدريجًا لم يعد يُسمّى GUARDIANO بل GUSTODE أيّ مرشد ودليل. ذلك أنّ مجالات عمل الرهبان في القرنَين الخامس عشر والسادس عشر قد كانت إرشاد الحجّاج واستقبالهم، والعمل على التقارب المسيحيّ بين الشرق والغرب. وقد بدت ثمرة هذا التقارب في مجمع فلورنسا (١٤٣١ ـ ١٤٤٣)، وفي تقديم الخدمات الروحيّة للتجّار الأوروبّيين وإقامة الصلاة لهم، وأخيرًا حراسة الأماكن المقدّسة وصيانتها وإقامة الصلاة فيها بإسم العالم الكاثوليكيّ كافّة. وهذه هي رسالة الرهبان الروحيّة الكبرى والرئيسة. وإلى جانب صلاحيّات حارس الأراضي المقدّسة كمندوب بابويّ ورئيس الكنيسة الكاثوليكيّة اللاتينيّة، فقد أُنيطت به بعض المهام والصلاحيّات "شبه الأسقفيّة". وتوسّعت في فترة لاحقة رقعة حراسة الأراضي المقدّسة لتشمل سورية ومصر والحبشة وآسية الصغرى وأرمينيا واليونان. وأمّا اليوم، فإنّ رسالة الفرنسيسكان باتت تشمل فلسطين والأردنّ وسورية ولبنان ومصر وقبرص وجزيرة رودس. ولها أديرة تابعة مباشرةً لها في أوروبّة والأميركتَين[1].

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٥٦.

وكانت الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة قد تشعّبت إلى ثلاثة فروع هي: الرهبان الصغار أو المتبقّون، وهم أكبر هذه الفروع؛ والديريّون وهم حرّاس الأماكن المقدّسة؛ والكبّوشيّون[1].

تكوّنت حراسة الأماكن المقدّسة بعد الحروب الصليبيّة، في جوّ ساده العداء بين الشرق المسلم والغرب المسيحيّ. إلاّ أنّ الرهبان لم يدخلوا في منطق الحروب، بل في منطق كلمة الخير والسلام، وهو شعار مؤسّسهم القدّيس فرنسيس وشعارهم حتّى اليوم في الأرض المقدّسة: PAX ET BONUM. وقد مدَّت إلى هؤلاء "الحرّاس[2]" الممالك المسيحيّة يد العون إذذاك فزوَّدتهم بالمال اللازم للاقتناء والبناء وتأمين الخدمات الروحيّة والإنسانيّة. كما ساعدتهم أيضًا بالتوسّط لدى حكّام فلسطين للحفاظ على حقوقهم ومكتسباتهم. وما يجب إدراكه في هذا المجال، هو أنّ العصر الذي تشكّلت فيه حراسة الأراضي المقدَّسة وغيرها من الكنائس، لم يكن عصر الوحدة المسكونيّة المسيحيّة، ولم تسمح العقليّات التي كانت سائدة بإجراء أيّ تنسيق بين الكنائس المسيحيّة في سبيل عمل مشترك، بل كانت العقليّات تحمل إلى التنافر، ما جعل الدول تحكم في الخلافات بين الكنائس ولا سيّما في ما يتعلّق بالأماكن المقدّسة. وقد وقف العثمانيّون، بعد أن احتلّوا فلسطين في أوائل القرن السادس عشر، حكمًا بين اليهود والمسيحيّين وبين الأرثوذكس والكاثوليك وبين الروم واللاتين. وكان المستفيد ماليًّا من هذه النزاعات حول الأماكن المقدّسة السلاطين في الصفقات الكبيرة، ثم صغار الحكّام والولاة في الصفقات الصغيرة المتكرّرة. فكانت حراسة الأراضي المقدّسة مضطرّة إلى الالتجاء إلى الدول المسيحيّة الكبرى، خاصةً فرنسا، لتمويل هذه الصفقات

---

١ ـ الموسوعة العربيّة الميسّرة، مرجع سابق، ٣: ١٧٤٤.

٢ ـ المقصود بالحرّاس حيث ترد في هذا النص فصيل حراس الأراضي المقدّسة من الرهبان الفرنسيسكان.

وللتوسّط لدى الباب العالي، لتأكيد حقوق الرهبان. تجدر الإشارة هنا إلى أنّه من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى اندلاع حرب القرم (١٨٥٤ ــ ١٨٥٦) قضيّة الأماكن المقدّسة واختلاف وجهات النظر حولها بين روسيا وفرنسا[١].

وقد امتدّت صلاحيّات الحارس الروحيّة إلى سائر الكاثوليك المقيمين في فلسطين، ما عدا الروم الكاثوليك في الجليل، التابعين لأسقفيّة صور. وكان للحارس امتياز خاً برفع راية الحراسة فوق مبانيها ومراكزها. ومن ناحية التنظيم الداخليّ فقد كان الحارس إيطاليًّا ونائبه فرنسيًّا ووكيل الماليّة ونائبه إسبانيَّين. وتكوَّن مجلس الحراسة من أربعة أعضاء من أربع جنسيّات مختلفة، الإيطاليّة والإسبانيّة والفرنسيّة والألمانيّة. وقد تغيّر هذا النظام اليوم، فأصبح يشمل مختلف القوميّات بما في ذلك العرب من أبناء الرهبانيّة والحراسة. ويقيم حارس الأراضي المقدّسة في دير المخلّص في القدس منذ عام ١٥٥٩، بعد أن أُجبر الفرنسيسكان على التخلّي عن جبل صهيون عام ١٥٥١، وقد اشتروا دير المخلّص من الرهبان الجاورجيّين. أمّا تنظيم الحراسة الخارجيّ فهو انعكاس لمهمّة الرهبان في الأماكن المقدّسة، ولذا انقسموا إلى فئتَين: الفئة الأولى تتولّى السهر على الأماكن المقدّسة وصيانتها وإقامة الشعائر الدينيّة فيها، والفئة الثانية تتألّف من الرهبان المهتمّين بالشؤون الراعويّة، وبالخدمات الاجتماعيّة والدينيّة المختلفة[٢].

كان تجمُّع الرهبان الفرنسيسكان حول الأماكن المقدّسة الرئيسة: القدس وبيت لحم والناصرة، وحول هذه الأماكن نشأت الأديرة والمدارس والمياتم والمستوصفات والمراكز الحرفيّة. ولكلّ دير رئيس، يعمل معه عدد من الرهبان يشكّلون معًا وحدة

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٥٦ ـ ٢٥٨.

٢ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩.

ديريّة متكاملة مُنَظَّمة، تتبع الرئيس العامّ حامل لقب "حارس الأراضي المقدّسة"، وهو يقيم في دير المخلّص بالقدس. ومنذ قرون مضت وحتّى منتصف القرن التاسع عشر، عندما أُعيد تأسيس البطريركيّة اللاتينيّة والأسقفيّة الأنغليكانيّة، كانت أديرة الرهبان وخدماتها الاجتماعيّة هي المراكز الأكثر فاعليّة في الأرض المقدّسة، وأحيانًا الوحيدة في بعض الحقب التاريخيّة.

أمّا الأديرة التي قامت حول الأماكن المقدّسة، وهي بيوت الرهبان وقلاياتهم، ومنها مارس الرهبان حراسةَ الأماكن المقدّسة وخدمتها، وفيها استُضيف الحجّاج وفُتِحَت المدارس والمستوصفات، فأهمّها في فلسطين:

دير جبل صهيون، الذي سكنه الرهبان، بحسب رواياتهم التقليديّة، في عصر مار فرنسيس عام ١٢١٩. ولكن من المؤكّد تاريخيًّا أنّ هذا الدير قد غدا ملكًا للرهبان بين عامي ١٣٣٣ و١٣٣٦. وأخلى الرهبان ديرهم على مرحلتَين في عامَي ١٥٢٣ و١٥٥١. وتشترك اليوم اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام في ملكيّة جبل صهيون. فللمسيحيّين دير الرهبان البندكتيّين وآخر للفرنسيسكان، ولليهود كنيس ومدرسة دينيّة، أما عليّة جبل صهيون فقد حُوّلت إلى جامع تُمنَع الصلاة فيه على أتباع الديانات الثلاث، ويُسمَح بزيارته فقط. ويشعر الرهبان بالمرارة والأسى لفقدانهم عليّة صهيون وديرهم الأوّل: "إنّ الاحتجاج الوحيد على الظلم الذي ألمّ بنا في القرون الماضية هو الدموع والصلوات وتوسّلات أبناء مار فرنسيس الفقراء، الذين لم ينقطعوا عن طرق باب العدالة البشريّة والإلهيّة، كي يُعاد إليهم يومًا ما كنزهم المقدّس، ألا وهو عليّة صهيون والدير"[١].

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

دير المخلّص، الذي اشتراه الرهبان الفرنسيسكان من الرهبان الجاورجيّين عام ١٥٥٩. وهو أكبر أديرة الفرنسيسكان وأهمّها، وفيه يقيم الرئيس العام. وقد بُنِيَت الكنيسة الراعويّة في حرمه بين عامَي ١٨٨٢ و ١٨٨٥. وفي هذا الدير مدرسة وميتم ومطبعة وأرشيف تاريخيّ هامّ ومعامل حرفيّة ومكتبة.

دير القبر المقدّس وهو دير كنيسة القيامة، يقع في حرم كنيسة القيامة، وقد سكنه الرهبان منذ عام ١٢٤٠.

دير القدّيسة كاترينا في بيت لحم بجوار كنيسة المهد، وقد استقرّ فيه الرهبان في القرن الثالث عشر.

أمّا دير البشارة في الناصرة، فلا يُعرف متى استقرّ الرهبان فيه تمامًا، ويؤكّد بعض الرحّالة على وجود الرهبان في دير الناصرة في نهاية القرن الرابع عشر. وكان على الرهبان هجر ديرهم هذا مرارًا. فقد أُجبروا على هجره مجدّدًا عام ١٥٤٨ وعهدوا لأحد المسيحيّين الأتقياء، واسمه عيسى، بحراسة الدير وكنيسة البشارة وعُهِدَ إليه بالمفتاح، على أن يحافظ على قنديلَين مضاءَين في معبد البشارة على نفقة حارس جبل صهيون. وفي عام ١٦٢٠، حصل رئيس الرهبان العامّ تومازو دا ـ نافونا TOMASO DA NAVONA من الأمير فخر الدين المعنيّ على إذن بإعادة ترميم الدير والكنيسة. وأُعيد بناء الكنيسة عام ١٧٣٠.

وغير هذه الأديار الخمسة الشهيرة هناك اثنا عشر ديرًا يماثل تاريخها تاريخ الأديرة الخمسة الكبرى، وقد استملك الرهبان بعضها في حقبة متأخّرة وهي: دير جلد المسيح في القدس، ودير القدّيس يوحنا في عين كارم، ودير زيارة القدّيسة مريم العذراء في عين كارم، ودير القدّيسة كَلوبا في عمّاوس، ودير القدّيس نيقوديموس في الرملة، ودير القدّيس بطرس في يافا، ودير تجلّي يسوع المسيح على جبل طابور قرب

الناصرة، ودير قانا الجليل، ودير القدّيس بطرس في طبريّا، ودير كفرناحوم، ودير الورديّة في حيفا، ودير القدّيس فرنسيس في عكّا. وهناك العديد من المعابد والمزارات والأديرة التي يقيم فيها الرهبان الفرنسيسكان الصلاة في مناسبات دينيّة خاصّة ولا يسكنون فيها[1].

وينقسم تاريخ حراسة الأراضي المقدّسة إلى أربعة عصور: العصر الأوّل، وهو العصر الصليبيّ، بين سنة ١٢١٩ حتّى انتقال عكّا إلى يد المماليك سنة ١٢١٩. والعصر الثاني، وهو العصر العربيّ، ويمتدّ من سقوط عكّا في يد المماليك إلى سقوط القدس في يد الأتراك ١٢٩١ ـ ١٥١٦. والعصر الثالث، وهو العصر التركيّ، ويمتدّ من سقوط القدس في يد الأتراك إلى سقوطها في يد الإنكليز في الحرب العالميّة الأولى ١٥١٦ ـ ١٩١٧. والعصر الرابع وهو العصر الحديث، ويبدأ بعد الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٧ ويمتدّ إلى يومنا هذا.

إنحصر عمل الرهبان الفرنسيسكان في العصر الأوّل في رعاية الحجّاج وخدمة الصليبيّين الدينيّة. وفي العصر الثاني، مثّل الفرنسيسكان الكنيسة الكاثوليكيّة في فلسطين. وفي العصر الثالث تعاظمت أهميّة الحراسة، إذ منح الكرسيّ الرسوليّ حارس الأراضي المقدّسة مسؤوليّة رئيس الكنيسة الكاثوليكيّة اللاتينيّة، ومارس سلطات شبه أسقفيّة. وفي العصر الحديث تعاونت الرهبانيّة مع البطريركيّة اللاتينيّة للاستمرار في حراسة الأماكن المقدّسة وفي أداء الخدمات الراعويّة. وقد تكوّنت الرعايا في نهاية الحِقْبة الثاني وفي الحِقْبة الثالثة، بفضل جهود الرهبان الراعويّة. ويقول أحد مؤرّخي الرهبانيّة: "إنّ جميع اللاتين المحلّيّين المقيمين حاليًّا في بيت لحم والقدس وعين كارم

---

١ ـ التعريف عن هذه الأديار مأخوذ عن: كلداني، مرجع سابق، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

ويافا والرملة، وفي ثلاثين موقعًا آخر، موزّعة في سورية وقبرص وفلسطين ومصر، قد انضمّوا إلى الكثلكة هم أو أجدادهم عن يد الرهبان الفرنسيسكان". ويشرح مؤرّخ فرنسيسكانيّ كيف تكوّنت الرعايا الفرنسيسكانيّة، فيقول إنّه، في الحقبة الواقعة بين مجمعَي ليون ١٢٧٤ وفلورنسا ١٤٣٩، حصلت حركات عودة جماعيّة إلى الكثلكة في بعض الكنائس الشرقيّة. في هذه الحقبة لم يُمارِس الرهبان أعمالاً راعويّةً لأنّ مثل هذه الأعمال كانت من مسؤوليّة الكهنة والأساقفة الشرقيّين المتّحدين بروما. وبعد مجمع فلورنسا وإخفاق مساعي الوحدة، ظلّت جماعات من المؤمنين على اتّحادها بروما، ولم يكن لهذه الجماعات أساقفة وكهنة من طقسها الشرقيّ لرعيّتها. فأخذ الفرنسيسكان على عاتقهم هذا الأمر. وتذكر سجّلات الرهبانيّة عدّة حالات انضمام إلى الكثلكة، جماعيّة وفرديّة، بين عامَي ١٥٥٥ و١٦٢٢. ويشير أحد السجلاّت إلى الجماعة النسطوريّة التي كانت مقيمة في القدس واتّحادها مع روما بين عام ١٥٥٥ وعام ١٥٦٢. وتشير إحصاءات عام ١٨٦٨ إلى أنّ عدد الرعايا وصل إلى ٥٠٣٨ مؤمنًا. وآخر الإحصاءات في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يشير إلى نموٍّ سريع في رعايا الرهبان الفرنسيسكان في القدس وبيت لحم وعين كارم والرملة ويافا والناصرة وقانا الجليل وطبريّا وعكّا ومجيدل، فقد بلغ مجموع عدد الرعايا فيها ٧,٩٣٩ مؤمنًا سنة ١٨٨٩، و١١,٣٣٥ سنة ١٩٠٩. وكان عدد الرهبان الفرنسيسكان عام ١٨٧٩ نحو ٣٠٠ راهب، منهم مائة راهب يعملون في الشؤون الراعويّة. وكانت أغلبيّة الرهبان تقيم في فلسطين، وقلّة منهم في مصر وسورية وأرمينيا. وتفيد إحصائية أخرى أنّ عدد الرهبان كان ٤١٤ راهبًا عام ١٨٨٩، و٤٨٣ راهبًا عام ١٨٩٨.[1]

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

وقد فرض نظام الرهبانيّة عليها تأمين الخدمات التي لا تقدّمها الدولة لأبناء كنيستها. ولذلك نرى حراسة الأراضي المقدّسة تهتمّ بتأمين السكن لرعاياها، وفي بعض الأحيان تدفع الضرائب المتوجّبة عليهم. وقد أنشأت الحراسة أيضًا المدارس منذ القرن السادس عشر. ويرد ذكر أوّل مدرسة أنشأها الآباء الفرنسيسكان في بيت لحم في مذكّرات الرحّالة يوهنس كوتفيك IOHANNES COTWYCK الذي حجّ إلى القدس عام ١٥٨٩. ويقول في مذكّراته إنّه وجد "مدرسة للأطفال في بيت لحم في دير الرهبان الأصاغر، وهي مدرسة موجودة من قبل. ويتبع مسيحيّو بيت لحم الطقس اليونانيّ وأقليّة منهم يتبعون الطقس اللاتينيّ. ولكنّهم جميعًا يتقنون اللغة الإيطاليّة التي يسمّونها لغة الإفرنج ويتعلّمونها وهم صغار. ويقوم كبارهم بدور التراجمة للرهبان الأصاغر والحجّاج الغربيّين، ولهذا يهتمّون بتعليم أبنائهم اللغة الإيطاليّة عن يد الرهبان ليشرفوا على أشغال الدير. وهم بحسب شهادة الرهبان يقومون بهذَين العملَين حتّى الآن، أعني درس اللغة وأشغال الدير بنشاط وأمانة". وفي القرن السابع عشر، أنفقت حراسة الأراضي المقدّسة على عشرين مدرسة، كما جاء في تقرير حارس الأراضي المقدّسة فرانشيسكو دى سان فلورو FRANCESCO DA SAN FLORO عام ١٦٩٩. وقامت هذه المدارس حول الأديرة وكان مجموع طلاّبها ١٨٨ طالبًا، وكان نصيب فلسطين ستّ مدارس، والبقيّة في سورية وقبرص ومصر وإسطنبول. "فقد جرت العادة على فتح مدرسة في كلّ دير على أمل أن تكون هذه المدارس - عاجلاً أم آجلاً - مصدر خير وعلم". وإذ نعمت حراسة الأراضي المقدّسة منذ منتصف القرن التاسع عشر بحقبة ازدهار وسلام، شرعت بترميم أديرتها ومدارسها وتحسين مستوى التعليم، وتحويل المدارس من خاصّة إلى عامّة، وفتحها لكافّة فئات المواطنين. وكانت تلك المدارس حتّى سنة ١٨٤١ قد اقتصرت على استقبال الذكور، فافتُتِحَت أوّل مدرسة للإناث في

القدس ثمّ في الناصرة وبيت لحم، وعيّن رئيس الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة العامّ مفتّشًا عامًّا لتنظيم المدارس وتنميتها. وفي عام ١٨٤٦ أوصى البابا بيّوس التاسع: "بالمحافظة على وجود المدارس المتوفّرة في حراسة الأراضي المقدّسة بكلّ الوسائل المتاحة، وبتزويد كلّ رعيّة كبيرة بمدرسة للبنين وأخرى للبنات". وجرى في القرن التاسع عشر تعاون مثمر بين الحراسة والبطريركيّة اللاتينيّة في مجال التربية والتعليم، فعُهِدَ عام ١٨٤٨ إلى راهبات مار يوسف[١] بالإشراف على مدارس البنات في القدس ويافا وبيت لحم. ورحّب الآباء الفرنسيسكان بإخوة المدارس المسيحيّة (رهبان دي لا سال)، وعدّوا مدرستهم مدرسة راعويّة لأبناء طائفة القدس، وساهموا في نفقات المدرسة. وتوافدت الرهبانيّات اللاتينيّة إلى الأرض المقدّسة في القرن التاسع عشر وبلغ عدد المدارس في عام ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ أربعًا وخمسين مدرسة في كافّة أنحاء الحراسة، منها ٣٦ للذكور و١٨ للإناث، ومجموع طلاّبها ٤٢٢٤ طالبًا، وعدد العلّمين ٦٠ معلّمًا.

وقد جرت العادة في حراسة الأراضي المقدّسة أن يتقصّى الرهبان عن الأيتام في رعاياهم، ويعهدوا بتربيتهم إلى عائلات ميسورة يترعرعون في كنفها على نفقة الحراسة، التي كانت تقدّم للعائلة كلّ ما يلزم لمعيشة اليتيم. وتراوح عدد الأيتام الذين ترعاهم الحراسة بين ٢٥٠ و ٣٠٠ يتيم سنويًّا. وقد أتاح مجيء الجمعيّات الرهبانيّة النسائيّة إلى فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فتح المياتم الخاصّة بإدارة الراهبات. وفُتح أوّل ميتم للأولاد وآخر للبنات عام ١٨٨٩[٢].

---

١ ـ **راهبات القديس يوسف**: أسّست رهبانيّتهنّ ١٨٣٢ فأتين القدس ١٨٤٨ وانتشرن بعد ذلك في سورية ولبنان.

٢ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٦١ ـ ٢٦٣.

وكان الرهبان قد أدخلوا إلى دير المخلّص سنة ١٧٠٠ مشاغل لعدّة حرف يدويّة بهدف تأمين عمل ودخل للعائلات المحتاجة، وتحقيق نوع من الاكتفاء الذاتيّ للأديرة أنفسها. وقامت هذه المعامل الحرفيّة بدور المدارس المهنيّة. ففي عام ١٨٧٩ تدرَّب فيها خمسون عاملاً في حرف النجارة والحدادة والطباعة والتجليد. ويذكر أحد مؤرّخي الرهبانيّة في نهاية القرن الماضي أنّ عدد المتدرّبين بلغ ١٥٠ عاملاً في الحرف المذكورة وغيرها. وكان الرهبان الفرنسيسكان قد أدخلوا في القرن السادس عشر صناعة الخشب والخزف إلى بيت لحم، ووصلت هذه الصناعة إلى أوجها في القرن السابع عشر في عهد رئيس الدير في بيت لحم برناردينو أميشي BERNARDINO AMICI. وتُعدُّ الصناعات اليدويّة الخشبيّة والخزفيّة من المرافق الاقتصاديّة المهمّة في بيت لحم، إذ يُقبِل الحجّاج على شرائها عند زيارتهم بيت لحم والأماكن المقدّسة الأخرى. أمّا بالنسبة لفنّ الطباعة، فلم تأذن الآستانة للإخوة الأصاغر بإنشاء مطبعة في القدس حتّى منتصف القرن التاسع عشر. ولم يكن هذا الحظر ساريًا على الرهبان وحدهم، بل على الجميع. وشهدت فترة الحكم المصريّ في فلسطين نوعًا من الحرية والانفتاح، فأنشأ على أثرها الأرمن مطبعة عام ١٨٣٣، واليهود عام ١٨٤١، وتبعهم الرهبان الفرنسيسكان عام ١٨٤٦. وتبرّع بتكاليف المطبعة إمبراطور النمسا فرانسوا جوزيف الأوّل. وقد زُوّدت المطبعة بأحرف عربيّة ولاتينيّة. وكان أوّل إنتاجها عام ١٨٤٧ طباعة ألف نسخة من العهد الجديد وُزّعت على طلاّب المدارس. وفي السنة نفسها طُبع أوّل كتاب للتعليم المسيحيّ بالعربيّة ألّفه الكردينال روبرتو بيلرمينو ROBERTO BELLARMINO، وعنوانه "التعليم المسيحيّ" وطبع منه ١٥٠٠ نسخة، وعدد صفحاته ٨٧ صفحة. وتنوّعت منتوجات المطبعة فشملت دراسات الكتاب المقدّس واللاهوت والفلسفة والليتورجية والتاريخ والجغرافيا واللغات الشرقيّة والغربيّة والفنّ

والرياضيّات. وبلغ عدد الكتب المطبوعة بين ١٨٤٧ و١٨٨٨ ما يقارب ٤٠٨ كتب. وعدد النسخ المطبوعة بين ١٨٧٦ و١٨٨٨ بلغ ٣٠٥٧٦٥ نسخة. وشكّلت المطبوعات العربيّة الجزء الأكبر من إنجازات المطبعة. وهذه المؤسّسة لا تزال قائمة حتّى اليوم، وجلّ منشوراتها الحاليّة، بالإضافة إلى المجلاّت المختصّة بالأرض المقدّسة وبلغات متعدّدة، المنشورات العلميّة المتعلّقة بالدراسات في الكتاب المقدّس وبعلم الآثار وبحضارات الأرض المقدّسة والبلدان المجاورة لها[1].

وهكذا نرى أنّه على مدى خمسة قرون متتالية، منذ منتصف القرن الرابع عشر وحتّى منتصف القرن التاسع عشر، مثّل الرهبان الفرنسيسكان مع بعض الكرمليّين في حيفا الكنيسة الكاثوليكيّة اللاتينيّة في الأراضي المقدّسة، وحافظوا على هذا الوجه من أوجه الحضور المسيحيّ في الأماكن المقدّسة في ظروف صعبة. ثم جاءت إعادة تأسيس البطريركيّة اللاتينيّة في منتصف القرن الماضي بمثابة صيغة جديدة للعمل الكاثوليكيّ، فحاولت أن تركّز على العمل الراعويّ وعلى بعد الكنيسة المحليّة بصورة خاصّة. كما أنّها توجّهت إلى الأرياف أو إلى التجمّعات السكنيّة التي برزت مع تطوّرات التاريخ الحديث. وخرجت من حدود فلسطين إلى شرق الأردن لترعى المسيحيّين هناك، وقد تفرّدت بهذه الرعاية في منتصف القرن التاسع عشر. وتطوّرت مؤسّسات الحراسة أيضًا في القرنَين التاسع عشر والعشرين بصورة واضحة. وعبرت هي أيضًا إلى شرق الأردن عام ١٩٥٦ حيث أسّست كلية "ترَّاسانطة" الشهيرة في عمّان، وكثّفت الحفريّات الأثريّة في موقع الصياغة قرب مأدبا وفي مواقع أخرى متعدّدة، بإدارة رهبان علماء في الكتاب المقدّس وفي الآثار أمثال الراهب جيرولمو،

---

١ - كلداني، مرجع سابق، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

وهو أوّل مَن رافق الأمير عبد اللّه الهاشميّ في أوّل سنيّ الإمارة، وكان له صديقًا حميمًا؛ والأب كوربو، ثمّ بينتشيرلو وغيرهم. ومن أهمّ تطوّرات الحراسة إنشاء المؤسّسة العلميّة في القدس في دير حبس المسيح لدراسة الكتاب المقدّس والآثار، والتي تخرَّج فيها أجيال من الدارسين من شتّى أنحاء العالم، ودرَّس فيها رهبان علماء ذوو صيت عالميّ أمثال الآباء باجاتي وسالر وأساتذة المعهد المعاصرين. وقام هؤلاء العلماء من الرهبان بحملات مكثّفة للبحث عن الآثار في الأردن وفلسطين في ثلاثة وثلاثين موقعًا وحفريّة أثريّة بين عامَي ١٨٩٤ و١٩٧٨. وازداد نشاطهم بعد ذلك التاريخ إلى يومنا هذا. وغدت الأماكن المقدّسة والمزارات بإشراف "حراسة الأراضي المقدّسة"، لا أماكن سياحية أثريّة فقط، بل كنائس تعبق بالليتورجية والصلاة بمختلف اللغات الحيّة[1].

وكان الآباء الفرنسيسكان، بعد القدس، قد حطّوا في دمياط سنة ١٢٤٩، والقاهرة سنة ١٣٢٠، وبيروت سنة ١٤٤٠، وحلب سنة ١٥٧١، وطرابلس لبنان سنة ١٥٨٢، والناصرة وصيدا سنة ١٦٣٢، و حريصا من أعمال كسروان في لبنان سنة ١٦٨١، وقد لعب مركزهم في حريصا دورًا هامًّا، وتروي لنا المدوّنات عن تاريخ تأسيس هذا الفرع أنّه قد حضر إلى لبنان في ٢١ آب (أغسطوس) سنة ١٦٧١ الأب "بيير دي لبرمان" من "كراناتا" في إسبانيا ومعه الأب "جوزيف دي ليون" والشمّاس يوحنّا بأمر رئيس عامّ الإرساليّة في القدس الأب "تيوفيليُس". وكانت الغاية من هذه الزيارة بناء دير في كسروان. فلمّا وصلت البعثة الى بيروت، تُوفّي الأب "بيير دي لبرمان" الذي كان الإعتماد عليه بهذه المباشرة، فتأخّر العمل حتّى سنة ١٦٨١ إذ أرسل الرئيس العامّ الأب "فرنسوا" الإسبانيّ بغية المباشرة بالمشروع. إشترى الأب فرنسوا قطعة أرض

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٥٦ ـ ٢٥٨.

في خـراج قرية درعـون[1] بمحلّ يُسمّى الرويس، وكتب بها صكًّا، ثمّ الى القدس لإحضار بعض لوازم المشروع، ولكنّه لمّا عاد إلى كسروان كان قد فقد صكّ الشـراء، فهمّ آنذاك على شراء مكان آخر. ولمّا بلـغ الخبر الشيخ سانتو بن فيّاض الخازن استدعى الأب الفرنسيسكانيّ إليه، ووقف لـه أرضًا لبناء الدير إضافة إلى أملاك أخرى، وحرّر له بذلك صكّ وقفيّة سلّمه إيّاه. وتمّ في مرحلة أولى إنشاء الكنيسة والطبقة السفليّة من الدير. وفي ٦ شباط (فبراير) ١٦٩٩ أصدر المجمع المقدّس قرارًا يقضي بجعل هذا الدير مدرسة لعشرة مرسَلين يدرسون اللغة العربيّة ويساعدون الكنيسة المارونيّة في الأمور الروحيّة. وفي ٣ حزيران (يونيو) ١٧٦٩، قرّرت الإرساليّة في القدس زيادة حجم الدير، بنتيجة ما شعر به المرسَلون من أمان في كسروان، فصمّموا على جعله مرجعًا إحترازيًّا للّجوء إليه وقت الإضطهاد، وليكون مصيفًا لرهبانهم المرسَلين في بيروت وطرابلس وغيرها من مدن الشرق الساحليّة، ورغبة من الفرنسيسكان في مساعدة أمور الكنيسة المارونيّة الروحيّة، خاصّةً وأنّ رئيس عام تلك الرهبانيّة كان يناظر على الكنائس الشرقيّة بمقام قاصدٍ رسوليّ. وكان يحضر إلى هذا الدير للإجتماع برؤساء الطوائف عندما كانت تدعوه الحاجة إلى ذلك[2]. وهكذا نشأ في حريصا الدير الأوّل الذي كان نواة لنشوء المؤسّسات الروحيّة المتعدّدة لاحقًا، ذلك لِما كان لدير حريصا الفرنسيسكانيّ من أهميَّة بصفة أنّ رئيسه كان القاصد الرسوليّ في لبنان[3]. وعندما عيّنت روما بطريرك القدس للكنيسة اللاتينيّة ١٨٤٧ – ١٨٧٢ يوسف فالرغا، بعث هذا البطريرك المرسَلين الجدد إلى مدرسة الفرنسيسكان

---

١ - يشار إلى أنّ قرية حريصا في كسروان تتبع بلدة درعون.

٢ - الحتّوني الخوري منصور، نبذة تاريخيّة في المقاطعة الكسروانيّة (بيروت، ١٨٨٩)

٣ - مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، ج٣، قرى ومدن قضاء كسروان - الفتوح (بيروت، ١٩٧١)

في حريصا لدرس اللغـة العربيّـة[1]. وفـي العـام ١٨٨٢ بعـد أن بـاع القـاصد الرسـوليّ مركز القصادة في زوق مكايل، عمّر ديرًا في محلّة "الظهر" جنوبيّ دير الفرنسيسكان في حريصا، وهو اليوم مركز القصادة الرسوليّة الصيفيّ، وقـد نـزل فيهـا البابـا يوحنّـا بولس الثاني لدى زيارته الأخير - إلى لبنان[2].

إستُشهد العديد من الآباء الفـ يسكان في بلدان الشرق فـي خـلال قيـامهم بأعمـال الدعوة إلى المسيحيّة. وقد أوصى مجمع الرهبانيّة العام سنة ١٦٣٣ بتعليم اللغة العربيّة وتاريخ الكنائس الشرقيّة في أربع من كليّاتها في الغرب، وذلك لكي يتمكّن الرهبان مـن القيام برسالتهم في الأراضي المقدّسة. وفي القرن السابع عشر، افتتحت الرهبانيّة مثـل هذه الكليّات في بيت لحم وحلب ودمشق والرملة وحريصا. وبـرز مـن هـذه الرهبانيّـة أعلام وقدّيسون، منهم: القدّيس الإيطاليّ بونافنتوري BONAVENTURE (حوالـى ١٢٢١ ـ ١٢٧٤) المعلّم الكنسـيّ والفيلسـوف اللاهوتـيّ الملقّـب بـالمعلّم السـاروفيميّ، وقد مثّـل النزعة الأوغسطينيّة في الفلسفة المدرسيّة، وكان لتآليفه الروحيّة وقع بليغ في التصوّف المسيحيّ؛ ومن تلامذتها الفيلسوف الإنكليزيّ والعـالم روجـر بيكـن (١٢١٤ ـ ١٢٩٤) الذي علّم في أوكسفورد، وقد اسـتمدّ فلسـفته مـن الإنجيـل ومـن أرسـطو ومـن القدّيـس أغوسـطين، وكـان فـي الوقـت نفسـه عالمًـا نُسـب إليـه اختـراع البـارود؛ وجـون دنـز سكوتوس (حوالى ١٢٦٦ ـ ١٣٠٨) الملقّب بــ"الدكتـور الدقيـق"، وهـو أعظـم الفلاسـفة البريطانيّين فـي العصـور الوسـطى، ومـن أئمّـة الفلسـفة الأسـكولاتيّة، يصطبـغ مذهبـه الأوغسطينيّ بلون خاص، تأثّر فيه بابن سينا، يحاول البرهنة عن وجود اللّه فـيرى أنّ القول بإمكان وجود اللّه يقتضي ضرورة وجـوده، سبق روسـو فـي القـول بـأنّ سـلطة

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

٢ ـ الحتّوني الخوري منصور، مرجع سابق؛ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة، مرجع سابق.

الدولة تستمدّ من إرادة الشعب وتعتمد على العقد الاجتماعيّ[1].

وكان الكبّوشيّون المتفرّعون من الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة قد أنشأوا جمعيّتهم بين ١٥٢٥ و١٥٢٨ وقد أظهرت نشاطًا كبيرًا في الوعظ والتعليم، خاصّة في الأوساط الشعبيّة والإرساليّات، كما قاموا بكثير من الإصلاحات الكاثوليكيّة، وسرعان ما انتشروا من اليونان إلى إيران فساعدهم "ريشيليو[2]" من جهة، والسفارات الغربيّة من جهة أخرى حيث أعطاهم السلطان والشاه حريّة التنقّل بين البلدان الخاضعة لهما، شرط ألاّ يبشّروا المسلمين. فاهتمّوا بالكنائس الأرثذوكسيّة والأرمنيّة من دون أن يحالفهم الحظّ دائمًا[3]. وقد أنشأوا في الشرق الأديرة والمدارس والميتام والمؤسّسات الخيريّة منذ القرن السابع عشر، منها في صيدا ١٦٢٥، وبيروت ١٦٢٦، ومصر ١٦٢٦، وحلب وحصرون ١٦٢٨، وبغداد ١٦٢٨، وطرابلس ١٦٢٩، ودمشق ١٦٣٧، وديار بكر ١٦٦٧، وعبيه لبنان ١٦٨٦، وغزير ١٦٩٥، وانتشروا بعد ذلك في العديد من مدن سورية ولبنان والعراق وبلداتها وقراها[4]. وقد برز منهم في لبنان بشكل خاصّ الأب يعقوب حدّاد الكبّوشيّ (١٨٧٥ ـ ١٩٥٤)، وهو من غزير، لبث الثوب الرهبانيّ عند الآباء الكبّوشيّين في دير مار أنطونيوس خاشبو في غزير، وأتمّ دراسة الفلسفة وعلومه اللاهوتيّة في دير الكبّوشيّين في "القريّة" قرب بحمدون، سيم ١٩٠١، فكان رئيسًا إقليميًّا بالوكالة للكبّوشيّين في سنوات الحرب العالميّة

---

١ ـ الموسوعة العربيّة الميسّرة، ٣: ١٧٤٤.

٢ ـ **الكاردينال دي ريشيليو** RICHELIEU (١٥٨٥ ـ ١٦٤٢): من كبار رجال السياسة الفرنسيّين، وزير لويس الثالث عشر، أسّس الأكاديميّة الفرنسيّة.

٣ ـ كمبي الأب جان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الطبعة العربيّة الثانية، دار المشرق (بيروت،٢٠٠٢) ص٢٧٨.

٤ ـ الموسوعة العربيّة الميسّرة، ٣: ١٧٤٤؛ المنجد في الإعلام؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة، ص٣٦٨.

الأولى ١٩١٥ ـ ١٩١٩، أسّس مشروع "دير الصليب" الشهير في جلّ الديب بدءًا من ١٩١٩، وجمعيّة راهبات الصليب اللبنانيّات سنة ١٩٣٠، ومستشفى السيّدة في إنطلياس، وأسّس في أواسط القرن العشرين "دير يسوع الملك" في زوق مصبح، المؤسّسة التي تُعدّ من أضخم وأشهر المؤسّسات الخيريّة والروحيّة والإجتماعيّة في لبنان، وقد باشرت الكنيسة دعوى تطويب الأب يعقوب الكبّوشيّ في ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠[1].

وكان الفرنسيسكان قد تمسّكوا منذ البداية بحياة الفقر المدقع، ولم يسمحوا لأنفسهم بامتلاك شيء مطلقًا، ثمّ تهاونوا تدريجًا. وقد شاء مصلحون أن يعودوا بهم إلى الوضع الأوّل، فنشأت من هنا فروعهم التي استعرضناها أعلاه. كما وأنّ هناك فروع عديدة للراهبات الفرنسيسكانيّات اللواتي وهبن أنفسهنّ لخدمة الإنسانيّة في ميادين النشاط الروحيّ والتربويّ والإجتماعيّ[2]، منها جمعيّة فرنسيسكانيّات مصر التي أُسّست سنة ١٨٧٦، واتّحدت بفرنسيسكانيّات فلورنسا سنة ١٨٩٦؛ وجمعيّة الفرنسيسكانيّات المريميّات التي أُسّست سنة ١٨٧٧، وبنت راهباتها ديرًا لهنّ في بيت لحم سنة ١٩٠٩؛ ثمّ تفرّعت رهبانيّتهنّ إلى سورية وفلسطين ومصر[3].

أمّا الدومينيكان، وهم المعروفون باسم "الأخوة الواعظين"، فهي الرهبانيّة التي أسّسها عبد الأحد أو القدّيس دومينيك لدحض البدع سنة ١٢٠٦، وأقبل الرهبان الدومينيكان إلى القسطنطينيّة سنة ١٢٣٠[4]، وكان أعضاؤها أرباب التعليم

---

١ ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، الأجزاء ١ و٢ و٣، (بيروت، ١٩٦٩ ـ ١٩٧١)

٢ ـ الموسوعة العربيّة الميسّرة، ٣: ١٧٤٤.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة، ص٣٦٨.

٤ ـ سوف يتمركز الدومينيكان في العراق ١٧٥٩، وفي القدس سنة ١٨٨٢، وفي بيروت ١٩٢٧.

الفلسفيّ واللاهوتيّ في القرون الوسطى. وقد كتب أسقف دومينيكيّ هو وليم الطرابلسيّ، رسالة من أوفى رسائل العصور الوسطى باستخدام المرسَلين بدلاً من الجنود لاستعادة البلاد المقدّسة. وكان وليم الطرابلسيّ، كزميله وحامل اسمه وليم الصوريّ، مولودًا في هذه البلاد ولكن من أبوَين أوروبيَّين. غير أنّ توصية وليم الطرابلسيّ لم تتحقّق قبل القرن السابع عشر، كما سيأتي لاحقًا في هذا الكتاب.

ويرى مؤرّخون كنسيّون أنّ الملك الفرنسيّ فرنسوا الأوّل كان قد أقام منذ سنة ١٥٢٥ علاقات دبلوماسيّة مع الباب العالي ممّا كان له أثره الكبير على مسيحيّي الشرق الأوسط، فوصل اليسوعيّون[1] إلى القسطنطينيّة، ثمّ إلى أورشليم وقبرص سنة ١٥٥٣، وتبعهم الكبوشيّون إلى حلب سنة ١٦٢٥ حيث وصل أيضًا "المركليّون" سنة ١٦٢٦ ولحقهم الفرنسيسكان. إنّما النهضة التي عرفتها الإرساليّات اللاتينيّة فقد ظهرت في القرن السابع عشر على يد مجمع نشر الإيمان الذي أُسّس سنة ١٦٢٢ على يد "ريشيليو" إذ كانت فرنسا على علاقة طيّبة مع الباب العالي[2].

---

١ ـ **الرهبان اليسوعيّون:** أسّس رهبانيّتهم القدّيس أغناطيوس دي لويّولا سنة ١٥٤٠، وأتوا إلى القسطنطينيّة، ثمّ إلى أورشليم وقبرص سنة ١٥٥٣، إلى حلب سنة ١٦٢٥، وبقوا في الشرق حتّى ١٧٧٣، وهي السنة التي أُلغيت فيها رهبانيّتهم، وعادوا إلى الشرق مرّة ثانية سنة ١٨٣١، ولهم اليوم في أكثر مدن الشرق مشاريع هامّة أشهرها جامعة القدّيس يوسف في بيروت.

٢ ـ كمبي الأب جان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص٢٧٨.



الفَصل الرَّابع

في الشَّرق الحَديثِ والمُعَاصِر

الكَنيسَة اللاتينيَّة في الشَّرق الحَديث؛ البَطريركيَّة اللاَّتينيَّة تعودُ إلى القُدس؛

البَطريَركُ الثَّاني والرُّهبانيَّات المُستقدمَة؛

دخُولُ الرَّهبانيَّات؛ آخِر بَطاركَة القرن التَّاسِع عَشَر؛

تأسيس إكليريكيَّة القدِّيسة حنَّة؛

بطاركةُ القَرن العِشرين والتغيُّرات الدِّيموغرافيَّة؛

بَطريَركيَّة القُدس اللاَّتينيَّة في الزَّمن المُعاصر.



الكَنيسَة اللاتينيَّة في الشَّرق الحَديث

شهدت منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسّط تحوّلاً دراماتيكيًّا عندمَا برز محمّد علي الملقّب بعزيز مصر (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩) مناهضًا لأسياده العثمانيّين، ومصمّمًا على حكم هذه المنطقة بعد انتزاعها من أيديهم.

وُلد محمّد علي في "قولَه[١]" اليونان، والمقول إنّه من بيت مسيحيّ، وقبل وفاته في الإسكندريّة عن عمر يناهز الثمانين سنة، كان قد أسّس السلالة الخديويّة في مصر. وكان قبلاً من القادة العثمانيّين الذين اشتركوا في معركة "أبو قير[٢]" سنة ١٧٩٩ فأبلى البلاء الحسن. وفي العام ١٨٠٥ عُيّن واليًا عثمانيًّا على مصر، حيث تمكّن من الانتصار على الجيوش البريطانيّة بقيادة فريزر سنة ١٨٠٧، وبعد أن قضى على المماليك في مذبحة القلعة سنة ١٨١١، تمرّد على السلطان العثمانيّ، وسرعان ما وجّه حملة إلى الجزيرة العربيّة استمرّت من العام ١٨١١ إلى العام ١٨١٩، ثمّ فتح السودان ١٨٢١ ـ ١٨٢٣، ووجّه حملتَين على سوريا وما يليها قادها ابنه ابراهيم باشا ١٨٣١ ـ ١٨٣٣ و١٨٣٩ ـ ١٨٤٠. وبعد أن ثبّت أقدام ابنه في المناطق التي احتلّها، وكان من أبرز أنصاره الأمير بشير الشهابيّ الثاني أمير لبنان، بلغت قوّات محمّد علي

---

١ ـ قولَه أو كافالا KAVALLA: مرفأ في شمال شرقي اليونان على بحر إيجه.

٢ ـ أبو قير: ميناء مصري على المتوسّط في محافظة الإسكندريّة وموقع حربي، عنده جرت المعركة بين الأسطولَين الإنكليزيّ بقيادة نلسون والفرنسيّ بقيادة بونابارت ١٧٩٨ ـ ١٨٩٩.

الأناضول، ولم يوقفه إلا التدخّل الأوروبّيّ بموجب اتفاقيّة كوتاهيه سنة ١٨٣٣ ومعاهدة لندن سنة ١٨٤٠، فضمن لنفسه الحكم الوراثيّ على مصر، وعمل على النهوض ببلاده وتنميتها وتطويرها علميًّا وثقافيًّا وزراعيًّا.

كان حكم محمّد علي بواسطة ابنه ابراهيم باشا[١] لفلسطين وسورية حكمًا مباشرًا، وبقيت الإدارة في لبنان بيد حليف الحكم المصريّ الأمير بشير الشهابيّ الثاني. وقد أدخل ابراهيم باشا إصلاحات جذريّة في البلاد، فسمح للمسيحيّين بأن يتبوّأوا مراكز حكوميّة عالية، وأوقف التدابير التي كانت تمنع عليهم ركوب الخيل والتعمّم بالعمائم البيضاء وسواها. وصار المسيحيّون يمارسون طقوسهم الدينيّة بحريّة[٢]. وإذ أخذت السلطنة العثمانيّة بعد هذه الأحداث بالتداعي، غدت تحسب الحساب لنفوذ الدول الغربيّة ووساطاتها في سبيل المؤسّسات الكنسيّة القديمة والجديدة. فاهتمّت الكنيسة، مرّة أخرى بالأماكن المقدّسة.

إثر ذلك أسّست الكنيستان البروتستانتيّتان الأنغليكانيّة واللوثريّة أسقفيّة في القدس تمثّلهما معًا، ودعمتهما في هذه المبادرة الحكومتان الإنكليزيّة والبروسيّة[٣] ـ الألمانيّة. وكان أوّل أسقف انغليكانيّ الأسقف ميشيل سلمون ألكسندر عام ١٨٤١، ثم خلفه عام ١٨٤٦ الأسقف اللوثريّ صموئيل غوبات.

---

١ ـ إبراهيم باشا: إبن محمّد علي باشا عزيز مصر، رجل سياسة وحرب ساهمت انتصاراته في النجاح السياسيّ لوالده، قهر المماليك وانتصر على الوهابيّين في الجزيرة العربيّة وعلى اليونان، تغلّب على العثمانيّين في سورية ولبنان، احتلّ عكّا ١٨٣٢ وهزم جيوش السلطان في قونية ١٨٣٩، انسحب من فلسطين ولبنان وسورية تحت الضغوط الأوروبيّة.

٢ ـ حتّي، لبنان في التاريخ، مرجع سابق، ص٥١٣.

٣ ـ بروسيا PRUSSE: من دول ألمانيا الشماليّة قديمًا، كانت عاصمتها برلين، وكان لملوكها الدور الأوّل في توحيد ألمانيا وجعلها أمبراطوريّة بعد معاهدة فرساي ١٨٧١.

البَطرِيَركِيَّة اللاَّتِينِيَّة
تَعـودُ إلَـى القُـدس

رأت الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ الوجود الرهبانيّ وحده لم يعد يكفي لخدمة الأراضي المقدّسة، وأنّه لا بدّ من إيجاد سلطة أسقفيّة فيها. فأخذ الكرسيّ الرسوليّ ينظر بجدّية في إعادة البطريركيّة الأورشليميّة اللاتينيّة إلى المدينة المقدّسة. وقد طُرح هذا الموضوع على بساط البحث في عهد البابا غريغوريوس السادس عشر (١٨٣١ ـ ١٨٤٦). وقد أيّد المشروع الرئيس العامّ للرهبانيّة الفرنسيسكانيّة الأب لويجي دا لوريتو Luigi da Loreto، لكنّه عاد وعدل عن رأيه، وأبدت رهبانيّته عراقيل كثيرة له. ويبدو أنّ الحكومة الفرنسيّة التي عُدَّت حامية الكاثوليك في الشرق، والتي كان أيّ تحرّك أو تطوّر على الساحة الشرقيّة يلفت انتباهها، قد ساندت الآباء الفرنسيسكان في معارضتهم، إذ بعث سفير فرنسا في روما، مامبورغ Latour Mambourg، رسالة إلى وزير خارجيّته غيزو Guizot بتاريخ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٢ يقول فيها:

> علمتُ بطريقة غير مباشرة أنّه حتّى تقابل الآثار الناجمة عن تعيين أسقف بروتستانتيّ مقيم في القدس، يقال هنا إنّه سوف يعيَّن أسقف كاثوليكيّ، ولا شك في أنّ هذا الاقتراح قُدّم إلى مجمع نشر الإيمان، ويثير هذا المشروع هنا بعض الاعتراضات، فرئيس الرهبان الفرنسيسكان العامّ الذي عُهدَت إليه الأراضي المقدّسة يُظهِر معارضة بصفة خاصّة ويخشى أن تُمنح الدرجة الأسقفيّة إلى أحد رهبانه، ممّا يؤدّي إلى نزاع بينه وبين السلطات الرهبانيّة العليا[١]...

لم يوقف بروز هذه المعارضة روما عن عزمها. وفي ٢٨ شباط (فبراير) ١٨٤٢ أيّد مجمع الكرادلة مشروع تعيين بطريرك لاتينيّ في القدس. ولاقى القرار تأييدًا من

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

قِبَل الأبرشيّات الكاثوليكيّة في أوروبّا. وفي الوقت نفسه، عملت روما على إيجاد صيغة من شأنها أن تضمن التعاون بين النظام البطريركيّ ورئيس الرهبان العامّ المحلّيّ الذي هو في الوقت نفسه "حارس الأماكن المقدّسة". وعهد إلى الكاردينال "أكتون" بمتابعة القضيّة، وقد أعلن أكتون ملخّصًا الموقف بهذه الكلمات: "أُرْجِئَ الأمر كلّه، مع أنّه تمَّت الموافقة على تنفيذ المشروع[1]".

في المقابل، بقيت فرنسا على موقفها، ويظهر ذلك بوضوح من مضمون الرسالة التي بعث بها قنصل فرنسا في فلسطين غبرييل دي لانجيني GABRIEL DE LANTIGNI، إلى وزير الخارجيّة الفرنسيّة بعد مقابلته البابا غريغوريوس السادس عشر في روما بتاريخ ١٦ أيّار (مايو) ١٨٤٣، وقد جاء في تلك الرسالة "أنّ مشروع بطريركيّة القدس مشروع خياليّ... ولكنّه يحقّ لروما مدّ نفوذها إلى هذه البلاد (فلسطين) بكلّ الوسائل المتاحة لها، شرط عدم المسّ بالحماية الفرنسيّة التقليديّة للكثلكة في الشرق". وما لبث الموقف الفرنسيّ أن تطوّر إلى المعارضة الصريحة لمشروع إقامة أبرشيّة كاثوليكيّة في القدس، فكتب وزير الخارجيّة الفرنسيّة "غيزو" إلى سفيره في روما "مامبورغ" في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٤٧ رسالة جاء فيها: "أعتقد أنّ إقامة أبرشيّة كاثوليكيّة في القدس لن يكون مشروعًا جيّدًا في حدّ ذاته بالنسبة إلينا، بل إنّه غير مفيد وقد يكون مُضِرًّا"[2].

أمّا الكرسيّ الرسوليّ، فقد استمرّ في درس المشروع من جميع جوانبه. وكان قد اعتلى السدّة البطرسيّة البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ ـ ١٨٧٨)، في أطول حبريّة في تاريخ الكنيسة. هذا البابا النشيط، أنشأ ٢٩ أسقفيّة بإمرة رئيس أساقفة و١٣٢ أسقفيّة

---

١ ـ المرجع السابق.
٢ـ المرجع السابق.

يديرها أسقف في شتّى أنحاء العالم. وكانت إعادة تأسيس البطريركيّة اللاتينيّة الأورشليميّة، إحدى إنجازاته الكبرى. ذلك أنّه قرّر، بعد الاطّلاع الدقيق على تقرير مجمع نشر الإيمان، إعادة البطريرك اللاتينيّ إلى القدس مع كامل صلاحيّاته. وقد اختار لهذه المهمّة الأب "يوسف فالِرغا" الإيطاليّ[١]، تمَّ اختياره بطريركًا لإعادة الكرسيّ البطريركيّ في القدس بناء على تنسيب المجمع نفسه. وفي ٢٣ تمّوز (يوليو) ١٨٤٧، صدرت عن الكرسيّ الرسوليّ رسالة بابويّة تأسيسيّة لبطريركيّة القدس اللاتينيّة جاء فيها:

> لم تشتهر مثل القدس مدينة في العالم بالشعائر الدينيّة، وبين جميع المناطق التي يؤمّها المسيحيّون ليست منطقة تفوق أرض فلسطين كرامة. ففي كلّ مكان في هذه المدينة ترتفع الأبنية الشهيرة التي تشهد بأعمال سيّدنا يسوع المسيح، فتُعيد إلى الذاكرة أمثلة الفضيلة والقداسة التي شرّف بها الفادي الإلهيّ الجنس البشريّ... ولهذا أحاطها المسيحيّون بالتكريم والإجلال منذ نشأة الكنيسة... ومِن أقدم المصادر التي بلغت إلينا القرار الذي ورد في المادّة السابعة من أعمال المجمع المسكونيّ الأوّل المنعقد في نيقيا عام ٣٢٥، وقد جاء فيه أنّها لعادة قديمة وتقليد قديم أن يُكرَّمَ أسقف إيلياء (القدس)، وأن يكون له ما يترتّب على هذا المنصب من التكريم المُناسب... وقد ثَبَّت مرتبة كرسيّ القدس البطريركيّة المجمع المسكونيّ اللاترانيّ الرابع المنعقد في حبريّة البابا إينوقنطيوس الثالث عام ١٢١٥... إلاّ أنّ البطاركة اللاتين لم يتمكّنوا من البقاء في القدس للقيام برعاية الرعيّة الموكلة إليهم. واضطرّ أسلافنا الأحبار الرومانيّون إلى اللجوء إلى طريقة أخرى لرعاية هؤلاء المؤمنين.

---

١ ـ **البطريرك يوسف فالرغا** (١٨١٣ ـ ١٨٧٢): وُلد في لوانو بالقرب من جنوا، أكمل دروسه العليا في جامعة الحكمة في روما، تخصّص في الحقّ القانونيّ واللاهوت ودرس اللغات الفرنسيّة واللاتينيّة واليونانيّة والعبريّة والعربيّة، أتقن الكلدانيّة والتركيّة والكرديّة، سيم كاهنًا ١٨٣٦ وعمل في مجمع نشر الإيمان في قسم الوثائق الصادرة في اللغات اليونانيّة واللاتينيّة والعربيّة، عُيّن سكرتيرًا للقاصد الرسوليّ في سورية ١٨٤١، التحق بالمونسنيور تريوش القاصد الرسوليّ لبلاد ما بين النهرَين وفارس ١٨٤٢ ـ ١٨٤٧ حيث خدم الكنيسة الكلدانيّة وتعاون مع الآباء الدومينيكان في الموصل، بطريرك القدس للكنيسة اللاتينيّة ١٨٤٧ ـ ١٨٧٢.

ومع ذلك فإنّهم لم ينقطعوا عن انتخاب بطاركة للقدس، ولو أنّهم أعفَوهم من واجب الإقامة هناك... أمّا اليوم، فقد زالت الموانع التي تحول دون إقامة البطريرك اللاتينيّ في القدس واهتمامه هناك بخلاص خِرافه... فنظرًا إلى ما للكرسيّ الأورشليميّ من قدَم وكرامة ولِما تقتضيه الظروف الراهنة، قرّرنا أن نرسل مجدّدًا إلى مدينة القدس بطريركًا على حسب الطقس اللاتينيّ... فبسلطة الإله القدير والرسولَين بطرس وبولس وبسلطتنا نعيد صلاحيّات البطريرك اللاتينيّ الأورشليميّ إلى الوجود، ونعلن إلزامَه بالإقامة كما كان الأمر من قبل. أمّا في ما يختصّ بحدود البطريركيّة، فإنّا نأمر ونقرّر ما يلي: إلى أن تصدر تعليمات أخرى عن هذا الكرسيّ الرسوليّ، تخضع لسلطة هذا البطريرك المناطق والأمكنة الخاضعة حاليًّا لسلطة ابننا الحبيب "حارس الأماكن المقدّسة والقبر المقدّس"... وفي ما يختصّ بإنشاء وتعيين أساقفة تابعين للبطريرك، نقرّر أنّنا سنعلن عن رأينا في ما بعد، ونحتفظ بهذا الأمر لنا ولإخوتنا الكرادلة أعضاء مجمع نشر الإيمان[1]...

وكانت تعليمات البابا قد صدرت لاستقالة المونسنيور "فوسكولو" بطريرك القدس الفخريّ، فاستقال من منصبه في ١٠ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٤٧، ليتسلّم البطريرك يوسف فالرغا كرسي أبرشيّة القدس اللاتينيّة عمليًّا. وقد أبحر البطريرك المعيّن يوسف فالرغا إلى يافا في كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨، يصحبه أمين سرّه "باتيستا كافتسي" وخادمه "سانتي فتنورين". وفي يافا استقبله الرهبان بإسم "الحراسة" والسلطات العثمانيّة وممثّلو الطوائف المسيحيّة. واتّجه إلى القدس مارًّا بالرملة وأبو غوش وعين كارم حيث توقّف ليقلّده وكيل "الحراسة" العامّ وسام جمعيّة القبر المقدّس، وكان آخر وسام يقلّده، لأنّ هذا الحقّ انتقل إلى البطريرك نفسه. وجاء من القدس إلى عين كارم رئيس الرهبان العامّ وممثّلوا الطوائف والقناصل ووجهاء المدينة. وفي الغد دخل البطريرك

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

الجديد إلى القدس بأبّهة واحتفال، وقد شاركت الحكومة في استقباله، إذ أرسل حاكم القدس ظريف مصطفى باشا للبطريرك حصانًا ليمتطيه، كما أرسل فرقة من الجند لمرافقته. ولمّا اجتاز أسوار القدس أطلقت المدفعيّة طلقاتها تحيّة له[١]. وبعد الاحتفال بتنصيبه في ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨[٢]، بدأت مهمّة البطريرك العسيرة، إذ لم يكن يملك من وسائل العمل والتنفيذ إلاّ القليل، فلم يكن لديه بيت خاصّ به ولا كنيسة ولا إكليروس ولا جهاز يساعده في تنفيذ المهامّ، فلم يتوانَ عن طلب العون من الآباء الفرنسيسكان الذين قدّموا له مسكنًا في ديرهم. واتّخذ البطريرك "حارس الأراضي المقدّسة" نائبًا له، و"مجمعَ الحراسة" مجمعًا استشاريًّا. أمّا كهنة الرعايا فكانوا كلّهم من الرهبان الفرنسيسكان، ما عدا حيفا حيث كان الرهبان الكرمليّون. وعيَّن البطريرك أحدَ الرهبان الفرنسيسكان نائبًا له في قبرص[٣]. وهكذا حُلّت المشكلة مع الفرنسيسكان "حرّاس الأراضي المقدّسة"، ولم يُعرف كيف جرى التفاهم بين الفاتيكان والحكومة الفرنسيّة. إلاّ أنّ الصراع قد انتقل إلى ما بين الكنائس.

يبدو أنّ الانفتاح الذي أبداه الحكم المصريّ تجاه المسيحيّين، وما تلاه من انفتاح عثمانيّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قد خلق، من جديد، مجالاً للصراع بين الكنائس في المناطق الشرقيّة التي كان يسيطر عليها ذلك الحكم. ولم يقتصر ذلك "الصراع الثقافيّ" على تسابق الإرساليّات نحو الشرق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بل تعدّاه إلى التضارب بين الكنائس المقيمة أيضًا. وقد أدّى ذلك الصراع حول الأماكن المقدّسة بين مختلف الكنائس المسيحيّة إلى جوّ من التحفّظ في العلاقات

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٦٧.

٣ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠.

بين رؤسائها، وخاصّة بين الفرنسيسكان وبطريركيّة الروم الأرثذوكس. في هذه الأجواء، جمع حاكم القدس البطاركة الثلاثة: اللاتينيّ والأرثذوكسيّ والأرمنيّ، في ديوانه، بعدما وصله كتاب رسميّ من الباب العالي مفاده أن لا فرق بين البطريرك الجديد العائد إلى مقرّ بطريركيّته وبين البطريركَين الآخرَين: اليونانيّ والأرمنيّ. حصل ذلك الاجتماع في كنيسة القيامة أمام جمع غفير، وألقى الباشا كلمة ناشد فيها البطاركة الثلاثة المحافظة على الوحدة والتعاون في ما بينهم. بعد ذلك تمَّ تبادل الزيارات بين البطاركة الثلاثة. ويروي لنا باحث[1] في تاريخ الكنيسة اللاتينيّة في الشرق أعمال البطريرك فالرغا على الشكل التالي:

بدأ البطريرك بزيارة الرعايا. وأَولى الكنائس والمدارس جُلَّ اهتمامه. وكان في كل رعيّة مدرسة. وبدأ يشدّد على ضرورة تعلُّم لغة الشعب. فاقترح أن يُبعَث المرسَلون الجدد إلى حريصا لدراسة العربيّة، وأرسل آخرين إلى نيقوسيا لدراسة اليونانيّة. وعمل على تنمية مدارس البنات. فاستدعى لذلك راهبات مار يوسف.

وأمّا الشعب فلم يكن من السهل التعامل معه بالرغم من صفاته الحسنة. فقد تميّز بعدم رسوخ قناعاته الدينيّة وباللامبالاة وقلّة الثبات في الإيمان. وكثيرًا ما كان يهدّد هؤلاءُ المؤمنون كهنةَ الرعايا بالعدول عن الإيمان والكنيسة. ويعزو فالرغا تردّيَ الأوضاع الروحيّة والدينيّة لدى الشعب المسيحيّ إلى الأسباب التالية: اعتماد الشعب في حياته الماديّة على الأديرة، وضعف الثقافة الدينيّة والتربية المسيحيّة بسبب غياب الاكليروس الوطنيّ الذي يتكلّم لغة الشعب ويفهم عقليّته. وكان عدد المؤمنين اللاتين في البطريركية آنذاك ٤١٤١.

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٨.

لجأ البطريرك إلى الرهبان لإصلاح الأوضاع السائدة. كانت إمكانيّاته محدودة وأمّا طموحاته فكبيرة. كان يطمح إلى أن تكون القدس نواة الحركة الدينيّة في الشرق. ولم يكن من السهل تحقيق الهدف المنشود. فقد غابت السلطة البطريركيّة عن القدس ما يقارب ستّة قرون على أثر سقوط عكّا. وفي هذه الحقبة، أدار الآباء الفرنسيسكان شؤون الكنيسة الفلسطينيّة. والآن أصبح البطريرك مقيمًا في القدس بكامل صلاحيّاته، ولكن دون جهاز يمكّنه من العمل بموجب تلك الصلاحيّات، ولم يكن الصراع بين البطريرك والرهبان خافيًا على أحد. ويظهر ذلك في التقرير الذي كتبه بعد سنتَين، وقد علم أنّ الشكاوى بدأت تُوَجَّه بحقّه. وحاولت روما أن توفّق بين الطرفَين. فقالت بأنّ "السلطة الأسقفيّة المحليّة التي يتمتّع بها البطريرك هي السلطة الشرعيّة الوحيدة في الأبرشيّة، وللرهبان امتياز الإشراف على الأماكن المقدّسة". ولما تأزّمت الأمور وبلغت الصعوبات مداها، قدَّم البطريرك استقالته إلى الكرسيّ الرسوليّ وسافر إلى أوروبّا ليعرض قضيّته في روما. كان ذلك عام ١٨٤٩. وكان البابا إذذاك في بلدة غايته GAETE في مملكة نابّولي. وقال الحبر للبطريرك الذي قدَّم استقالته: "الصليب لا يُلقى جانبًا حين ترافقه نعمة العيش في القدس". وتابع البطريرك جولته بعد ذلك في أوروبّا فالتقى في فرنسا، بعد مقابلة رئيس الجمهوريّة، القنصل المعيَّن جديدًا للقدس، وهو السيّد "بوطا"، وسوف يكون لهذا الرجل الأثر الحاسم في رسالة البطريرك وثباته ونجاحه في إتمامها.

أصدر مجمع نشر الإيمان تعليمات تحدّد العلاقات بين البطريرك ورئيس الرهبان: "فالكنيسة الراعويّة في القدس هي كنيسة البطريرك الرسميّة، إلى أن تُبنى كنيسة أخرى. وفي ما يختصّ بمصادر التمويل فإنّ البطريرك يصبح المسؤول المباشر عن جمعيّة فرسان القبر المقدّس. وأمّا سائر الحسنات التي تُرسَل إلى "الحراسة" فإنّ

البطريرك يشرف على إدارتها والتدقيق فيها". وقد تمَّ تنفيذ البندَين الأوّلَين، إلاّ أن البند الثالث لاقى معارضة ولم يُنفَّذ.

حالما تسلَّم البطريرك العائد مهامَّه، كانت له رؤية صائبة، وهي الاعتماد على الإكليروس المحلّي. ومن ثمّ كان لا بدّ من تأسيس إكليريكيّة تستقبل أبناء الأبرشيّة وتهيّؤهم لرسالة الكهنوت السامية. وقبل أن يتمكَّن من تنفيذ مبتغاه هذا، لجأ في السنوات الأولى إلى ما توفّر له من كهنة من جميع أنحاء العالم. وكان الرهبان قد أرسلوا إلى روما الكاهن "عبدالله كومنداري" من بيت لحم، لينهي علومه الكهنوتيّة، وقد أنهاها في روما حيث سيم كاهنًا. فلمّا التقى البطريرك عدل عن الحياة الرهبانيّة، فكان أوّل كاهن في الإكليروس الأبرشيّ العربيّ.

ومنذ أوّل سنة من تاريخ قدوم البطريرك عام ١٨٤٨، أرسل عشرة طلاّب كهنوت إلى غزير في لبنان حيث كان للآباء اليسوعيّين مدرسة إكليريكيّة لإعداد الكهنة. وقد رسم في ما بعد ثلاثة منهم هم: الأب سمعان إسحاق[١]، والأب أنطوان مرقس[٢]، والأب يوسف طنّوس[٣]. وفي العام ١٨٥٢، افتتح البطريرك المعهد الإكليريكيّ وتولّى رئاسته بنفسه في المرحلة الأولى. وكان أخوه، وهو راهب كرمليّ في حيفا، نائبًا له.

١ ـ **الأب سمعان إسحاق** (١٨٣٩ ـ ١٨٨٩): كاهن لاتينيّ، وُلد في القدس، سيم ١٨٦٣، علَّم في إكليريكيّة بيت جالا، خدم في الرعايا.

٢ ـ **الأب أنطوان مرقس** (١٨٣٨ ـ ١٩٠٧): كاهن لاتينيّ، وُلد في الناصرة، سيم ١٨٦٣، عُيّنَ مديرًا للمراسم الدينيّة وممثّلاً للملّة اللاتينيّة لدى السلطات العثمانيّة، عُيّنَ زائرًا رسوليًّا لدى الأقباط الكاثوليك في مصر ١٨٨٠ ـ ١٨٩٢.

٣ ـ **الأب يوسف طنّوس** (١٨٣٨ ـ ١٨٩٢): من كهنة البطريركية اللاتينية الأوائل في القدس، وُلد في الناصرة، سيم ١٨٦٣، بعد سيامته عُيّنَ معلّمًا في إكليريكيّة بيت جالا ثمّ سكرتيرًا للقصادة الرسوليّة ببيروت ١٨٦٦، أمين سرّ البطريركيّة وممثّلها لدى السلطات العثمانيّة ١٨٦٩، نائب البطريرك "فالرغا" في قصادة بيروت وفي أثناء انعقاد المجمع الفاتيكاني الأول (١٨٦٩ ـ ١٨٧٠)، أسّس رهبانية الورديّة ١٨٨٠.

والتحق بالإكليريكيّة طلاّب من الأبرشيّة ومن خارجها: من القدس وقبرص والبندقيّة، بالإضافة إلى العشرة الأوائل الذين بُعِثوا إلى غزير.

وقد وجَّه البطريرك نداءً يطلب مساعدة الإكليروس في مختلف أبرشيّات العالم. والشروط التي عرضها على مَن يريد أن يعمل معه هي أن "تعمل سويّة في خدمة كنيسة القدس بلا أجر أو راتب". ولخَّص صعوبات العمل في أربع: "تعلُّم اللغة العربيّة، وتعلُّم التعامل مع الشعب، والتسليم بأنّ ثمار العمل الرسوليّ لن تقطف بسرعة، ومواجهة أوقات الفراغ الطويلة. فعلى المرسَل استغلال وقته في المطالعة والقيام بوظيفتَين إضافيّتَين: وظيفة الطبيب، فعليه أن يُلِمَّ بالمبادئ الأوّليّة للطبّ والتعامل مع بعض الأدوية. والوظيفة الثانية أن يقضي بالعدل بين الناس، فلا يخاف أن يقول أو أن يقال له: "مَن أقامك عليّ قاضيًا؟ وأمّا روحانيّة الإكليروس فيجب أن تتغذّى بمجاورة الأماكن المقدّسة، وأن تُبنى على روح الحياة العائليّة، فالإكليروس البطريركيّ يشكّل عائلة واحدة. ولهذا تُقدّم البطريركيّة إلى جميع أفراد الإكليروس ما يلزمهم من رعاية روحيّة وماديّة. وإذا ما عجز الكاهن، عاد إلى دار البطريركيّة، وأقام حيث يقيم البطريرك نفسه مع الكهنة المشرفين على الأعمال الإداريّة".

وعلى هذا الأساس، وُضع عام ١٨٦٤ قانون لكهنة البطريركيّة يجمع بين ميزات الكهنة الأبرشيّين والحياة الجماعيّة في الرهبانيّات. وتحقَّق حلم البطريرك. فكان له بعد قليل إكليروس أبرشيّ من أبناء الأبرشيّة ومن الأبرشيّات الأخرى في العالم. وقد رسم في عهده ستّة عشر كاهنًا، اثنا عشر منهم من أبناء الأبرشيّة من بينهم خمسة من قبرص، وأربعة من خارج الأبرشيّة من فرنسا.

بالإضافة إلى الرسالة الراعويّة الأولى التي طبعها في روما قبل مجيئه ووزّعها حال وصوله إلى القدس، كان البطريرك يوجّه بصورة منتظمة رسائل راعويّة يرشد

عبرها الشعب والإكليروس. وشكّل "مجلس القانونيّين" حاملي لقب "قانونيّي القبر المقدّس"، وهم أعضاء المجلس البطريركيّ الإستشاريّ. وفي عام ١٨٦٦ رسم أحد كهنته: منصور براكو، أسقفًا مساعدًا له. وفي عام ١٨٦٤، انتهى من بناء المقرّ البطريركيّ الجديد. وهو بناء كبير يتّسع للبطريرك ومَن معه مِن الكهنة الإداريّين، ولكلّ كاهن من كهنة البطريركيّة، إذا مرض أو شاخ وتقاعد عن العمل. ولا يزال هذا المبنى قائمًا إلى اليوم، وما زال نمط المعيشة فيه متشابهًا لِما أراده البطريرك المؤسّس والباني.

أمّا الكنيسة الكاتدرائيّة المرافقة والخاصّة بالطريركيّة، فأُنجز بناؤها عام ١٨٧٢. وقد شُيّدت إلى جانب المقرّ البطريركيّ. وهي كاتدرائيّة مرافقة، لأن الكاتدرائيّة الرئيسة هي كنيسة القيامة، وكنيسة القيامة هي في الواقع الكنيسة الكاتدرائيّة للبطاركة الثلاثة في المدينة المقدّسة: اللاتينيّ والأرثذوكسيّ والأرمنيّ.

وانطلق البطريرك مع فريق الكهنة الذي لبّى نداءه يؤسّس الرعايا ويفتح المدارس ويقدّم الرعاية الدينيّة للمؤمنين. ولم يكن ذلك بالأمر السهل. فقد حفل تاريخ الرعايا في هذه المرحلة التأسيسيّة بين ١٨٥٣ و١٨٧٢ بضروب الإخفاق، وتوالى عليها الفشل والنجاح. وقد أسّس البطريرك فالرغا إحدى عشرة رعيّة جديدة. ونكتفي هنا بسرد الظروف التي ألمّت بتأسيس رعيّتَين، الأولى في فلسطين وهي رعيّة بيت جالا، والثانية في شرق الأردن وهي رعيّة السلط. وتُبيّن رواية هذا التأسيس الظروف العامّة التي عاشها البطريرك والإكليروس الذي رافقه.

بيت جالا اليوم، مدينة صغيرة تقع غرب بيت لحم على مسافة كيلومتر واحد منها، يربو عدد سكّانها على العشرة آلاف نسمة، جميعهم مسيحيّون، معظمهم من الأرثذوكس، وقسم منهم لاتين. وقد وفد على المدينة الصغيرة في أواسط القرن

العشرين، مع التحرّكات السكّانيّة وأزمة اللاجئين، بعض المسلمين الذين سكنوا المدينة واستقرّوا فيها. وفي أيّام البطريرك فالرغا، كانت بيت جالا قرية صغيرة، عدد الأرثذوكس فيها نحو الألف، وعدد الكاثوليك لا يتجاوز المئتَين، وكان الرهبان الفرنسيسكان يؤمّنون لهم الخدمة الروحيّة من بيت لحم. ولكنّهم لم يتمكّنوا من الاستقرار فيها لِما كان بين النّاس، في ذلك الزمن، من نعرات طائفيّة قويّة. وقد أراد البطريرك أن يقتحم هذا الوضع الطائفيّ. فواجه مقاومة عنيفة من قبَل الرعيّة الأرثذوكسيّة. وتدخّلت في هذا الصراع البطريركيّات في القدس والسلطات العثمانيّة المحليّة حتّى وصلت القضيّة إلى الآستانة نفسها.

وبدأ البطريرك فكلّف الأب "كومنداري" البيتلحميّ بشراء أرضٍ في بيت جالا. فاشترى بيتًا لسكناه، ثمّ شرع في بناء الكنيسة. فتصدّى له أهل القرية وأوقفوه عن البناء. ووقعت معارك واشتباكات بالأيدي وبالسيوف والرصاص أيضًا. وفي سنة ١٨٥٣ أرسل البطريرك إلى بيت جالا كاهنًا فرنسيًّا إسمه "جان موريتان" كان قد انضمّ حديثًا إلى الإكليروس البطريركيّ. فأسّس هذا الكاهن عددًا من الرعايا وبنى فيها الكنائس. وقد كتب "موريتان" في مذكّراته يقول: "غادرت القدس يرافقني الأب عبداللّه وقوّاس البطريرك وخادم. وحملنا معنا ما يلزم للإقامة في رعيّة جديدة. واستقبلنا بعض المؤيّدين وكثرة من المعارضين". وكان أوّل لقاء مع القرية صراعًا عنيفًا جُرِح فيه الكاهن. فأُعلِم البطريرك بما حدث.

ولمّا لم تلقَ الشكاوى آذانًا صاغية عند باشا القدس، جاء البطريرك نفسه إلى بيت جالا وأمر بمتابعة البناء بالرغم من أمر الباشا بوقف العمل. وفي أحد الأيّام حاصر البيت ١٥٠ رجلاً مسلحًا، فوقع صدام وتهديد وضرب، وعاد مالك البيت الذي باعه للبطريكيّة اللاتينيّة، فباعه مرّة ثانية لبطريركيّة الروم الأرثذوكس، فطالبت هذه

البطريركيّة به. وقامت مناوشات جديدة، شهر أحدهم في خلالها السيف بوجه البطريرك، وكان عيد الميلاد قد قرب، فألغى البطريرك إقامة صلاة العيد في بيت لحم خوفًا من أن يستغلّ الطرف المخاصم غيابه، وأقام صلاة العيد في بيت جالا.

تواطأ حاكم القدس والجند الذين أرسلهم مع خصومه. فترك البطريرك القرية، بل وخرج من القدس أيضًا احتجاجًا على ظلم الحاكم، وتوجّه في منفًى طوعيّ إلى مدينة يافا، وقد رافقه في هذا المنفى قنصل فرنسا السيّد "بوطا"، وعمل كلاهما على رفع القضيّة إلى الباب العالي في الآستانة، وتدخّلت الحكومة الفرنسيّة، وأخيرًا تمَّ النصر للبطريرك، إذ أنصفه الباب العالي، فأصدر فرمانًا عام ١٨٥٤، يأمر حاكم القدس بإعطاء البطريرك أرضًا في بيت جالا وبالسماح له ببناء الكنيسة والدير.

أمّا بشأن مسألة رعيّة السلط في شرق الأردن، ففي عام ١٨٦٦، فتح البطريرك أوّل رعيّة في شرق الأردن في مدينة السلط. وحصل ذلك من قبيل الصدفة. فقد كانت السلط تابعة إداريًّا لمتصرّف نابلس. فجاء يومًا خيّالة من السلط إلى نابلس يبحثون عن الكاهن اللاتينيّ فيها، وأبلغوه أنّ رجلاً لاتينيًّا في السلط مريض، وهو يطلب حضور كاهن في ساعته الأخيرة. فرافق الكاهن الخيّالة وأسعف المريض، واستقبله مسيحيّو السلط وأكرموه وطلبوا إليه أن يقيم معهم ويبني لهم كنيسة. وشجَّع متصرّف نابلس الكاهن اللاتينيّ على تأسيس رعيّة في السلط لخدمة المسيحيّين فيها، وقد عَيَّنَ بهذه المناسبة عضوَين من اللاتين في مجلس السنجق[1]، أحدهما من نابلس وهو "سرافيم"، والثاني من السلط وهو "صالح ناصر أبو جابر". في الوقت نفسه، استقدم البطريرك الرهبانيّات لمساعدة الإكليروس الأبرشيّ في خدمة المسيحيّين والمجتمع معًا.

---

١ - **السنجق**: مقاطعة إداريّة في النظام العثمانيّ.

فكانت أولى الرهبانيّات التي لبّت نداءه في القدس راهبات القدّيس يوسف عـام ١٨٤٨. وقد تَولّينَ التعليم والإدارة في مدارس الفتيات. وجاءت إلى الجليل راهبات الناصرة ففتحنَ مدرسة في الناصرة عام ١٨٥٤، ثمّ في حيفا وعكّا، وفي عام ١٨٦٧ في بيروت. وتلتهنّ راهبات صهيون اللواتي أنشأن ميتمًا في القدس عام ١٨٥٦ وآخر في عين كارم عام ١٨٦٠. وقد استقبل هذا الميتم إبان الحرب العالميّة الأولى الأيتام من فلسطين والبلدان المجاورة. واهتمَّ أحد كهنة الإكليروس البطريركيّ: الأب "بلّوني" بالأيتام. فاستقبل أوّلاً بعض الأولاد في بيته في بيت جالا، ثم اشترى لهم دارًا. ولمّا تزايد عددهم، فتح مؤسّسة في بيت لحم وبيت جمال والناصرة، فعُرِفَ بأبي اليتامى، وقد أصبحت مؤسّساته تُعرف بهذا الاسم فيُقال "دير أبو اليتامى". وحاول تأسيس رهبانيّة لمتابعة عمله، ثمّ عدل عن فكرته. وعرض على رهبانيّة "السالزيان[١]" الناشئة التعاون معه، فلبّت دعوته، وتسلّمت منه عام ١٨٩١ ما بدأ به من مؤسّسات، وتابعت عمله وطوَّرته. وقد أصبحت مدارس "السالزيان" اليوم مدارس مهنيّة تستقبل الطلاّب على اختلاف أوضاعهم الاجتماعيّة.

أمّا "جمعية فرسان القبر المقدّس"، فقد أُسّست لمساعدة الأراضي المقدّسة. ويعيد البعض أصولها إلى عهد الصليبيّين. ولكن من الأرجح أنّها نشأت بعد ذلك العهد لمرافقة الحجّاج ومساعدتهم، ولتقديم المساعدات للأراضي المقدّسة بصورة عامّة. وكان يرأسها "حارس الأراضي المقدّسة"، بموجب براءة بابويّة PASTORIS OFFICII صدرت عام ١٤٩٦. ولمّا قدم البطريرك فالرغا، تولّى هو أمر هذه الجمعيّة وأعاد تنظيمها، وفوّضه الكرسيّ الرسوليّ بها رسميًّا عام ١٨٦٨ من خلال براءة

١ - الرهبان السالزيان: أسّس رهبانيّتهم القدّيس يوحنّا بوسكو ١٨٤١، فأتوا إلى الشرق سنة ١٨٩١.

CAMMULTA SAPIENTER. وفي تجواله في أوروبّا وزيارته للعواصم، حصل البطريرك فالرغا من الملوك والأمراء على الاعتراف بها بصورة رسميّة. وقد بلغ عدد أعضائها قبل وفاته ١١٤٧ عضوًا ينتمون إلى عشرين دولة.

كان فالرغا رجل ثقة البابا بيّوس التاسع (١٨٤٦ ـ ١٨٧٨) في شؤون الشرق. فقد شغل فالرغا منصب القاصد الرسوليّ في سورية ونائب رسوليّ في حلب من ١٨٥٨ إلى ١٨٧٢. وكان يقيم في الصيف في بيروت وفي الشتاء في القدس. وعاصر أحداث لبنان عام ١٨٦٠، والأزمة التي مرَّت بها كنيسة الروم الكاثوليك حين تحوَّلت إلى التقويم الغريغوريّ بين ١٨٥٨ و١٨٦٤ والتي أدَّت إلى استقالة البطريرك "بحوث" عام ١٨٦٤. وقام بدور هامّ في دعم المؤسّسات الكاثوليكيّة في بيروت، حيث حمل الآباء اليسوعيّين على إنشاء جامعة تعمل على تربية الشبيبة وتثقيفها. وتحقَّقت هذه الرغبة بعد وفاته. وكان اليسوعيّون قد أنشأوا المدرسة الإكليريكيّة في غزير عام ١٨٤٦، ثمّ نقلوها إلى بيروت عام ١٨٧٥، ومنح الكرسيّ الرسوليّ كليّة الفلسفة واللاهوت فيها رتبة جامعة.

وامتدَّ نفوذ فالرغا إلى الكنيسة الكلدانيّة، وكان قد خدمها قبل أن يكون بطريركيًّا، إذ التحق في الأعوام ١٨٤٢ ـ ١٨٤٧ بالقصادة الرسوليّة في العراق. وناشده مجمع نشر الإيمان التدخّل في حلّ أزمة نشأت بين بطريرك الكلدان والكرسيّ الرسوليّ. وسببها أنّ البطريرك عيَّن أسقفًا من كنيسته لمنطقة الملبار في الهند، وقد كانت قديمًا تابعة لبطريكيّة الكلدان قبل استيلاء البرتغاليّين عليها عام ١٥٢٩[١]. وكان فالرغا صديقًا حميمًا لبطريرك بابل. فتوصّل الطرفان إلى اتفّاق نهائيّ في مسألة الملبار عام ١٨٦٣.

---

١ ـ راجع: الكنيسة الكلدانيّة، الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة.

قبل انعقاد المجمع الفاتيكانيّ الأوّل ١٨٦٩ ــ ١٨٧٠، استدعى الكرسيّ الرسوليّ البطريرك فالرغا في عام ١٨٦٦ بصفته خبيرًا في شؤون الشرق. وكان ذا كلمة مسموعة في هذا المجال. فاشترك في ثلاث لجان: "اللجنة التحضيرية للكنائس الشرقيّة" و"اللجنة الموكلة بتقديم أوراق العمل المجمعيّة" و"اللجنة المجمعيّة للكنائس الشرقيّة". وعاد فالرغا إلى الشرق حيث أعدّ دراسة في بيروت، قدّمها إلى روما، عرض فيها اقتراحَين بخصوص "الحقّ القانونيّ" في الكنائس الشرقيّة، نصّ الاقتراح الأوّل على أن تحتفظ كلّ كنيسة بقانونها الخاصّ، والثاني على أن تتبنّى كلّ الكنائس الشرقيّة القانون العامّ المتّبع في الكنيسة الكاثوليكيّة، على أن تُترك الحريّة لكلّ كنيسة في ما يختصّ بتراثها وليتورجيّتها.

وُجّهت الدعوة للمشاركة في المجمع الفاتيكانيّ الأوّل إلى البطاركة الأرثذوكس مثلما شارك أسلافهم في مجمعَي ليون وفلورنسا. ولكنّ بطريرك القسطنطينيّة اعتذر عن المشاركة، وكذلك فعل بطريركا القدس للروم الأرثوذكس وللأرمن، وأسقف الكنيسة اليعقوبيّة (الكنيسة السريانيّة المونوفيزيّة أو الغربيّة المعروفة اليوم بالكنيسة السريانيّة الأرثذوكسيّة[١]).

إفتتح المجمع أعماله في ٨ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٨٦٩، وألقى البطريرك فالرغا فيه خطابًا عن "العصمة البابويّة". وكان قد أعدّ خطابًا ثانيًا في شؤون الكنائس الشرقيّة. إلاّ أنّه لم يتمكّن من طرحه للمناقشة بسبب توقّف أعمال المجمع في ١٨ تمّوز (يوليو)١٨٧٠ بعد اندلاع الحرب بين فرنسا وبروسيا. وقد رُفعت الجلسات رسميًّا في ٢٠ تشرين الأوّل (أكتوبر)١٨٧٠. وعاد فالرغا إلى القدس في الشهر نفسه

---

١ ـ راجع: الكنيسة السريانيّة، الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة.

بعد غياب سنتَين، وقام بجولة تفقّديّة في ربوع البطريركيّة والقصادة الرسوليّة. وعيَّنَ الأب "بسكال أبوديا" نائبًا عامًّا له في بيروت، وأتمَّ بناء الكنيسة الكاتدرائيّة المرافقة ودشّنها في ١١ شباط (فبراير) ١٨٧٢ وترأس في ٢ أيّار (مايو) أوّل دورة في عيد الجسد تُقام في القدس. ثمّ قام برحلة تفقّديّة أخرى دامت ستّة أشهر، زار في خلالها الرعايا في شمال فلسطين. ثمّ قضى في بيروت أربعة أشهر، وفي دمشق ترأس المحكمة التي نظرت في قضيّة استشهاد عدد من الرهبان الفرنسيسكان في أحداث ١٨٦٠. ومن دمشق عبَر حوران إلى الأردن. وهناك لاقاه شيخان من قريتَي الرميمين وصافوط في منطقة السلط، وطلبا منه فتح رعيّة لقريتَيهما. والشيخان من عشيرتَي الصايغ وحتّر. وقَبِل دعوتهما، ونزل ضيفًا عليهما. أمّا الرعيتان فلم تُفتحا إلاّ بعد وفاته. واستقبله أهالي السلط بحفاوة شعبًا وحكومة. وأخيرًا وصل البطريرك يوسف فالرغا إلى القدس في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٢، ولم يلبث أن توفّي في ٢ كانون الأوّل (ديسمبر) وهو في التاسعة والخمسين من عمره.

كان هذا البطريرك العائد إلى القدس، بعد غياب قرون، من أعلام الكنيسة الكاثوليكيّة المحليّة والعالميّة، بل هو من كبار الشخصيّات المسيحيّة التي أرست أسس التاريخ المسيحيّ المعاصر في فلسطين وشرق الأردن، وقامت بمهام عديدة في البلدان العربيّة المجاورة: لبنان وسورية ومصر والعراق[1].

١ ـ كلّ ما جاء عن البطريرك يوسف فالرغا مأخوذ عن كتاب "دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة"، دار المشرق (بيروت،١٩٩٧) وهو في الأساس مقتبس من كتاب "المسيحيّة المعاصرة في الأردن وفلسطين" الذي نُشر في عمّان ـ الأردن، عام ١٩٩٣، لمؤلّفه الأب د. حنّا كلداني، من كهنة البطريركية اللاتينيّة، الباب الثاني، من الصفحة ١٣٥ إلى ٢٨٢.

البَطرِيَــركُ الثَّــانِـــــــي
والرُّهبَانِيَّات المُستَقدَمَة

فقدت بطريركيّة القدس اللاتينيّة بوفاة "فالرغا" حضورًا مميّزًا ورجلاً خبيرًا في شؤون الكنائس الشرقيّة، وفي شؤون فلسطين والدولة العثمانيّة عمومًا، وموثوقًا بامتياز من قِبَل الكرسيّ الرسوليّ. فكان من الطبيعيّ أن يُحدث غيابه فراغًا كبيرًا. وسرعان ما أثار موضوع انتخاب خلفه، من جديد، مسائل دبلوماسيّة وكنسيّة شائكة، وصلت إلى حدّ قضية الوجود اللاتينيّ في الشرق[١]. وكان الكاردينال "لافيجري LAVIGERIE" (١٨٢٥ ــ ١٨٩٢) الفرنسيّ مؤسّس جمعيّة "الآباء البيض"[٢]، أحد المرشّحين، والمعارضين، في الوقت نفسه، لهذه البطريركيّة. وكان البابا بيّوس التاسع لا يزال على رأس الكنيسة الكاثوليكيّة، فعيّنت روما أخيرًا مساعد البطريرك المتوفّى الأسقف الإيطاليّ "منصور براكو"[٣] بطريركًا على القدس، و"لودوفيكو بيافي"، الرئيس العامّ للرهبان الفرنسيسكان، قاصدًا رسوليًّا لسورية.

---

١ ـ أثيرت في المجمع الفاتيكانيّ الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) تساؤلات حول أبعاد وجود كنيسة كاثوليكيّة لاتينيّة في الشرق، وحول المبرّرات التاريخيّة لهذا الوجود، وصدرت دراسات عديدة ردًّا على هذه التساؤلات، وعُرِضَت أفكار متباينة تطرح تصوّرات متعدّدة لمستقبل الوجود الكاثوليكيّ في فلسطين، أمّا اليوم، فقد أضحت البطريركيّة اللاتينيّة الأورشليميّة كنيسة محلّيّة عربيّة بإكليروسها وأبنائها، وعلى عاتقهم تقع مسؤوليّة الاختيار والقرار.

٢ ـ **جمعيّة الآباء البيض**: جمعيّة من الكهنة أسّسها أسقف الجزائر الكردينال "لافيجري" ١٨٦٨ للعمل في أفريقيا، لها معاهد عديدة في أفريقيا وفي الشرق، جاء أباؤها إلى القدس ١٨٧٨ حيث فتحوا إكليريكيّة القديسة حنّة للروم الكاثوليك كما سيأتي لاحقًا.

٣ ـ **البطريرك منصور براكو** (١٨٣٥ ـ ١٨٨٩): وُلد في إيطاليا من أسرة فقيرة ولم يتمّ دروسه إلاّ بعناء، انضمّ إلى الإكليروس البطريركيّ، وبعد سيامته كاهنًا، عُيّنَ مُعلّمًا للاهوت في الإكليريكيّة، ثمّ رئيسًا لها، وأخيرًا أسقف مساعد عام لبطريرك اللاتين في القدس يوسف فالرغا ١٨٦٦، بطريرك القدس اللاتيني ١٨٧٣ ـ ١٨٨٩، أسّس في عهده إحدى عشرة رعيّة في فلسطين وشرق الأردن، واستقدم اثنتي عشرة رهبانية.

في هذه الحقبة، كان المرسَلون اللاتين يحاولون تأسيس رعايا تابعة لبطريركيّة اللاتين في القدس. وكانوا، بحسب مؤرّخين ملكيّين كاثوليك، يستغلّون مدارسهم لاستقطاب المؤمنين الذين كانوا ينتمون إلى الكنائس الشرقيّة المتنوّعة. كما كانوا يقدّمون بعض الخدمات في السكن والمعيشة للرعايا الشرقيّين في محاولة لجذبهم إلى الطقس الغربيّ. وكانت محاولاتهم تنجح في معظم الأحيان، نظرًا إلى فقر الناس في الأبرشيّات الشرقيّة. ويورد هؤلاء المؤرّخون عن حادثة، على سبيل المثال، رواها دليل مجلّة "المسرّة"، لعام ١٩٤٧. وقد جاء في الرواية أنّه في سنة ١٨٨٤، علم النائب البطريركيّ الملكيّ الكاثوليكيّ في أورشليم، الأب اغناطيوس معقّد، أنّ سبعًا وعشرين أسرة من أبناء كنيستَي الروم الكاثوليك والروم الأرثذوكس قد انضمت حديثًا إلى طائفة اللاّتين، فعرض الأمر على بطريرك اللاتين منصور براكو، ولمّا كان جوابه سلبيًّا، عرض الأمر على الكرسيّ الرسوليّ الذي طلب إعادة الأسر إلى طقسها الشرقيّ مع الإبقاء على ما تتمتّع به من إحسانات وامتيازات، من مثل بيوت سكن، وإعاشة... حينئذ اعترض الرهبان الفرنسيسكان، بحجّة أنّ عملهم هذا سيُلزمهم بمثله تجاه الموارنة والأقباط والسريان والأرمن، فتخسر بذلك طائفة اللاتين معظم رعاياها. وهكذا بقيت تلك الأسر على الطقس اللاتينيّ[1].

دخُولُ الرَّهبَانيَّات

وجاء في المدوّنات أنّه في عهد البطريرك براكو الذي دام ستّة عشر عامًا، دخلت نطاقَ أبرشيّته اثنتا عشر رهبانيّة[2]، منها:

---

١ ـ دليل "المسرّة" لعام ١٩٤٧، مطبعة القديس بولس (حريصا ـ لبنان، ١٩٤٧)، ص ٩١.

٢ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٧٨، ولكنّ النص الذي بين يدينا لم يروِ إلاّ عن ثلاث رهبانيّات.

إخوة المدارس المسيحيّة - الفرير FRÈRES DES ÉCOLES CHRÉTIENNES: جمعيّة رهبانيّة أسّسها القدّيس "يوحنّا المعمدان دي لاسال" لتعليم الناشئة سنة ١٦٨٠، فأتوا مصر سنة ١٨٤٧ حيث أنشأوا أولى مدارسهم، وبسبب تفشّي مرض الكوليرا في مصر والصعوبات الماديّة الكبيرة التي واجهتهم، إضافة إلى انتشار حملة كره الأجانب بسبب الأحوال السياسيّة التي شهدتها مصر نتيجة مناصرة الغربيّين للعثمانيّين ضدّ محمّد علي عزيز مصر، كتب مدير مدارس الإسكندريّة الأخ أدريان ADRIEN إلى رؤسائه يستأذنهم بإرسال مجموعة من الإخوة للحجّ إلى الأرض المقدّسة. فقامت مجموعة منهم بصحبة الأخ إيفاغر EVAGRE (توفّي في فلسطين ١٩١٤) بالإبحار سنة ١٨٧٤ من الإسكندريّة إلى فلسطين، وفي خلال هذه الرحلة التقى "إيفاغر" القنصل الفرنسيّ في القدس و"حارس الأراضي المقدّسة" والبطريرك براكو، فلاقى منهم تشجيعًا وترحيبًا بإنشاء مدارس لجمعيّته في فلسطين، فنسّق البطريرك براكو مع "مجمع نشر الإيمان" و"حراسة الأراضي المقدّسة" ليتولّى إخوة المدارس المسيحيّة مدارس الأولاد في بيت لحم وحيفا والناصرة ولارنكا في قبرص. ومع بداية السنة المدرسيّة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٨، سلّم الفرنسيسكان طلاّب مدرستهم الراعويّة لإخوة المدارس المسيحيّة، الذين فتحوا أوّل مدرسة لهم في سورية في تلك السنة[1]. وقدّمت البطريركيّة للإخوة أرضًا بجوار دار البطريركيّة لإنشاء مدرستهم الخاصّة عليها، وفي عام ١٨٨٢ وُضعَ حجر الأساس لمدرسة في يافا، ثم حيفا عام ١٨٨٣، وفُتِحَت "دار الابتداء" في بيت لحم سنة ١٨٨٥ لتنشئة الشبّان العرب الراغبين في الانضمام إلى جمعيّة الإخوة الرهبانيّة. وفي عام ١٨٩٢، فُتِحَت مدرسة لإعداد المعلّمين في بيت لحم تهدف إلى إعداد الشباب الفلسطينيّ من أجل الحصول على التأهيل الضروريّ للتدريس في

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص٣٦٩.

مدارس الإخوة. وطوّر إخوة المدارس المسيحيّة نظام المدارس وأسلوب التعليم المتّبع منذ قرون، ودرّسوا في مدارسهم أربع لغات: العربيّة والفرنسيّة والإيطاليّة والإنكليزيّة. وقد حظيت اللغة العربيّة برعاية خاصّة.

الإخوة الواعِظون أو الدُّومينيكان: كما ذكرنا سابقًا، هم الرهبانيّة التي أسّسها القديس الإسباني عبد الأحد أو دومينيك DOMINIQUE (١١٧٠-١٢٢١) سنة ١٢٠٦ لمقاومة بدعة الـ"أليبجيّين"[١] وأقبل الرهبان الدومينيكان إلى القسطنطينيّة سنة ١٢٣٠، وكان أعضاؤها أرباب التعليم الفلسفيّ واللاهوتيّ في القرون الوسطى[٢]. وقد كتب أسقف دومينيكيّ هو وليم الطرابلسيّ، رسالة من أوفى رسائل العصور الوسطى باستخدام المرسَلين بدلاً من الجنود لاستعادة البلاد المقدّسة. وكان وليم الطرابلسيّ، كزميله وحامل اسمه وليم الصوريّ، مولودًا في هذه البلاد ولكن من أبويين أوربيّين، كما سبق وذكرنا في مجال سابق. غير أنّ توصية وليم الطرابلسي لم تتحقّق قبل القرن السابع عشر، إذ دخل الدومينيكان البلاد الشرقيّة، فتمركزوا في العراق سنة ١٧٥٩، وفي القدس سنة ١٨٨٢ حيث لهم مدرسة الكتاب المقدّس، وفي السنة نفسها أسّسوا إكليريكيَّة الموصل التي كانت لهم فيها مطبعة عربيّة شهيرة[٣]. ثمّ جاؤوا إلى بيروت سنة ١٩٢٧. وقد انبثقت من هذه الرهبانيّة جمعيّة راهبات المحبّة الدومينيكيّات التي أُسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٦٢٥، وتفرّعت إلى بغداد سنة ١٨٨٠[٤]. وكان

---

١ - **الأَلبيجيّون** ALBIGEOIS أو الكثّار: بدعة دينيّة مسيحيّة ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر جنوب فرنسا، قال أتباعها بالثنويّة (إله الخير وإله الشر) وأنكروا الحريّة وبعث الأجساد والكهنوت، وحرّموا القسم والزواج، حاربهم ملوك فرنسا بالسلاح حتّى سنة ١٢٢٩، والرهبان الدومينيكان بالوعظ وممارسة الفقر الإنجيليّ.

٢ - المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص٢٨.

٣ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة، ص٣٦٨.

٤ - الموسوعة العربيّة الميسّرة، ٢: ١١٢٧؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة، ص٣٦٨.

الأب "ماثيو لو كونت MATHIEU LE COMTE" الدومينيكانيّ قد زار فلسطين عام ١٨٨٢، وعزم على إعادة إحياء رهبانيّة الدومينيكان فيها، إذ كانت مزدهرة في الأرض المقدّسة في العصور الوسطى. وفي هذه الأثناء تمّ اكتشاف أثريّ في حيّ المصرارة شماليّ باب العامود خارج أسوار القدس. ذلك الأثر كان عبارة عن كنيسة بنتها الأمبراطورة[1] عام ٤٦٠م في الموضع الذي يقول التقليد إنّه مكان استشهاد الشماس إسطفانس[2]. فاشترى الرهبان الدومينيكان الموقع على مراحل بين ١٨٨٣ و١٨٨٨. وشرع الأب "لو كونت" في إصلاح وترميم مبنًى قديمٍ مهجور كان في الأرض التي اشتراها، وحوّله إلى مسكن للرهبان الدومينيكان حيث استقرّوا في كانون الأوّل (ديسمبر) ١٨٨٤. وجرت أعمال حفر وتنقيب وترميم، فعُثر على مخطّط الكنيسة البيزنطيّة القديمة. وبنى الدومينيكان كنيسة كبيرة على اسم القديس إسطفانوس، جرى تدشينها في ١٣ أيّار (مايو) ١٨٩٠، وتمَّ العمل في الدير عام ١٨٩١. وإذ خطفت يد المنون العديد من الآباء الدومينيكان الأوائل الذين ساهموا في بناء الدير والكنيسة، قيل: "لقد قام دير القدّيس إسطفانوس على القبور". وكان الرهبان الدومينيكان في القدس ١٨٨٨ قد طرحوا فكرة إنشاء كليّة لاهوت في ديرهم لتدريس الكتاب المقدس واللغات الشرقيّة، وأيَّد البابا لاون الثالث عشر هذه الفكرة. وصادق البطريرك "براكو" على المشروع، فافتُتح معهد لدراسات الكتاب المقدّس باسم المعهد الكتابيّ L'ECOLE BIBLIQUE في تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٩٠. وكان من معلّمي ذلك المعهد العلاّمة الشهير في دراسات الكتاب المقدّس الأب لاغرانج LAGRANGE الذي تسلّم رئاسة الدير والمعهد

---

١ ـ **أفدوكيا أفدوكيا** EUDOXIE: زوجة الأمبراطور البيزنطيّ أركاديوس (نحو ٣٧٧ ـ ٤٠٨) هي التي غضبت على يوحنّا فم الذهب ونفته لأنّه وبّخ بمواعظه أهل البلاط البيزنطيّ على سيرتهم، شجّعت المونوفيزيّة؛ راجع الجزء العاشر والجزء الحادي عشر من هذه الموسوعة.

٢ ـ **القديس إسطفانُس الشهيد**: أحد الشمامسة السبعة الذين اختارهم الرسل بعد عيد العنصرة، أوّل الشهداء المسيحيّين حوالى سنة ٣٣.

معًا. وأصدر المعهد سنة ١٨٩٢ مجلّة متخصّصة في دراسات الكتاب المقدّس باسم "المجلّة الكتابيّة LA REVUE BIBLIQUE"، ولا يزال المعهد والمجلة قائمَين حتّى يومنا هذا. وهذا المعهد متخصّص في الدراسات العليا في الكتاب المقدّس والأبحاث الأثريّة الفلسطينيّة والشرق أوسطيّة واللّغات الشرقيّة القديمة، ويؤمّه طلاّب هذه العلوم من مختلف أنحاء العالم[1].

رهبانية الوردية: أسّس جمعيّة راهبات الورديّة الخوري يوسف طنّوس* سنة ١٨٨٠[2]. وهي مؤسّسة رهبانيّة عربيّة محليّة تقبل في عضويّتها الفتيات العربيّات. وكان الخوري طنّوس بحكم موقعه في الإكليروس البطريركيّ، قد اطّلع على ما يعانيه الكهنة في إرسالياتهم وخصوصًا تجاه عالم المرأة، التي كانت تعاني الأميّة أو عدم الثقافة بنسبة عالية. ففكّر في إنشاء رهبانيّة محليّة، لرفع مستوى المرأة العربيّة دينيًّا وأخلاقيًّا وإنسانيًّا، وجعلها قادرة على تربية أولاد صالحين. وإذ كان على كلّ فتاة تريد الترهُّب أن تغادر الوطن إلى فرنسا لمتابعة الدراسة، وكان ركوب البحر مجازفة كبيرة والذهاب إلى الغرب تحدّيًا لتقاليد العائلات المسيحيّة، فقد رأى الأب طنّوس أنّ من شأن تأسيس رهبانيّة نسائيّة مسيحيّة أن يوفّر كلّ ذلك العناء على صاحبات الدعوة الرهبانيّة. ويورد الباحثون أمثلة على ما كانت تسبّبه تلك الحالة من حرمان لتلبية الدعوة، مثل الفتاة سلطانة دانيّال غطّاس المولودة في القدس سنة ١٨٤٣، والتي عندما سألت أباها السماح لها بأن تترهّب، رفض طلبها لأنّ ترهّبها يتطلّب سفرها وحيدة إلى الغرب. وكانت أوّل فتاة فلسطينيّة تلتحق بهذه الرهبانيّة وأُطلق عليها في الرهبانيّة اسم ماري ألفونسين. ولقد قاسمت ماري ألفونسين الأب طنوّس أمله في إنشاء رهبانيّة

---

١ - كلداني، مرجع سابق، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة، ص٣٧٠.

وطنيّة. وسار كلّ منهما إلى هدفه في درب مختلف، إلتقيا في ما بعد في مشروع رهبانيّ وطنيّ واحد، وهو رهبانيّة الورديّة. كلّ هذه العوامل جعلت البطريرك اللاتينيّ "براكو" يوافق على مشروع الأب يوسف طنّوس، الذي كان مرشدًا لأخويّة بنات مريم التي كانت تضمّ عددًا من الفتيات التقيّات. ولمّا عرض الأب يوسف مشروعه عليهنّ، أبدَين الرغبة الحقيقيّة بوجود مثل هذه الرهبانيّة لتحقيق دعوتهنّ. وسرعان ما انتسب إلى جمعيّة راهبات الورديّة فور تأسيسها خمس من الفتيات اللواتي قرّرن في البداية تكريس ذواتهنّ للّه في الرهبانيّة الجديدة، وكنّ من عائلات القدس العريقة، وهنّ: ريجينا كارمي، عفيفة أبو صوّان، جليلة عبيس، حنّة غطّاس، وأمينة حبَش. واجتازت الفتيات مرحلة المعارضة التقليديّة من قِبَل الأهل وفُزن بمبتغاهنّ. وفي ٢٤ تمّوز (يوليو) ١٨٨٠، أخذن بيتًا قرب دار البطريركيّة، والتحقت بهنّ أربع فتيات أُخريات، فصرن تسعًا منحهنّ البطريرك براكو الثوب الرهبانيّ في احتفال خاصّ بتاريخ ١٥ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٨٨٠. أمّا الراهبة ماري ألفونسين فظلّت تراودها فكرة تأسيس رهبانيّة وطنيّة. وتأكّد عزمها بظهور العذراء لها مرّات متتالية منذ عام ١٨٧٤، ودارت الظهورات حول دعوة الراهبة والرهبانيّة المزمع إنشاؤها. فتوجّهت الراهبة إلى البطريرك براكو والأب يوسف طنّوس الذي رأى في الراهبة الرائية إشارة سماويّة لمتابعة مشروعه الرهبانيّ. وانتقلت الأمّ ماري ألفونسين من جمعيّة راهبات مار يوسف إلى رهبانيّة الورديّة الجديدة في ٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٨٣، حيث أمرها مرشدها الأب يوسف طنّوس بكتابة مذكّراتها حول ظهورات العذراء لها. وقد ظلّ سرّها مكتومًا حتّى مماتها بعد أن عاشت حياة خفيّة بسيطة، ولم يطّلع أحد على سرّها حتّى ولا أختاها حنّة وريجينا اللتان انضمّتا إلى رهبانيّة الورديّة قبلها. فأختها حنّة التي غدت رئيسة عامّة للرهبانيّة لم تطّلع على مذكّراتها قبل وفاتها في

الخامس والعشرين من آذار (مارس) ١٩٢٧، ولم يَدُر في خلد أيّ من راهبات الورديّة أنّ التي غابت عن الوجود إنّما هي المؤسِّسة الحقيقيّة للرهبانيّة. ولهذا تَعُدّ راهبات الورديّة الأمّ ألفونسين مؤسّستهنّ مع الأب يوسف طنّوس. ثمّ عيّن الأب يوسف طنّوس للراهبات المبتدئات معلّمة هي الأخت روزالي ناصر من راهبات الناصرة. وفي ٧ آذار (مارس) ١٨٨٥، أبرزد مبتدئات النذور الرهبانيّة الكبرى، وأخذن ينتظرن التعيين في إرساليتهنّ الجديدة. فوجدت فيهنّ البطريركيّة خير معين لكهنة البطريركيّة للعمل في القطاع النسائيّ، وعملهنّ الأساسيّ تعليم الدين المسيحيّ في مدارس البنات، وتلقين الطالبات مبادئ اللغة والخطّ. وتوفّي الأب يوسف طنّوس في الناصرة بتاريخ ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٢، ودُفن في دير راهبات الورديّة في ماميلا بالقدس. وما هي إلاّ بضع سنوات حتّى كانت راهبات الورديّة العربيّات يعملنَ في معظم رعايا البطريركيّة، وقد شاركن كهنة البطريركيّة مشقّات الحياة الصعبة في مراحل التأسيس الأولى. وما زالت الرهبانيّة قائمة إلى اليوم وهي مزدهرة وقد انتشرت في معظم البلدان العربية[1].

راهبات المحبّة: أسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٦٢٥، فجئن إلى اسطنبول سنة ١٨٣٩، وإلى بيروت سنة ١٨٦٠ بعد الحوادث الدامية التي جرت آنذاك في لبنان.

راهبات القدّيس شارل بورومه: أسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٦٥٢ فأتَين مصر سنة ١٨٨٤، ولهنّ ديورة في مصر وفلسطين وسورية.

راهبات الراعي الصالح: أسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٨٢٩، أسّسن لهنّ ديرًا في مصر سنة ١٨٦٥، وديرًا في لبنان ١٨٩٣، وديرًا مستحدثًا في سورية.

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص ٢٧٨ ـ ٢٨٢.

راهبات القدّيس يوسف: أُسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٨٣٢ فأتَين القدس سنة ١٨٤٨ وانتشرت رهبانيّتهنّ بعد ذلك في سورية ولبنان.

فرنسيسكانيّات مصر: أُسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٨٧٦، واتّحدت بفرنسيسكانيّات فلورنسا سنة ١٨٩٦.

الفرنسيسكانيّات المريمات: أُسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٨٧٧، وبنَين أوّل دير لهنّ في بيت لحم سنة ١٩٠٩، ثمّ انتشرت الرهبانيّة في سورية وفلسطين ومصر.

راهبات الناصرة: أُسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٨٨٢، وبنَين أوّل دير لهنّ في بيروت سنة ١٨٦٨، وبعد عام ١٩٥٠ أقمن مؤسّسات كثيرة في الأردنّ تابعة للأساقفة الملكيّين.

وتهتمّ هؤلاء الراهبات بالمدارس الإبتدائيّة والثانويّة والمستشفيات والمياتم ودُور العجزة ودُور اللقطاء، ويساعدن الخوارنة في مشاريع الرعيّة على اختلاف أنواعها.

وهناك رهبانيّات مكرّسة للحياة النسكيّة والصلاة كالبنديكتان والترابيست والكرمليّات والكلاريس. وقد ظهرت رهبانيّات جديدة منها "إخوة وأخوات يسوع الصغار"، و"أخوات الناصرة الصغيرات"...، لها أهداف لم تكن معروفة في السنوات الماضية، كالعمل في المعامل، والإهتمام بالأسر الضعيفة المتأخّرة، وهي آخذة في الإنتشار في الشرق والغرب. وممّا لا شكّ فيه أنّ للراهبات الغربيّات أو الوطنيّات فضلاً كبيرًا في تربية الناشئة النسائيّة في الشرق[1].

توفّي البطريرك منصور براكو في فجر التاسع عشر من حزيران (يونيو) عام ١٨٨٩ وهو في السنة الرابعة والخمسين من عمره، قضى منها ستّة عشر عامًا

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٦٩ - ٣٧١.

بطريركًا للقدس. وازدهرت البطريركيّة بالرعايا التي أسّسها والمؤسّسات الرهبانيّة التي دخلت في عصره للعمل في الأبرشيّة الأورشليميّة. وفي يوم وفاته، تهافت الشعب كلّه على اختلاف دياناته من المسيحيّين والمسلمين واليهود لزيارة رفاته، وكان الجميع ينعته بالرجل القدّيس[١].

آخِر بَطَارِكَة

القَرن التَّاسِع عَشَر

خلف البطريرك منصور براكو على كرسيّ القدس اللاتينيّة في الثامن من أيلول (سبتمبر) ١٨٨٩ البطريرك لودوفيكو بيافي[٢]، وهو راهب فرنسيسكانيّ أهّلته السنوات الثلاث والثلاثون التي قضاها في الشرق لمنصب بطريرك القدس. وقد استعان بعد تعيينه بأسقفَين مساعدَين لإدارة الأبرشيّة، وهما "باسكال أبوديا" سنة ١٨٩١، و"لويس بيكاردو" سنة ١٩٠٢. وفي عهده عُقِدَ المؤتمر القربانيّ بالقدس سنة ١٨٩٣، وزارَ أمبراطور ألمانيا "فلهلم الثاني" المدينة المقدّسة عام ١٨٩٨. وقد اقتصرت الرعايا التي أنشأها بيافي على رعيّة "المجيدل" التي عهد بها إلى الآباء الفرنسيسكان، بيد أنّه عمل على تعزيز أوضاع الرعايا التي أنشأها سلفاه. وقد كتب أحد مؤرّخيه أنّه "وجّه جهوده إلى تطوير الرعايا القائمة وتزويدها بالخدمات الضروريّة... فمعظم كنائس الرعايا وأديارها كان موقّتًا ولا يتناسب مع عدد المؤمنين، وغير صحيّ لسُكنى المرسَلين.

---

١ - كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٢.

٢ - **البطريرك لودوفيكو بيافي** LUDOVICO PIAVI (١٨٣٣ - ١٩٠٧): وُلد في بلدة رافينا RAVENA الإيطاليّة في ١٧ آذار (مارس) ١٨٣٣، التحق بالرهبانية الفرنسيسكانيّة وسيم كاهنًا ١٨٥٥، دخل في خدمة حراسة الأراضي المقدّسة التي أرسلته إلى حريصا لتعلُّم العربية، فأتقنها، عُيِّن زمنًا في حلب ثمّ تسلّم إدارة الكليّة الفرنسيسكانيّة فيها، على أثر وفاة البطريرك فاليرغا ١٨٧٢ عُيِّنَ قاصدًا رسوليًا لبلاد سورية، رُسِمَ أسقفًا في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٦، بطريرك اللاتين في القدس ١٨٨٩ ـ ١٩٠٧، قيل فيه إنّه كان دبلوماسيًّا جامد الملامح، يخفي وراءها قلبًا يطفح بالحيويّة.

ومن حسن الحظ أنّه كان بين كهنة البطريركيّة مهندس موهوب ومخلص هو الأب باربيرس BARBERIS الذي أشرف على بناء المعهد الإكليريكيّ في القدس ١٨٩٠ ـ ١٨٩١، كما أشرف على أبنية عديدة في مختلف الرعايا. أمّا التوقّف عن إنشاء رعايا جديدة فقد يكون مردُّه أيضًا إلى سياسة البابا لأون الثالث عشر خليفة بيوس التاسع، الذي شجّع على دعم الطوائف الشرقيّة الكاثوليكيّة المتّحدة بروما. وظهر في المؤتمر القربانيّ الذي عُقِد في القدس سنة ١٨٩٣ أوّل اعتراض علنيّ على سياسة مجمع نشر الإيمان الرامية إلى توطيد حضور الكثلكة في فلسطين والبلاد المجاورة من خلال الطقس اللاتينيّ والمرسَلين اللاتين. وقاد معارضة تيّار "اللتننة" البطاركة الشرقيّون والشخصيّات الفرنسيّة في المؤتمر، ممثّلةً بالآباء البيض* وآباء الأسومبسيونست[1] ، في حين أيَّد وجهة النظر المعاكسة الرهبان الفرنسيسكان والبطريركيّة اللاتينيّة طبعًا، وأنصار مجمع نشر الإيمان. وسوف تستمرّ هذه المعارضة فتظهر عند كلّ تعيين بطريركٍ جديد، في محاولة لإلغاء البطريركيّة اللاتينيّة. وقد نوقشت هذه القضيّة بجدّيّة في المجمع الفاتيكانيّ الثاني ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥. إلاّ أنّ الكنيسة رأت أنّ في هذه المؤسّسة فائدة للكنيسة المحلّيّة كما وللكنيسة عامّة. ويقول أحد العلماء المعاصرين من كهنة البطريركيّة اللاتينيّة في القدس إنّه "اليوم، وقد أصبحت البطريركيّة من حيث الإكليروس والمؤمنون من أبناء الأرض، أعني من فلسطين والأردن، فقد أصبح مصيرها خيارًا يقرّره أبناء الأرض والبلد أنفسهم[2]".

---

١ ـ الأسومبسيونست ASSOMPTIONNISTES أو الآباء الأغوسطينيّون AUGUSTINS: جمعيّة آباء كنسيّة أسسها L'ABBÉ D'ALZON في نيم NÎMES ١٨٤٥ ـ ١٨٥٠ للإهتمام بشؤون الحجّ المسيحيّ إلى الأماكن المقدّسة.

٢ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٣.

تخرّج في عهد البطريرك بيافي ١٨ كاهنًا من إكليريكيّة بيت جالا، ١٢ منهم من أبناء الأبرشيّة، من بينهم أوّل كاهن من شرق الأردن وهو الأب سليم الزعمط. وكان مرسَلو البطريركيّة يتلقّون العون من الإكليروس المارونيّ والآباء الفرنسيسكان ومختلف الرهبانيّات التي استقدمها البطاركة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وإذ كانت المدارس الرهبانيّة قد تمركزت في المدن الكبرى من دون القرى، صرف البطريرك بيافي جهوده إلى تأسيس المدارس في الريف، ودعمت جمعية "كولن" الألمانيّة هذه الجهود، فأسّست عام ١٨٥٥ جمعيّة عُرِفَت بإسم جمعية الأرض المقدّسة DAS HEILIGE LAND VEREIN، لدعم الكنيسة الكاثوليكيّة في فلسطين. وتوفّي البطريرك بيافي في الرابع والعشرين من كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٠٥ عن عمر يناهز السبعين عامًا، ودُفِنَ بجوار أسلافه في الكنيسة الكاتدرائيّة المرافقة[١].

تأسيس إكليريكيَّة القدِّيسة حنّة

حول تأسيس إكليريكيَّة القدِّيسة حنّة، يروي أحد الباحثين المعاصرين في تراث الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة[٢] أنّ الصليبيّين قد بنوا في النصف الأوّل من القرن الثاني عشر كنيسة على اسم القدّيسة حنّة في القدس، على أنقاض بيت القدّيسَين يواكيم وحنّة والدَي العذراء مريم. وقد حوّلت هذه الكنيسة، عام ١١٩٢، إلى مدرسة لتعليم الفقه الإسلاميّ على المذهب الشافعيّ بأمر من صلاح الدين الأيّوبيّ، فعُرفت منذ ذلك

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.

٢ ـ كبكب د. وسام، (أستاذ تاريخ الكنيسة في معهد القديس بولس في حريصا)، كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك، في كتاب: تاريخ الكنيسة، دار المشرق، ط٢ (بيروت،١٩٩٧) ص٧٥ وما يليها.

التاريخ باسم "الصلاحيّة"[1]، وعندما نشبت حرب القرم (١٨٥٤ ـ ١٨٥٥) بين تركيا وروسيا، وقفت فرنسا إلى جانب السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١) الذي خرج من الحرب منتصرًا. وكبادرة امتنان من قِبَله، قدّم السلطان لفرنسا مدرسة الصلاحيّة.

وإذ تسلَّمت فرنسا كنيسة أثريّة متداعية الجوانب، باشرت فورًا بترميمها بإشراف المهندس "موس MAUSS" الذي أعاد البناء إلى هندسته الأصليّة[2] في سنة ١٨٧٧. وعرضت الحكومة الفرنسيّة على أسقف الجزائر الكاردينال "لافيجري LAVIGERIE" مؤسّس "جمعيّة الآباء البيض*" تسلّمَها. وبعد مفاوضات طويلة في روما، وافق "مجمع انتشار الإيمان"، في ٨ شباط (فبراير) ١٨٧٨، على إقامة الآباء البيض في "الصلاحية" بصفة "حرّاس وخدّام". فأرسل الكاردينال أربعة مرسَلين باشروا درس اللغة العربيّة والاطّلاع على أحوال البلاد تمهيدًا لدرس فكرة إنشاء مؤسّسة للدراسات الإنجيليّة والأثريّة[3]، إلى جانب عدد من المشاريع الأخرى.

وبينما هم في حيرة، زارهم بطريرك الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة غريغوريوس يوسف الأوّل سيّور (١٨٦٤ ـ ١٨٩٧) في ١٠ حزيران (يونيو) ١٨٨٠ فاستقبلوه بترحاب كبير، لا سيّما وأنّ البطريرك كان على معرفة وطيدة بالكاردينال لافيجري من خلال الزيارة التي قام بها للشرق، إثر أحداث عام ١٨٦٠، من قِبَل "جمعيّة مدارس الشرق"، بهدف توزيع المساعدات على المسيحيّين المنكوبين. وكان لافيجري قد

---

١ ـ فاخوري الأب جورج البولسي، مدرسة القدّيسة حنّة (الصلاحية) تحتفل بيوبيلها الألماسيّ، مقال في "المسرّة"، السنة ٤٥ (١٩٥٩)، ص ٦١٢. GORRA MGR PHILIPPE, *SAINTE-ANNE DE JÉRUSALEM, SÉMINAIRE GREC MELKITE DIRIGÉ PAR LES PÈRES BLANCS*, IMP. ST PAUL (HARISSA-LIBAN, 1922) P. 15.

٢ ـ بدين الخوري ميخائيل، مدرسة القدّيسة حنّة الإكليريكيّة للروم الكاثوليك، مقال في "المجلّة الكهنوتيّة"، السنة ٦ (١٩٥٥) العدد الأوّل (كانون الثاني) ص ٢٥.

٣ ـ LEBLOND MARIUS-ARY, *LAVIGERIE ET LES PÈRES BLANCS*, MAME, (PARIS, 1938), P. 70.

اكتشف، عن كثب" البؤس العميق الذي يعانيه المسلمون، وحاجة المسيحيّين الكبرى إلى المساعدة الماديّة والروحيّة[1].

في ذلك التاريخ، كانت إكليريكيّة عين تراز للملكيّين الكاثوليك في لبنان قد باشرت عملها، بعد ترميمها، إلى جانب المدرستَين البطريركيّتَين في دمشق وبيروت كما سيأتي. لكنّ البطريرك الملكيّ كان يرى أنّ كنيسته بحاجة ماسّة إلى إكليريكيّة كبرى تخرّج "إكليروسًا علمانيًّا" لخدمة الأبرشيّات في مختلف مرافقها القائمة، وتلك التي كان يؤمَل في تحقيقها[2]. ومن ناحية أخرى، لم تكن الرهبانيّات قادرة على تلبية حاجات العصر الذي كان سبقها في المجال العلميّ. أمام هذا الواقع، كرّر البطريرك سيّور زيارته إلى الآباء البيض في ١٦ حزيران (يونيو)، وتباحث معهم في المشروع الذي كانوا ينوون تحقيقه. وإذ لمس حيرتهم، قال لهم: "بوسع جمعيّتكم تأدية خدمة عظيمة إن هي رضيت بأن تستقبل في هذا البيت بعض التلامذة من أولادنا الشرقيّين لتعليمهم وتثقيفهم حتّى يصبحوا يومًا إمّا معلّمين من الكاثوليك وإمّا كهنة[3]".

لم يتوانَ الآباء البيض عن مراسلة رئيسهم الكردينال لافيجري لإطلاعه على رغبة البطريرك سيّور، فأجابهم: "إنّني أعلّق على ما كتبتم إليّ بشأن المدرسة الرسوليّة أهميّة كبرى، بمقدار ما أعتقد بأنّ الطائفة الملكيّة هي الأكثر عددًا في الشرق، وأنّ الروم الملكيّين وإكليروسهم في حاجة قصوى إلى أن يساعَدوا في هذا

---

١ - MERCENIER DOM. F., *LE SÉMINAIRE MELKITE DE SAINT-ANNE*, ART. DANS: *IRÉNIKON*, TOME IX, N. 6 (NOV-DÉC.1932) PP. 507-508.

٢ - غرّة الأرشمندريت فيلبّس، سنة الخمسين لتأسيس إكليريكيّة القدّيسة حنّة بالقدس ١٨٨٢ - ١٩٣٢، مطبعة القديس بولس (حريصا - لبنان) ص ١٤.

٣ - BAUNARD MGR: *LE CARDINAL LAVIGERIE*, J. DE GIGORD, EDITEUR, (PARIS 1922) 2: 117.

الشأن[١]". وللحال اتّصل الكردينال لافيجري بحكومة "غامبيتا[٢]" مبيّنًا أهميّة هذا المشروع، فقدّم له البرلمان الفرنسيّ تسعين ألف فرنك لمباشرة العمل[٣]. ولمّا أعلم الكردينال لافيجري البابا لاون الثالث عشر بالمشروع، وافق فورًا قائلاً: "إنّي آذن لك، لا بل آمرك بأن تؤسّس في القديسة حنّة بأورشليم إكليريكيّة للروم الملكيّين[٤]". وقد تلقّى لافيجري، بهذا الصدد، رسالة من رئيس مجمع انتشار الإيمان، في ١٨ آذار (مارس) ١٨٨٢، يُعلمه فيها بأنّ المجمع المقدّس قد وافق على مشروعه الذي ينوي تنفيذه في الشرق، وهو يتضمّن أربع نقاط[٥]:

١) أن تكون القدّيسة حنّة مجّانيّة لأحداث الروم الملكيّين، يستعدّون فيها إمّا للكهنوت وإمّا لمهنة التعليم؛ ٢) أن يُنشأوا على عوائد بلادهم وعلى طقسهم الخاص؛ ٣) أن تقام الصلاة في كنيسة المدرسة على الطقس الشرقيّ؛ ٤) أن يقيم المرسَلون الحفلات الكنسيّة على هذا الطقس عينه، لأجل تلامذتهم الشرقيّين.

لقد رأى الكردينال لافيجري في الشرق أملاً كبيرًا بالعودة إلى تراث المسيحيّة القديم، حيث نشأ السيّد وترعرع وصلّى وصُلب وقَام. لذلك بذل جهودًا جبّارة لتقريب

---

١ - BAUNARD, OP. CIT., TOME II, P. 117.

٢ - ليون غامبيتا LÉON GAMBETTA (١٨٣٨ - ١٨٨٢): محام وسياسيّ فرنسيّ جمهوريّ، نائب باريس ١٨٦٩، عضو حكومة "الدفاع الوطني" حيث بذل الجهد الأكبر لتنظيم المقاومة الفرنسيّة، رئيس مجلس النوّاب ١٨٧٩، رئيس الحكومة ١٨٨١.

٣ - دهان الخوري نقولا، نبذة تاريخيّة في مدرسة القديسة حنّة الإكليريكيّة، مقال في "المشرق"، السنة ١٠ (١٩٠٧) ص ٨٦.

٤ - دليل المسرّة، ص ٩٥؛ PORTIER P., *LETTRE-RAPPORT À MGR LAGIER*, DANS: BULL, D'O.E.O.N. 410, (DÉC. 1932), P. 186.

٥ - نقلاً عن: إندراوس الأب الياس البولسيّ، الكردينال لافيجري وروح الرسالة في الشرق، مقال في "المسرّة"، السنة ١٨ (١٩٣٢)، ص ٥٣٨؛ BAUNARD, OP. CIT., T.II, P. 121; FARAGE MGR. ANTONIOS, LE CARDINAL LAVIGERIE ET L'ESPRIT D'APOSTOLAT EN ORIENT, IMP. SAINT-PAUL, (HARISSA-LIBAN, 1932) P. 35.

الشرق من كنيسة روما، باستغلال كلّ المناسبات. وكان ردّه عنيفًا على حركة لتننة الشرق، وإفراغه من روحانيّته الخاصّة. فكتب إلى وزارة الخارجيّة الفرنسيّة ومجمع انتشار الإيمان، معارضًا هذا المنحى في العمل الرسوليّ، ومُظهرًا الخطأ الفادح الذي ارتكبه الفرنسيسكان، ويرتكبه الكثيرون من المرسَلين اللاتين، في إبعاد الشرقيّين عن طقسهم[1]. ومن وحي هذه الروح الشرقيّة، قبل الكردينال لافيجري أن يتبنّى مقدّسات القدّيسة حنّة، وأن يحوّل مزارها، في ما بعد، إلى إكليريكيّة، هدفها تزويد الطلاّب بالفضيلة والعلوم الدينيّة، ليتحوّلوا، في المستقبل، إلى كهنة ينذرون أنفسهم للعمل بين مسيحيّي الشرق. ولقد حافظت الإكليريكيّة على روح مؤسّسها، لا في الطقس والتعليم فقط، بل وفي طرق العيش أيضًا[2]. وبذلك أسهم لافيجري في الحفاظ على شخصيّة الكنائس الشرقيّة التي كان يريدها شرقيّة، ويريد أبناءها شرقيّين على مثال أجدادهم، لأنّه أدرك، بعقله الواسع الحصيف، أنّ الشرق لا يرتقي ولا يعود إلى وحدة الإيمان إلاّ عن طريق عوائده وطقوسه[3].

كانت المهمّة الأساسيّة التي أخذتها إكليريكيّة القدّيسة حنّة على عاتقها، تنشئة "كهنة سوريّين وفلسطينيّين ومصريّين، من حيث التطلّع والطقس واللغة والخدمة". ولم تتمّ هذه المهمّة من خلال الدروس النظريّة فحسب، بل ومن خلال الدروس العمليّة التطبيقيّة التي قدّمها الآباء البيض إلى طلاّبهم، ومثلهم الصالح، وقداستهم الكهنوتيّة،

---

١ - إندراوس الأب الياس البولسي، أحد أصدقاء الشرق العظام الكردينال لافيجري ١٨٢٥ ـ ١٨٩٢، مقال في "المسرّة"، السنة ١٢ (١٩٢٦)، ص ٧٦؛ BAUNARD OP. CIT., T. II, P. 106.

٢ - GORRA, OP. CIT., P. 142؛ راجع: دهبر الأب د. نقولا، إكليريكيّة القدّيسة حنّة المعروفة بالصلاحيّة، مقال في "المسرّة"، السنة ٤٣ (١٩٥٧)، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

٣ - إندراوس، أحد أصدقاء الشرق...، مرجع سابق، ص ٧٥.

وأفكارهم الكاثوليكيّة، وسيرتهم الرسوليّة الحقيقيّة[1]. فكان خريّج تلك الإكليريكيّة يحمل علامات الآباء البيض من تواضع وتخلّ عن خيرات الدنيا وثقافة واسعة ونفس عالية. فأهّلته هذه الصفات لخدمة النفوس على أكمل وجه. كما أنّ البرامج التي أعدّها الآباء البيض لطلاّبهم، كانت كافية لإعداد الكاهن الرصين والنشيط والكامل في آدابه الخاصّة، والغيور على خدمة النفوس[2]، حتّى أنّ شهرة "الصلاحيّة" انتشرت بين صفوف المسيحيّين، فأصبحت الأسر الملكيّة الكاثوليكيّة، في دمشق وحلب ومدن الشرق الأدنى العربيّ، تفتخر بأن ترسل أبناءها ليتلقّنوا العلوم على أيدي الآباء البيض في القدس[3]. وعلى الرغم من المصاعب الماديّة الخانقة التي عانتها الإكليريكيّة، فقد استطاعت أن تخرّج حتّى عام ١٩٣٢ زهاء ٩٤٦ طالبًا رُسم منهم ١٣٤ كاهنًا وثلاثة شمامسة[4]. ومَن لم ينتظم من تلامذتها في السلك الكهنوتيّ، بلغ أرقى الوظائف، حتّى أصبح ارتقاء الوظائف الرفيعة مرادفًا للتخرّج من "الصلاحيّة[5]".

---

١ ـ محفوظات جمعيّة المرسلين البولسيّين، مذكّرات الأب بولس سيّور (مخطوط)، ص ٦٥.

٢ ـ دهبر، مرجع سابق، ص٥٨٥.

٣ ـ *MAXIMOS IV PASTEUR ET PÈRE*, PAR LES RELIGIEUSES DE NOTRE-DAME DU PERPÉTUEL SECOURS, -AVEC LE CONCOURS DE COLLABORATEURS INTIMEA DE MAXIMOA IV, IMP. ST-PAUL, (JOUNIEH LIBAN, 1981), P. 15.

٤ ـ كبكب د. وسام، جمعيّة المرسلين البولسيّين تأسيسها تنظيمها دورها الرسوليّ، الجزء الأول ١٩٠٣ ـ ١٩٥١، منشورات المكتبة البولسيّة (جونيه ـ لبنان، ١٩٨٧) ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

٥ ـ أُقفلت إكليريكيّة القديسة حنّة في فلسطين سنة ١٩٦٩، ذلك أنّه كان فيها ١٥ إكليريكيًّا في حرب ١٩٦٧ أمضوا ثلاثة أيّام بلياليها في طابق تحت الأرض هربًا من القصف المنهمر على مدينة القدس، وقد تلقّى أحدهم شظيّة قذيفة في ساقه، وما لبث الإكليريكيّون أن عاد كلّ منهم إلى بلده من دون أن يتمكّنوا من العودة، وفي ذلك العام انتقلت الإكليريكيّة موقّتًا إلى دير المرسلين البولسيّين في حريصا حيث تولّى الآباء البيض مسؤوليّاتها، بضيافة البولسيّين، حتّى ١٩٧١. ثمّ نُقلت إلى زوق مصبح في كسروان حتّى ١٩٧٧ بإدارة الكاهن البلجيكيّ الأب أنطوان لامنس الملكيّ الكاثوليكيّ، وكان تلامذتها يتابعون دروسهم العليا في جامعة الروح القدس ـ الكسليك للرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة. ونُقلت أخيرًا إلى مقرّها الجديد في "الرّبوة" في وسط قضاء المتن من أعمال محافظة جبل لبنان حيث بدأت أعمالها سنة ١٩٧٧، ويتابع الإكليريكيّون علومهم العالية لدى الآباء البولسيّين في حريصا.

بطَاركةُ القَرن العِشرين
والتغيُّرات الدِّيموغرافِيّة

خلف البطريرك بيافي على الكرسيّ الأورشليميّ اللاتينيّ البطريرك فيليب كماسيي CAMASSEI (١٩٠٧ ـ ١٩١٩)[١] الذي عاصر أحداث الحرب العالميّة الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨، حيث أُغلِقَت المدارس الفرنسيّة والإيطاليّة، وسُجِنَ عدد من كهنة البطريركيّة ورهبانها. وأخيرًا نفاه العثمانيّون إلى الناصرة في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧، حيث حلّ ضيفًا على الآباء الفرنسيسكان، وتابع من الناصرة الإشراف على رعايا البطريركيّة في شمالي فلسطين، في حين عَيّن نائبًا له في القدس المطران فرنسيس فيلينجر FRANÇOIS FELLINGER لرعاية الكنائس والأديرة في سائر فلسطين وشرق الأردن. وفي الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨، عاد البطريرك إلى القدس، وكان الكرسيّ الرسوليّ قد بعث من روما مساعدًا له هو المونسنيور لويس بارلسينا BARLASSINA في ٢٨ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩١٨. وما لبث البطريرك أن سافر إلى روما ليأخذ قسطًا من الراحة لِما عاناه من أحداث الحرب، وليقوم بزيارة رسميّة للفاتيكان. فأنعم عليه البابا بندكتس الخامس عشر بالرتبة الكرديناليّة في الثالث عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩١٨. وبقي في روما حتّى وفاته بتاريخ ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١، ودُفِنَ فيها[٢].

---

١ ـ بينما جعل كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٤، تاريخ وفاة بيافي ووفاة كماسيي سنة ١٩٠٧، جعلها يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٦٧، سنة ١٩٠٥.

٢ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٤.

خلف البطريرك كماسيي على الكرسيّ الأورشليميّ اللاتينيّ نائبه العام البطريرك لويس بارلسينا (١٩٢٠ ـ ١٩٤٧)[١]، فكان عليه أن يواجه الدمار الذي خلّفته الحرب العالميّة الأولى، ما جعله يولي جُلّ اهتمامه لترميم إرساليّات البطريركيّة وبناء المدارس والكنائس. ثمّ راح يسعى في تأسيس رعايا جديدة في شرق الأردن وفلسطين، ولا سيّما في القرى البعيدة والمهملة دينيًّا واجتماعيًّا، حيث كانت الخدمات العامّة والبنية التحتيّة شبه معدومة. وفي عهد هذا البطريرك، برزت بوادر المطالبة بتعريب أجهزة البطريركة وإدارتها. وقد بدأت هذه الظاهرة في رعيّة مأدبا، كبرى رعايا البطريركيّة في شرق الأردن. وقادتها مجموعة من رجال الرعيّة أطلقت على نفسها اسم "لجنة الإصلاح"، فبعثت بالعرائض إلى البطريرك والشخصيّات المسيحيّة في الضفّتين مطالبة بتعيين نائب بطريركيّ عربيّ في عمّان، ورئيس عربيّ للمعهد الإكليريكيّ، وتوظيف معلّمين محلّيّين في مدارس البطريركيّة. ويقول باحثون في شؤون الكنيسة الأورشليميّة اللاتينيّة إنّ البطريركيّة قد احتوت هذه الظاهرة التي جاءت بتأثير القضيّة العربيّة الأرثذوكسيّة التي دارت أحداثها في الحقبة عينها. واستطاع البطريرك أن يتعامل معها بكياسة. فلبّى مطالب أصحابها بصورة تدريجيّة حين توفّرت العناصر المحليّة المطلوبة. فعيّن نائبًا عامًّا له في عمّان المونسنيور أنطون زيتون سنة ١٩٢٧، وخلفه المونسنيور منصور جلّاد سنة ١٩٣٥، فالمونسنيور نعمة سمعان ١٩٤٠، ثمّ كان هذا الأخير أوّل نائب بطريركيّ عامّ يُرسم أسقفًا لشرق الأردن، وقد تمَّ ذلك سنة ١٩٦٥. وكان المطران منصور جلّاد أوّل أسقف عربيّ يُرسَم في القدس عام ١٩٤٧.

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥؛ قابل: يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٦٧، حيث جاء أنّ بداية ولاية بارسلينا كانت سنة ١٩١٩.

كان البطريك بارلسينا صاحب شخصيّة قويّة، عاصر الانتداب البريطانيّ في فلسطين منذ بدايته وحتّى نهايته، كما عاصر بداية حركات الصراع الفلسطينيّ اليهوديّ وتعامل معها بحكمة وبجرأة. فكان محاميًا عن مصلحة الكنيسة والمسيحيّين جميعًا. وفي خلال الحرب العالميّة الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، كانت حكومة الإنتداب البريطانيّ تقوم بتدابير أسر وإقامة جبريّة بحقّ أكثريّة أعضاء الإكليروس الأبرشيّ والرهبانيّ من الجنسيّتَين الإيطاليّة والألمانيّة. وبالرغم من الضيق الماليّ الذي تعرّض له بسبب الحرب وانقطاع وصول الموارد إليه، فقد صرف همّه في مساعدة اللاجئين المتضرّرين من هذه الحرب، ولا سيّما من البولنديّين الذين توافدوا في تلك الحقبة على فلسطين. وكان من أبرز أعماله الراعويّ أنّه وضع سلسلة من كتب التعليم المسيحيّ بصيغة السؤال والجواب، استخدمتها جميع المدارس الكاثوليكيّة الرهبانيّة والأبرشيّة، فكانت خير وسيلة لتربية الأجيال المسيحيّة في عهده وفي العهود التي تلته حتّى المجمع الفاتيكانيّ الثاني. وقد تُوُفّيَ البطريك بارلسينا سنة ١٩٤٧ قبل بداية المرحلة الحاسمة في الصراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ. وبقيت البطريركيّة بعد وفاته في رعاية مدبّر رسوليّ، تسلَّم زمام الأمور فيها مدة ثلاث سنوات ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠، وهو القاصد الرسوليّ "تستا"، قبل أنّ يعيّن ألبرتو غوري ALBERTO GORI بطريركًا (١٩٥٠ ـ ١٩٧٠)[١]. وهو من الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة[٢].

منذ نهاية الحرب العالميّة الأولى شهدت فلسطين وشرق الأردن، كما وسائر البلاد العربيّة، انقلابًا حاسمًا في تاريخها. فقد وضعت الحرب حدًّا للحكم العثمانيّ الذي دام خمسة قرون. ونشأت الدول العربيّة الحديثة. وكذلك نشأت إمارة شرق الأردن في

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٦٧.

جنوب سورية بقيادة الأمير عبد اللّه بن الحسين الهاشميّ. وقد طوّرت العائلة الهاشميّة البلاد وتعاونت مع العشائر البدويّة في شرق الأردن، وأوجدت دولة حديثة. وكان قد بدأ في فلسطين نظام حكم جديد في ظلّ الانتداب البريطانيّ. وفي الوقت نفسه بدأ الصراع بين القوميّتَين الفلسطينيّة واليهوديّة. وبهدف إنشاء دولة يهوديّة في فلسطين، أو على ما يعتبره اليهود "أرض الميعاد"، بدأت تحرّكات دبلوماسيّة من قِبَل قادة الحركة الصهيونيّة منذ القرن التاسع عشر لدى السلطنة العثمانيّة، واستمرّت لدى الحكومة البريطانيّة. وكانت الصدمات الأولى الدامية بين العرب واليهود في فلسطين عام ١٩٢٠. وقد استهدف الطرفان المتصارعان في الوقت نفسه حكومة الانتداب البريطانيّ. وفي عام ١٩٤٨ قرّرت بريطانيا أن تنسحب من فلسطين. فبدأ اليهود في تحقيق مشروعهم العدوانيّ بقوّة السلاح والأعمال الإرهابيّة، وفي المقابل، نشأت مقاومة فلسطينيّة لهذا المشروع العدوانيّ، سرعان ما دخلت فيه الدول العربيّة المجاورة لفلسطين طرفًا، إلى أن أُعلِن، بمساندة غربيّة دوليّة، عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ في القسم الغربيّ من فلسطين، في حين انضمّ القسم الشرقيّ إلى أمارة شرق الأردن حيث تكوّنت المملكة الأردنيّة الهاشميّة. ولقد كان موقف الكرسيّ الرسوليّ في تلك الحقبة مدافعًا للغاية عن أولويّة الحقوق والامتيازات الكاثوليكيّة في الأرض المقدّسة على المجموعات الدينيّة الأخرى. وكان إعلان بلفور[1]، وفيه وعد بإقامة وطن يهوديّ في فلسطين، قد أصبح من هموم الكرسيّ الرسوليّ الرئيسيّة، فالبابا بنديكتوس الخامس عشر (١٩١٤ ـ ١٩٢٢) قد عبّر عن هذا القلق في خطاب ألقاه بتاريخ ١٠ آذار (مارس) ١٩١٩. كما جاء تعبير مماثل على لسان البابا بيوس الحادي

---

١ ـ **أرثر جيمس بلفور** BALFOUR (١٨٤٨ ـ ١٩٣٠): سياسيّ إنكليزيّ، رئيس الوزراء ١٩٠٢ ثمّ وزير الخارجيّة ١٩١٧، أصدر ١٩١٧ "وعد بلفور" الذي ضمّنه رأي حكومته القائل بحقّ اليهود في إنشاء وطن قوميّ في فلسطين.

عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٩) في خطاب ألقاه بتاريخ ١١ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٢٢. وفي أعقاب قرارات الأمم المتّحدة والمداولات حول وضع القدس التي جرت ما بين ١٩٤٨ و١٩٥٠، خرج الكرسيّ الرسوليّ بموقف مؤيّد لتدويل المدينة المقدّسة، وقد تمّ شرح هذا الموقف في رقيمَين متتاليَين أصدرهما البابا بيوس الثاني (١٩٣٩ ـ ١٩٥٨) عشر في ٢٤ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٤٨، وفي نيسان (إبريل) ١٩٤٩[١].

مع انقسام فلسطين، بدأ واقع جديد الملامح سياسيًّا وحضاريًّا وثقافيًّا. وأصبحت الأبرشيّة البطريركيّة اللاتينيّة تقع في قسمَين مختلفَين منعزلَين سياسيًّا عن بعضهما البعض: المملكة الأردنيّة الهاشميّة، والأراضي الفلسطينيّة المحتلّة الواقعة ضمن الكيان الصهيونيّ الذي سُمّي دولة إسرائيل. وأصبحت أوضاع الناس غاية في الصعوبة، وسط صراع مستمرّ ومتعدّد الأشكال والطرق بين الشعبَين العربيّ واليهوديّ. وأصبح الاتّصال بين جزئَي الأبرشيّة، عسيرًا وأحيانًا غير ممكن. وكان مقرّ البطريركيّة في القدس القديمة، أي في القسم الأردنيّ. فلم يعد بوسع أحد سوى البطريرك وبعض الأفراد أن يزور قسم الأبرشيّة الواقع في الأراضي المحتلّة. وقد أتاح اللّه للبطريركيّة أن يدير شؤونها في هذه الحقبة الصعبة شخصيّات مؤمنة ومناضلة في رسالتها الدينيّة والإنسانيّة، تعاملت مع الواقع العصيب بحكمة. في هذه الظروف، اهتمّ البطريرك ألبرتو غوري بتنظيم شؤون البطريركيّة تبعًا للواقع الجديد. وكان قد زال بعض الرعايا من الوجود بسبب رحيل الناس ولجوئهم إلى خارج فلسطين، مثل رعيّتَي اللّد وبيسان داخل الأراضي المحتلّة، حيث بقيت فيها كنائس خالية من مؤمنيها مثل المجيدل وطبريّا، في حين ظهرت رعايا جديدة في شرق الأردن، تكوّنت من لاجئين

---

١ - عيراني جورج إميل، البابويّة والشرق الأوسط، تعريب بول سرّوع، دار ملفّات (فغال - لبنان،١٩٩٧) ص٩٩ - ١٠٠.

فلسطينيّين ومن تحرُّك ديموغرافيّ أردنيّ داخليّ من الريف إلى المدينة. وعلى سبيل المثال فإنّ رعيّة عمّان التي كان يقتصر عدد أبنائها على بعض مئات، أصبحت تُعدُّ بالآلاف، وقد أضحى في عمّان اليوم تسع رعايا مستقلّة. وإذ نشأت مدينة الزرقاء، التي كانت أصلاً معسكرات للجيش الأردنيّ وأماكن سكن لعائلاته، أُسّست فيها رعيّتان للاتين. فيما تضاءل حجم بعض الرعايا القديمة في شرق الأردن مثل رعيّة السلط، إذ أصبحت المرتبة الأولى الآن لعمّان. وأصبحت رعيّة نابلس في فلسطين بعد هجرة الدوائر الحكوميّة عنها رعيّة صغيرة لا شأن لها من الناحية المسيحيّة. وبينما في مدينتَي الجليل: الناصرة وحيفا، ازداد عدد المسيحيّين بسبب هجرة بعض أبناء القرى إليهما، شهدت القدس تقلّصًا كبيرًا في عدد المسيحيّين، فبعد أن كان عددهم يربو على الثلاثين ألفًا عام ١٩٤٨، أخذ يتقلّص بعد ذلك التاريخ حتّى بلغ السبعة عشر ألفًا عام ١٩٦٧، وعندما تسبّب الحكم الإحتلاليّ بنشوب انتفاضة المسجد الأقصى مؤخّرًا، تدنّى هذا العدد إلى أقلّ من عشرة آلاف مواطن مسيحيّ[1]. وقد جاء في دراسة ديموغرافيّة مستقلّة جرت أواسط العقد الأخير من القرن العشرين، أنّ أبرشيّة القدس في مجمل الأراضي المحتلّة والضفّة الغربيّة وقطاع غزّة والأردن، تعدّ نحو ١٨٢ ألف نسمة مسيحيّة من مختلف الكنائس، مقابل ثلاثة ملايين مسلم، ومليونين و٩٠٠ ألف يهوديّ. ويذكر المرجع نفسه أنّ التغييرات الديموغرافيّة في القدس تشكّل إحدى المشاكل التي يواجهها الكرسيّ الرسوليّ، وأنّه جاء في إحصاء سكّاني أجري إثر حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بعد ضمّ القدس إلى الأراضي المحتلّة، أنّ سكّان القدس توزّعوا على الشكل التالي: ١٩٩ ألف يهوديّ، ٦٦ ألف عربيّ منهم نحو ١١ ألف و٨٠٠ مسيحيّ (٤٠٠٠ روم أرثذوكس، ٣٦٠٠ لاتين، ١٢٠٠ روم كاثوليك، ٣٠٠٠ أرمن)، ومنذ

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٥ ـ ٢٨٧.

١٩٧٩ قُدّر عدد المسيحيّين بأقلّ من ١٥ ألفًا، وقد انخفضت النسبة المسيحيّة من السكّان العرب من ٤٨,٩٪ سنة ١٩٤٩، إلى ٩,٨٪ سنة ١٩٧٥، والملاحظ أنّ ذلك التدنّي لم يكن في العدد بل في النسبة، وذلك ضمن إطار الزيادات السريعة في حجم المجموعات الإثنيّة - الدينيّة الأخرى. لكن تبقى حقيقة أنّ المسيحيّين يغادرون الأرض المقدّسة حتّى ولو كان خروجهم أقلّ ممّا كان عليه سابقًا، والأسباب الرئيسيّة لهذه الهجرة هي: وضع المسيحيّين الداخليّة، والخلفيّة المتأثّرة بالغرب عند بعض المسيحيّين العرب، والانتفاضة، والوضع الاقتصاديّ المتردّي، والصراع القائم حول مستقبل القدس[١].

أمام هذا الواقع الجديد، فإنّ رسالة النائب البطريركيّ المقيم في الناصرة داخل في الأراضي المحتلّة، لرعاية شؤون الكنيسة في شمال فلسطين، قد أصبحت أكثر أهميّة. وكان النائب البطريركيّ عام ١٩٤٨، يوم وقوع الإنقسام في فلسطين، الأب أنطون فرغاني. وقد قام في تلك الحقبة الدقيقة بجهود لا تُثمَّن في سبيل تنظيم شؤون الكنيسة، بل وشؤون الشعب العربيّ كلّه، فدافع عن الفقير والمظلوم وأحسَنَ مخاطبة قوى الأمر الواقع لمساعدة كلّ محتاج. ومن بعده أصبح النائب البطريركيّ في الناصرة أسقفًا. وعُيّن أول مطران للناصرة من بين الرهبان الفرنسيسكان: الأب كيابيرو. ثم خلفه مساعده المطران حنّا كلداني عام ١٩٦٤، وهو من مواليد مأدبا في شرق الأردن عام ١٩١٨، وقد منحه البابا بولس السادس، لمّا حجَّ إلى الأرض المقدّسة عام ١٩٦٤، خاتم الحبريّة في دار النيابة البطريركيّة في الناصرة. أمّا النائب البطريركيّ في شرق الأردن، فقد كان عام ١٩٤٨ الأب نعمه السمعان، من مواليد الرامة في شمال فلسطين عام ١٩٠٨. عُيّن نائبًا بطريركيًا في عمّان منذ عام ١٩٤٠. وقد واكب نشوء المملكة

١ - عيراني جورج إميل، البابويّة والشرق الأوسط، مرجع سابق، ص٨٧.

الأردنيّة الهاشميّة وعرف جميع رجالاتها. وعايش عام ١٩٤٨ مجيء اللاجئين الفلسطينيّين، إذ فُتِحَت الأديرة والمدارس لاستقبالهم وتقديم أوّل مأوًى لهم. وتبدّل وجه الرعايا بقدوم اللاجئين المسيحيّين إليها من فلسطين. فألزم هذا التحرّك السكّاني داخل البطريركيّة توفير أبنية جديدة من كنائس ومدارس. وكان النائب البطريركيّ نعمه السمعان من أبرز الشخصيّات المسيحيّة في عصره. عمل بغيرة وإخلاص، لا في سبيل الكنيسة الكاثوليكيّة فحسب، بل وفي سبيل جميع المسيحيّين أيضًا. ولهذا تعاونت معه الكنيسة الأرثذوكسيّة وسائر الكنائس في عمّان، لِمَا أبدى من مقدرة وكفاءة في خدمته للمسيحيّين جميعًا.

صرف البطريرك ألبرتو غوري جهوده لمواجهة الظروف المستجدّة، فبنى الكنائس والمدارس في مواقع جديدة ونظّم الأبنية القديمة، كما بدأت في عهده حركة دينيّة نشيطة بدخول شتّى أشكال الرسالة التي عُرفت بإسم "العمل الكاثوليكيّ" ومثلها أيضًا "الأخويّة المريميّة". وتمّ في عهده توسيع المدرسة الإكليريكيّة في بيت جالا. كما تمكّن هذا البطريرك من تنظيم ماليّة البطريركيّة بمساعدة "جمعيّة فرسان القبر المقدّس"، في حين كان سلفه: بارلسينا، قد تعرّض لأزمة ماليّة خانقة جرّاء الحرب العالميّة، كما سبقت الإشارة، وقلّة الموارد المحلّية. وفي عهد البطريرك ألبرتو غوري، وقعت الحرب العربيّة ـ الإسرائيلية عام ١٩٦٧، فكان الإحتلال الإسرائيليّ للقسم الباقي من فلسطين، ما غيَّر جغرافيّة الأبرشيّة مرة ثانية في خلال أقلّ من عشرين سنة، فأصبحت ثلاثة أقسام: القسم الأوّل القدس المحتلّة والضفّة الغربيّة وقطاع غزّة، والثاني الكيان الإسرائيليّ، والثالث الأردن. وظلّت صعوبة التنقّل بين أقسام الأبرشيّة قائمة. ولهذا بدأت تتكوّن في كلّ قسمٍ من هذه الأقسام الثلاثة مفاهيم وأوضاع يختلف بعضها عن بعض، من النواحي الاجتماعيّة والسياسيّة والوعي الدينيّ،

بالرغم من انتماء جميع المؤمنين إلى التاريخ الفلسطينيّ والأردنيّ الواحد وإلى قاعدة المجتمع العربيّ الواحد. ففي الأراضي المحتلّة كان للمجتمع الإسرائيليّ وللحضارة الإسرائيليّة الغربيّة أثر في تكوين عقليّات جديدة في المجتمع المسيحيّ عامّة، تقيّم الأمور بحسب المقاييس الماديّة، ولا تقبل بالمسلّمات، فتولّدت بذلك فئة ابتعدت عن الكنيسة، في حين بقيت فئة أخرى قريبة منها، تجد فيها ملجأً وملاذًا في الأوضاع الجديدة التي زعزعت المسلّمات والتقاليد. وقد ساعد على رسوخ خصوصيّات هذه العقليّة الجديدة العزلة السياسيّة التي أحاطت بالكيان الإسرائيليّ، لا سيّما في ما يختصّ بالاتّصال مع الدول العربيّة. فلم يتمكّن المؤمنون من الاتّصال بسائر الرعايا أو سائر المسيحيّين في القسمَين الباقيَين من الأبرشيّة. وفي الضفّة الغربيّة المحتلّة والمتعاملة مع احتلال وحكم عسكريَّين، أخذت تتكوّن عقليّة المقاومة، وأصبحت الشبيبة بمجملها مُسيّسة، جلّها ملتزم بمسارات مختلف الأحزاب السياسيّة من الوسط واليسار. وقد أثّر ذلك إلى حدّ بعيد في مهمّة المدارس ورسالتها التربويّة، بل وفي مهمّة العائلة وسلطتها على الأبناء والبنات. أمّا في الأردن، فظلّ المجتمع محافظًا على التقاليد، متمسّكًا بالقوميّة العربيّة وقيمها، بالرغم من انفتاحه النسبيّ على الحضارة الغربيّة. وظلّت مهمّة المدرسة والكنيسة والعائلة أكثر يسرًا في تعاملها مع الشبيبة والأجيال الصاعدة[1].

توفّي البطريرك ألبرتو غوري سنة ١٩٧٠ وهو في الثمانين من عمره، فخلفه البطريرك يعقوب بلتريتي (١٩٧٠ - ١٩٨٧)، الذي كان أسقفًا معاونًا لسلفه، أُعطي حقّ الخلافة بموجب براءة بابويّة سابقة. وهو أوّل بطريرك من كهنة الأبرشيّة، في حين كان جميع أسلافه قادمين من أبرشيّات أخرى. وهو إيطاليّ المولد، ولكنّه نشأ منذ

---

١ - كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٧ - ٢٨٨.

صغره في إكليريكيّة بيت جالا، وأتمّ جميع دروسه فيها فأتقن اللغة العربيّة. وكان سيم كاهنًا للأبرشيّة البطريركيّة اللاتينيّة.

في هذه الحقبة، بقي الكرسيّ الرسوليّ منشغلاً بالقدس وبمصير المسيحيّين الذين يعيشون في الأراضي المقدّسة، وقد ظهر ذلك في ما تضمّنته وثيقة مهمّة أصدرها البابا بولس السادس بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧٤، ففي عظته بعنوان "لنا في الروح" الموجّهة إلى "الأساقفة ورجال الدين والمؤمنين حول حاجات الكنيسة في الأرض المقدّسة" جاء: "إنّ للكنيسة في القدس ... مكانًا مميّزًا من اهتمامات الكرسيّ الرسوليّ والعالم المسيحيّ قاطبة ... إنّنا نفكّر خاصّة بالقدس التي تتّجه إليها هذه الأيّام وبقوّة أفكار أتباع المسيح، والتي يجب أن يشعروا أنّهم مواطنون كاملون فيها على قدم المساواة مع اليهود والمسلمين، ولو قيّض للوجود المسيحيّ في القدس أن ينتهي فإنّ المقامات المقدّسة ستخلو من حرارة الشاهد الحَيّ، وستصبح الأماكن المقدّسة المسيحيّة والأرض المقدّسة كالمتاحف[١]".

وفي الداخل، لم تتغيّر الأوضاع السياسيّة في عهد البطريرك ألبرتو غوري، بل استمرّت الهوّة تزداد من ناحية العقليّات وأنماط العيش والنظر إلى الأمور في أقسام الأبرشيّة الثلاثة. وسار البطريرك الجديد على خطى سلفه، فتابع عمله في البناء والترميم. وكانت له الرسائل الراعويّة العديدة، في شتّى المواضيع الدينيّة، فكان غالبًا في كلّ عام، يوجّه رسالة إلى أبرشيّته، إكليروسًا ومؤمنين. وفي عهده أُعيد تنظيم الإكليريكيّة في بيت جالا من حيث فريق الكهنة الذي كان يديرها، إذ أدار المعهد في أوّل نشأته كهنة البطريركيّة أنفسهم، وقد مرّ بنا أنّ البطريرك فالرغا تولّى في مرحلة

---

١ ـ عيراني جورج إميل، البابويّة والشرق الأوسط، مرجع سابق، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

التأسيس إدارة المعهد بنفسه. وفي بداية القرن العشرين تولّى إدارة المعهد رهبان البنديكتان الألمان من جبل صهيون، واستمرّوا في أداء هذه الرسالة للإكليروس الأبرشيّ حتّى سنة ١٩٣٢ لمّا عهد البطريرك بارلسينا بإدارة الإكليريكيّة إلى رهبانيّة فرنسيّة أُسّست في أواسط القرن التاسع عشر في جنوب فرنسا، إسمها "جمعيّة آباء قلب يسوع الأقدس" أو آباء بيتارام"، نسبةً إلى البلدة التي نشأت فيها. وكان رهبانها نشيطين معروفين بتقواهم وسعة علومهم، فأنشأ هؤلاء أجيال الكهنة في البطريركيّة حتّى سنة ١٩٨٠. ولمّا تعسّر على تلك الرهبانيّة الاستمرار في هذه الرسالة بالنظر إلى تناقص عدد أعضائها، جرّاء الأزمة الدينيّة العامّة التي ألمّت بأوروبّا في سبعينات القرن العشرين وما بعدها، عاد البطريريك بلتريتي وعهد بإدارة الإكليريكيّة إلى كهنته الأبرشيّين، كان أوّلهم الأب سليم الصائغ، رئيس المحكمة الكنسيّة اللاتينيّة في القدس. ولا تزال إدارة المعهد الإكليريكيّ منوطة إلى اليوم بفريق من كهنة البطريركيّة. وقد اهتمَّ البطريرك بلتريتي بكتب التعليم المسيحيّ في مدارس الرعايا، فأشرف على ترجمة وتأليف عدّة سلاسل مدرسيّة لجميع الصفوف منها: "النور البهيّ" و"نور الحياة". كما جرت محاولة لتجديد كتب التعليم المسيحيّ في الأبرشيّة بحسب الأساليب التربويّة الحديثة، استمرَّت في عهد خلفه البطريرك ميشيل صبّاح، وقد أشرف على هذه المهمّة الأب رفيق خوري، المسؤول عن قسم التربية المسيحيّة في الأبرشيّة[1].

وفي عهد هذا البطريرك، حصل نزاع لافت بين الكرسيّ الرسوليّ والحكومة الإسرائيليّة حول "مركز نوتر دام NOTRE DAME DE FRANCE" في القدس. وهو مبنى أنشأه الإخوة المريميّون[2] سنة ١٨٨٥ بخدمة الحجّاج الفرنسيّين سنة ١٨٨٥،

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.

٢ ـ **الإخوة المريميّون:** أسّس رهبانيّتهم مارسلان شمبانيا ١٨١٧، جاؤوا إلى سورية سنة ١٨٩٩، وفتحوا فيها وفي لبنان مدارس عدّة.

لحق به دمار كبير خلال حرب ١٩٤٨، ولم يعد الجناح الجنوبيّ المواجه للمدينة القديمة صالحًا للسكن، وقد استعمله الإسرائيليّون غرفة محصّنة وموقعًا متقدّمًا في المنطقة المنزوعة السلاح. وبالنظر لافتقارهم إلى المساعدة الماديّة، باع الآباء المريميّون العقار سنة ١٩٧٠ إلى هامنوتا HAMENUTA وهي فرع من الصندوق الوطنيّ اليهوديّ، وضُمّ المبنى بعد ذلك إلى الجامعة العبريّة ليُستعمل مسكنًا للطلاّب. إلاّ أنّ الكرسيّ الرسوليّ قد عارض عمليّة البيع التي جرت من دون موافقته، ولأوّل مرّة في تاريخ العلاقات بين الكرسيّ الرسوليّ والكيان الإسرائيليّ، تقدّم الكرسيّ، عبر المنوب البابويّ، بدعوى أمام محكمة إسرائيليّة مطالبًا باستعادة البناء. وفي سنة ١٩٧٢ تمّ التوصّل إلى تسوية تبطل بموجبها حكومة الكيان الإسرائيليّ البيع وتعيد بيعه إلى الكرسيّ الرسوليّ. وقد تمّت هذه التسوية عقب زيارة قام بها إلى القدس سنة ١٩٧٢ المونسينيور بينلّي BENELLI، وهو عضو بارز في وزارة خارجيّة الفاتيكان. وفي العام التالي، وبفضل مساعدات أغلبها من الولايات المتحدة الأميريكيّة، تمّت إعادة إحياء مركز نوتر دام في القدس كمركز دوليّ للحجّاج[1].

بَطرِيَركيَّة القُدسِ اللاَّتينيّة
في الزَّمَـــن المُعاصــــــر

لمّا بلغ البطريرك يعقوب بلتريتي الخامسة والسبعين من عمره، قدّم استقالته إلى الكرسيّ الرسوليّ، عملاً بما يوصي به الحقّ القانونيّ الجديد. وهو أوّل بطريرك في الأبرشيّة يقدّم استقالته. واستمرّ في مهامّه حتّى عيّن الكرسيّ الرسوليّ خلفًا له البطريرك ميشيل صبّاح في نهاية عام ١٩٨٧. وقضى آخر سنيه في دير "رافات" وهو

---

١ ـ عيراني، البابويّة والشرق الأوسط، مرجع سابق، ص١١٦ ـ ١١٧.

مزار لسيّدة فلسطين على مسافة نصف ساعة من القدس. ووافته المنيّة في خلال إحدى زياراته إلى القدس في ١ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٩١.

إثر استقالة بلتريتي، تمَّ تعيين البطريرك ميشيل صبّاح خلفًا له في ١٢ كانون الأوّل (ديسمبر)، وكان قد قَبِل الرسامة الأسقفيّة من يد البابا يوحنّا بولس الثاني في ٦ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٨٧. وقد أحدث نبأ تعيين البطريرك صبّاح مفاجأة للكنيسة وللعالم، وأبرزت وسائل الإعلام العالميّة هذا الحدث بصورة لم يسبق لها مثيل. ذلك أنّ قضيّة الشعب الفلسطينيّ كانت تمرُّ في مرحلة حاسمة استرعت انتباه الدول ووسائل الإعلام بصورة مكثّفة. والبطريرك المعيّن جديدًا ليرأس كنيسة القدس اللاتينيّة، فلسطينيّ، وُلد في الناصرة عام ١٩٣٣. وكان قد غادر الناصرة إلى المعهد الإكليريكيّ في بيت جالا في عهد الإنتداب البريطانيّ قبل قيام الكيان الإسرائيليّ. وعندما كان البطريرك الفلسطينيّ اللاتينيّ يتقبّل الرسامة الأسقفيّة من يد البابا في أواخر سنة ١٩٨٧، كانت بداية الانتفاضة الفلسطينيّة والمقاومة العنيفة للاحتلال الإسرائيليّ. ورأى الكثيرون في هذا الاختيار من قِبَل البابا يوحنّا بولس الثاني دلالة خاصّة وعلاقة مباشرة بما يجري من أحداث في فلسطين. وكان البطريرك الجديد، كسلفه، من أبناء الأبرشيّة، غير أنّ سلفه كان إيطاليّ المولد، بينما هو عربيّ فلسطينيّ المولد والأصول. وسرعان ما سطع نجم البطريرك الجديد عالميًّا لكثرة اهتمام وسائل الإعلام العالميّة بشخصه، من خلال العديد من المقابلات التي أجرتها معه، خصوصًا وأنّ خطابه قد أبرز توجّهًا لا يقتصر على الإهتمام بكنيسته وأبرشيّته، بل يتعدّاهما إلى الشؤون العالميّة، وعلى الأخصّ الشأن المتعلّق بالمسألة العربيّة ـ الإسرائيليّة. وقد ظهر أنّه يعتبر، في قرارة نفسه، مجال عمله الأوّل، حمل رسالة الكنيسة والإنجيل ومضامينها السامية. ولم يمضِ وقت طويل على تسلّم البطريرك صبّاح مهامَّ البطريركيّة في

القدس، حتّى راح يعبّر بجرأة عن موقف الكنيسة. وقد تناولت رسالته الراعويّة الأولى في ١٥ آب (أغسطس) ١٩٨٨ جوهر الرسالة الأسقفيّة، وهو الإيمان، وعلى ضوء الإيمان تناول مواضيع السلام في ما يختصّ بالعلاقات الفلسطينيّة العربيّة الإسرائيليّة، والحوار بين الأديان، وواقع الأقليّة المسيحيّة ودورها، وأخيرًا دور الرهبان والراهبات في الأرض المقدّسة. وفي الرسالة الثانية "اسألوا السلام لأورشليم"، التي أصدرها بمناسبة عيد العنصرة عام ١٩٩٠، تناول قضيّة الصراع الفلسطينيّ والإسرائيليّ بصراحة. وقد ورد في بداية رسالته: "بدأ هذا الصراع بين الشعبَين الفلسطينيّ والإسرائيليّ منذ سنين بعيدة. والكثيرون منكم وُلِدوا فيه. ومذ رَأوا النور، فتحوا أعينهم على المأساة التي فُرضت على آبائهم. فوجدوا أنفسهم، وقد زُجَّ بهم في المأساة بلا رحمة، منذ بداية حياتهم. وما زال الوضع يسوء يومًا بعد يوم". واستعرض معطيات الانتفاضة التي أثّرت في الشعب والكنيسة معًا. "فالشعب هو الكنيسة". وتكلّم على الحلول. وقال إنّه "لا بدّ من أن يتكلّم الخصمان وجهًا لوجه"، وأكّد، يوم كان المجتمع الإسرائيليّ والكثير من المجتمعات الدوليّة لا يَرَوْن في الفلسطينيّين سوى إرهابيّين، على أنّه "لا بدّ من أن يكون الحوار بين الخصمَين، والخصمان هما إسرائيل ومنظّمة التحرير الفلسطينيّة". ووصف العنف بأنّه ليس طريقًا للحلّ: "لن يكون العنف بين إرشاداتنا... وإنّ موقفنا من كلّ ظلم وعنف وإرهاب ومن جميع مظاهر العنف هو شجب لكلّ ظلم ولكلّ عنف وإرهاب، مهما كان مصدره، سواء كان الدولة أم الجماعة أم الفرد". وطرح السؤال المباشر بهذه الصورة: "يسألوننا مرارًا: هل تؤيّد الكنيسة المظاهرات والضجيج والعنف والانتفاضة؟ وقد أجبنا دومًا بما يلي: ليس هكذا يُطرَح السؤال. بل السؤال الذي يجب أن يطرحه كل صاحب إرادة صالحة وصادقة هو التالي: هل يحقّ لشعب ما أن يطالب بحقوقه وهل هو ملزم بذلك؟ فإن كان الجواب

بالإيجاب فهو إذن ملزَم بالمطالبة. ويحقّ له أن يُسمع صوته لينال حقوقه. لا يحقّ لأحد، لأيّ حجّة كانت، أن يطالب أناسًا مظلومين بالسكوت. وألاّ يطالبوا بحقوقهم. ولكنّنا نقول أيضًا إنّه لا يحقّ لأحد أن يملأ بحقد عقيم قلوب المظلومين، إذ إنّ الهدف ليس كراهية الخصم، بل تحقيق العدالة". وإذ كان من الطبيعيّ ألاّ يعجب هذا الخطاب الكيان الإسرائيليّ، كان أن اتّهمت الحكومة الإسرائيليّة البطريرك الجديد بأنّه يتدخّل في السياسة وفي قضايا لا صلاحيّة له للكلام فيها، وأنّه منحاز إلى جهة دون أخرى. وكان جوابه علنًا: "إنّ العمل السياسيّ المباشر ليس من اختصاص الكنيسة. ولكن من واجب الكنيسة أن تبيّن وتندّد بالسياسة التي تقرّر ظلم الناس، ومن واجب الكنيسة ومن صلاحيّاتها أن تدافع عن المظلوم أيًّا كان ظالمه وأيًّا كانتِ المجالات التي يُظلَم فيها... والكنيسة لا تنحاز إلى أحد دون غيره، بل تنحاز إلى الفقير والمظلوم. والآن فالمظلوم هو الشعب الفلسطينيّ، فلا بدّ من رفع هذا الظلم عنه". وممّا قاله لمخاطبيه من الإسرائيليّين: "عندما يصبح الشعب اليهوديّ هو المظلوم، سنقف أيضًا إلى جانبه لرفع الظلم عنه". كما تناول البطريرك صبّاح في رسالته الرعاوية الثالثة التي وجّهها بمناسبة الصيام الأربعينيّ عام ١٩٩٠، مسألة هجرة المسيحيّين، وممّا جاء فيها: "أمام ظاهرة الهجرة فإنّه من واجبنا أن نقول: يجب أن تبقوا أمناء لوطنكم ولأرضكم وكنيستكم. فإنّ الأيّام الصعبة ليست أيّام هروب، بل أيّام ثبات وتضامن مع جميع مَن يتألّمون ويتحمّلون الصعوبات. فكلّ سفر هو إضعاف للإخوة الباقين وهو إضعاف للوطن والكنيسة الباقية، والتي من واجبها أن تبقى حيث أرادها اللّه... والعيش في الأرض المقدّسة هو دعوة وبركة ونعمة: دعوة تُوجّه إلى النفوس القويّة وإلى مواطنين يقتحمون الحياة الصعبة". وتناول في الرسالة الرابعة التي نشرها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣ موضوع الكتاب المقدّس والعهد القديم. وعنوان الرسالة "قراءة

الكتاب المقدّس في أرض الكتاب المقدّس"، فعرض موقف الفلسطينيّ المسيحيّ وتساؤلاته أمام العهد القديم، بسبب تسخير بعض الخصوم لكتاب اللّه وزجّه بصورة تعسُّفية في الصراع السياسيّ. وقد طرح في بداية الرسالة ثلاثة أسئلة: "أوّلاً، ما هي العلاقة بين العهدَين القديم والجديد؟ ثانيًا، ما تفسير قصص العنف الواردة في العهد القديم والمنسوبة إلى اللّه؟ ثالثًا، في العلاقات الحاليّة بين الإسرائيليّين والفلسطينيّين، كيف يمكننا أن نفهم أرض الميعاد والشعب المختار والعهد؟ أوَمِن الممكن أن يفرض الإله العادل والرحيم، الظلمَ والجورَ على شعب لصالح الشعب الذي اختاره؟".
وسرعان ما جاءت ردود فعل مختلفة على هذه الرسالة، كان بعضها متحفّظًا جدًّا، لا سيّما من قِبَل جماعات الحوار المسيحيّ ـ اليهوديّ وفي مفهوم الأرض بالذات، لأنّ البطريرك قال إنّ مفهوم الأرض "قد تطوَّر في مختلف مراحل الوحي: ابتداءً بالمعنى المادّيّ والجغرافيّ والسياسيّ وانتهاءً بالمعنى الروحيّ والرمزيّ، ولم تَعُد عبادة اللّه مقيَّدة بأرض بعينها. ليس هناك أرض محدَّدة للعبادة، وليست الأرض القيمة الأولى والمطلقة، وإنّما الأوّل هو اللّه سبحانه وتعالى وعبادته". وفي ما يختصّ بحقوق الشعبَين اليهوديّ والفلسطينيّ والديانات الثلاث في أرض فلسطين، قال في ملخّص كلامه: "السؤال الأساسيّ الذي يطرحه الفلسطينيّ المسيحيّ وكلّ مؤمن بالكتاب المقدّس هو التالي: هل يُعطي الكتاب المقدّس اليوم، وهو كلام اللّه، الحقّ للشعب اليهوديّ ليتملّك الأرض ويُخرج منها الشعب الفلسطينيّ؟ إنّ اليهوديّ المؤمن ـ وكذلك الشعب اليهوديّ والدولة أيضًا ـ يجد نفسه أمام الموقف التالي: إنّ هذه الأرض هي أرض مقدّسة له. وقد وعد بها اللّه إبراهيم ونسله. وفي هذه الأرض يجد اليوم أمنه في وجه الشعوب التي اضطهدته في شتاته. وفي نظره، يشكّل اللّه والدولة والأرض مثلّث أمنه وأمانه. ولكن من جهة أخرى، هذه الأرض نفسها هي منذ قرون ملك لشعب آخر هو

الشعب الفلسطينيّ. ومنذ زمن التوراة أيضًا، بقيت هذه الأرض أرض شعب آخر عاش فيها جنبًا إلى جنب مع الشعب اليهوديّ. وهي بالإضافة إلى ذلك مهد المسيحيّة وموقع أحداثها الأساسية. فهي، بالنسبة إليها، الأرض المقدّسة الأولى. وهي للإسلام أيضًا أرض مقدّسة. إنّها إذن أرض مقدّسة لجميع المؤمنين من اليهود والمسيحيّين والمسلمين... فهناك إذن شعبان لهما حقوق سياسيّة في الأرض، وللديانات الثلاث تاريخها الدينيّ في الأرض نفسها، وكلّها من نسل إبراهيم من حيث النسب الماديّ أو الروحيّ. وقد وعد اللّه بالأرض لإبراهيم ونسله. فلمَن تكون الأرض؟ باسم الدين يحقّ للديانات الثلاث حقًّا متساويًا العيش في هذه الأرض أو التوجُّه إليها لأداء واجب العبادة فيها. وأمّا الحق السياسيّ فيها لأيّ دين من الأديان الثلاثة أو أيّ مؤمن من مؤمنيها فهو متوقّف على العمل السياسيّ الذي تقوم به السلطات السياسيّة المعيّنة. وهذا العمل يحكمه القانون الدوليّ"[1].

لم تكن مواقف البطريرك صبّاح الجريئة، في مضمونها، سوى تعبيرٍ شجاع وحرّ لموقف الكرسيّ الرسوليّ من قضيّة القدس وفلسطين. فقبل أن تسنّ الحكومة الإسرائيليّة "القانون الأساسيّ" الذي تعطي بموجبه عمليّة "ضمّ القدس" وجهًا شرعيًّا، أصدر الكرسيّ الرسوليّ بيانًا يُعدّ الأكثر وضوحًا وتفصيلاً حول موقفه من قضيّة القدس. ففي مقال نُشر في صحيفة "أوسرفاتوري رومانو" الفاتيكانيّة بتاريخ ٢٠ حزيران (يونيو) وأوّل تمّوز (يوليو) ١٩٨٠، طالب الكرسيّ الرسوليّ بالتالي:

١ ـ إيجاد السبل المناسبة لضمان طابع القدس الشامل كتراث مقدّس مشترك بين الديانات الموحِّدة الثلاث.

٢ ـ حماية الحريّة الدينيّة بجميع مظاهرها لجميع الأديان.

---

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٨ ـ ٢٩٢.

٣ ـ حماية مجمل الحقوق التي اكتسبتها المجتمعات الدينيّة المختلفة في المقامات المقدّسة ومراكز العبادة والتعليم والخير العام.
٤ ـ تأمين استمرار تطوير النشاط الدينيّ والتربويّ والاجتماعيّ لكلّ مجتمع دينيّ.
٥ ـ أن يتمّ تنفيذ هذا بمعاملة الأديان الثلاثة بالتساوي.
٦ ـ أن يتمّ هذا عبر "صياغة قانونيّة ملائمة" لا تنبع من إرادة فريق واحد فقط[١].

بالإضافة إلى اقتحامه المجال في الحياة العامّة، فقد عمل البطريرك صبّاح على متابعة تنظيم البطريركيّة الداخليّ، لا سيّما التركيز على ضرورة تعمُّق العلمانيّ في معرفة الإيمان واتّخاذ دوره في الكنيسة والتزامه في الحياة العامّة. أمّا أوضاع الكَنيسة اللاتينيّة الأورشليميّة اليوم، فلا شكّ في أنّها تعاني أسوأ ظروفها في التاريخ الحديث والمعاصر، وكان عدد أتباعها في سنة ١٩٥٥ نحو سبعين ألف مؤمن منتشرين في الأردن وفلسطين والأراضي المحتلّة وقبرص. وقد يقابل هذا العدد عدد مماثل من الكاثوليك اللاتين الأجانب المقيمين في البلاد من العمّال ورجال الأعمال والسفارات المختلفة. وفي الأراضي المحتلّة أيضًا جماعة ناطقة باللغة العبريّة، بعضهم يهود متنصّرون وبعضهم ليسوا بيهود ولكنّهم يعيشون في الوسط الإسرائيليّ اليهوديّ، لغتهم اليوميّة كما والليتورجيّة هي اللغة العبريّة، ولكنّهم يتبعون الطقس اللاتينيّ وهم جزء من الأبرشيّة. أمّا عددهم فقليل لا يتجاوز المئات[٢]. أمّا بعد الأحداث الكبرى التي شهدتها الأراضي المقدّسة وما جرى فيها من أعمال اجتياح وتهجير في مختلف المناطق الفلسطينيّة، فليست لدينا أيّ إحصاءات من شأنها أن تفيد بشكل دقيق عن تطوّر عدد أبناء هذه الكنيسة.

---

١ ـ عيراني جورج إميل، البابويّة والشرق الأوسط، مرجع سابق، ص١٠٩.

٢ ـ المرجع السابق.

ويَعُدُّ الإكليروس البطريركيّ الأبرشيّ اللاتينيّ الأورشليمي اليوم نحو خمسة وثمانين كاهنًا، وفي الأبرشيّة أعداد كبيرة من الرهبان والراهبات، منهم مَن يتفرّغ للعمل الأبرشيّ ولمختلف الخدمات في دُور العبادة والمدارس والمستشفيات والمؤسّسات الإجتماعيّة المتنوّعة، ومنهم مَن يتفرّغ لخدمات تختصّ بالكنيسة الجامعة، كمعاهد الكتاب المقدّس واستقبال الحجّاج ومرافقتهم. ويدير البطريركيّة اليوم مقيم في القدس في البلدة القديمة، وهو المبنى نفسه الذي أنشأه البطريرك العائد والمؤسّس يوسف فالرغا. ويساعد البطريرك مطارنة مساعدون، أحدهم في القدس، والثاني نائب بطريركيّ عامّ للأردن يقيم في عمّان، والثالث نائب بطريركيّ عامّ لإسرائيل يقيم في الناصرة. وفي قبرص أيضًا نائب بطريركيّ عامّ ليس أسقفًا. وهناك أيضًا نائب بطريركيّ خاصّ للجماعة الناطقة باللغة العبريّة. والبطريركيّة اللاتينيّة الأورشليميّة عضو في مجلس الأساقفة اللاتين في البلدان العربيّة، الذي يضمّ الأساقفة اللاتين في كلّ من الأردن وفلسطين وإسرائيل وسورية ولبنان والعراق ومصر والكويت وشبه الجزيرة العربيّة والصومال وجيبوتي[1]. وليس أعداد اللاتين في هذه البلدان متساويًا.

---

١ ـ تمتدّ صلاحيّة البطريرك الروحيّة على فلسطين كلّها والمملكة الأردنيّة الهاشميّة وقبرص، ويساعده في خدمة الطائفة اللاتينيّة الإكليروس البطريركيّ والرهبان الفرنسيسكان وراهبات الورديّة. وليس للبطريرك اللاتينيّ أساقفة خاضعون لسلطته. أمّا اللاتين في سورية ولبنان ومصر والعراق فخاضعون لنوّاب رسوليّين متعلّقين رأسًا بروما. وقد أُسّست النيابة الرسوليّة على حلب عام ١٧٦٢، وكانت تشمل كلّ سورية ولبنان. وكانت وظيفة النائب الرسوليّ مرتبطة بوظيفة القاصد الرسوليّ. وبعد استقلال سورية ولبنان وإنشاء العلاقات الدبلوماسيّة بين الفاتيكان وكلّ من الدولتَين، تميّزت وظيفة السفير الباباويّ عن وظيفة النائب الرسوليّ. واعتبارًا من مطلع ١٩٥٤ انقسمت النيابة الرسوليّة فأصبحت نيابة حلب تشمل الأراضي السوريّة، وأُقيمت نيابة خاصّة في بيروت، حدودها الدولة اللبنانيّة. واستُحدثت منذ بضع سنوات نيابة رسوليّة للكويت، وأخرى تشمل منطقة عدن وأبو ظبي. وعقب المجمع الفاتيكانيّ الثاني، تنظّم اللاتين في المشرق العربيّ، فألّفوا المجلس الأسقفيّ للأساقفة اللاتين في الشرق الأدنى، برئاسة بطريرك القدس اللاتينيّ. ولا يدخل في هذا التنظيم القطر السودانيّ، إذ له مجلسه الخاصّ. وفي السودان عدد وافر من الأبرشيّات، ولا سيّما في الجنوب، والأغلبيّة الساحقة من المسيحيّين يتبعون فيه الطقس اللاتينيّ. (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٦٧.)

ففي بعضها لا يتجاوز البضعة آلاف، إلاّ أنّ عدد اللاتين مرتفع جدًا في الكويت وشبه الجزيرة العربيّة حيث يزيد على نصف المليون، جميعهم من العمالة الوافدة على تلك المناطق، منهم عرب من الشرق الأوسط ومنهم أجانب ولا سيّما من الفيليبّين والهند[١].

وقد ذكرت دراسات حديثة جرت في بداية العقد الأخير من القرن العشرين، أنّ عدد اللاتين العرب، المقيمين في البلدان العربيّة، يبلغ اليوم نحو ٤٥٠ ألف نسمة، موزّعين على السودان وسوريا ولبنان وفلسطين ومصر[٢].

كما أنّ هذه البطريركية هي عضو في مجلس رؤساء الكنائس الكاثوليكيّة في الأرض المقدّسة، وعضو في مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك. وهي أيضًا، مع سائر الكنائس الكاثوليكيّة، عضو في مجلس كنائس الشرق الأوسط[٣].

لقد أضحت البطريركيّة اللاتينيّة الأورشليميّة في القرن العشرين أبرشيّة شرقيّة في كامل الشركة مع الكنيسة الكاثوليكيّة الجامعة. عاش كهنتها واقع رعاياهم وعشائرهم التي تحدّروا منها، واختبروا ظروف المؤمنين الحياتيّة القاسية. فرافقوا الجماعات المسيحيّة في حلّها وترحالها، يقيمون الصلاة ويفتحون المدارس في أقصى القرى ومضارب العربان في البادية، ممّا قرّبهم إلى أفئدة المؤمنين وحبّبهم إليهم. وأتقن الكهنة الأجانب في الإكليروس البطريركيّ اللغة العربيّة وحتّى اللهجات القرويّة والبدويّة، وتوصّلوا إلى سبر أغوار العقليّة والمشاعر العربيّة. فصار الوجود المسيحيّ الكاثوليكيّ في فلسطين والأردن شعبيًّا وذا صبغة محليّة. وقد تمّ التوصّل إلى هذا

١ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٨ ـ ٢٩٢.

٢ ـ إبراهيم د. سعد الدين، المجتمع والدولة في الوطن العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة (بيروت، ١٩٨٨)؛ السمّاك محمّد، الأقلّيات بين العروبة والإسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص٢٤.

٣ ـ كلداني، مرجع سابق، ص٢٨٨ ـ ٢٩٢.

الطابع المحليّ تدريجًا بكياسة وحكمة ويسر، وبفضل بُعد نظر البطريرك العائد والمؤسّس يوسف فالرغا. ففي عام ١٩٨٧ جَلس على السدّة البطريركيّة اللاتينيّة الأورشليميّة البطريرك ميشيل الصبّاح كنتيجة حتميّة لتطوّر ناضج ومدروس. ومع ذلك ما زال الإكليروس البطريركيّ يحوي بين صفوفه كهنة أبرشيّين عربًا وأجانب ورهبانًا من مختلف الجنسيّات. وظلّت فكرة المؤسّس قائمة وحيّة في نفوس أبنائه، ألا وهي فكرة الإكليروس البطريركيّ المختلط ببعدَيه المحلّي والدوليّ، والتمسّك بواقع الكنيسة المحلّية من جهة، ومن جهة أخرى بعالميّة كنيسة القدس "أمّ الكنائس"، وبانفتاحها على كنائس العالم قاطبة، لاحتوائها الأماكن المقدّسة، ولأنّها قبْلة كلّ مسيحيّ، وتراثٌ روحيّ عالميّ. أمّا القضايا التي تواجه البطريركيّة اللاتينيّة اليوم، فهي، بالإضافة إلى القضيّة الفلسطينيّة الكبرى، القضايا نفسها التي تواجه سائر المسيحيّين في الشرق: الهجرة، العدد القليل، الحوار والعيش المشترك مع العالم الإسلاميّ، وحدة المسيحيّين في الشرق... ويسعى مختلف المجالس البطريركيّة والأسقفيّة الكاثوليكيّة والمسكونيّة في النظر معًا في هذه القضايا المشتركة، على أمل التوصّل إلى ما فيه الخير العام من خلال المحبّة التي هي أسّ المسيحيّة. ويقول باحث من علماء كهنة البطريركيّة اللاتينيّة الأورشليميّة في هذا المجال:

> يكون المستقبل بحسب ما يصنعه المسيحيّون جميعًا قلبًا واحدًا ويدًا واحدة. فأمام التحدّيات الكبيرة التي تواجهنا في العالم المعاصر لا يجوز للمسيحيّين أن يبقى كلّ منهم مغلقًا على نفسه أو مدافعًا فقط عن تراثه والتقاليد الخاصّة به، لأنّ الإيمان والليترجية والتقاليد الخاصّة يجب أن تكون مصدر حياة لا جمود، ومصدر دفع إلى الخارج حتّى يلتقي الجميع في خدمة الكنيسة والأوطان المختلفة، حيث يجب على كلّ كنيسة أن تتحمّل مسؤوليّاتها تجاه الحاضر والمستقبل[١].

---

١ - كلداني، مرجع سابق، ص٢٩٥.

القِسم الثَّاني

الكَنِيسَةُ المَلَكِيَّةُ الكَاثُولِيكيَّةَ

مُحتوَيَات القِسْم الثَّانِي

الفَصلُ الأوَّل

الكَنيسةِ المَلكيَّةِ الكَاثُولِيكِيَّة

نشوء الكَنيسةِ المَلكيَّةِ الكَاثُولِيكِيَّة ـ ص١٦٧؛

بِدَايَـــات التَّقـــارُب بَينَ المَلَكِيِّين ورُوما ـ ص١٦٩؛ دَيــر المخلِّص ـ ص١٧٨؛

دير مار يوحنّا الصايغ والرّهبَانيَّتَان الشوَيريَّة والحَلَبيَّة ـ ص١٨٢؛

الفَصلُ الثَّانِي

البَطرِيَركِيَّة المَلكِيَّة الكَاثُولِكيَّة

نُشوء البَطرِيَركِيَّة ـ ص١٨٩؛ تمَركُز البَطرِيَركِيَّة في لبنَان ـ ص١٩٣؛

مُشكِلَـةُ خِلافَــةِ البَطريَركِ الأوّل ـ ص١٩٧؛ قَـــرنُ المُعانَاة ـ ص١٩٩؛

الفَصلُ الثَّالِث

عَهدُ تحرُّرٍ وازدِهَار

ثَلاثُ مَراحِل ـ ص٢٠٩؛ البَطريَرك مكسيمُس الثالث مظلُوم ـ ص٢٠٩؛

اقلِيمنضُس بَحُّوث ـ ص٢٢٠؛ غريغُوريُوس يوسُف الأوّل سيُّور ـ ص٢٢٣؛

أعلاَم القَرن التَّاسِع عَشر ـ ص٢٣٤.

الفَصلُ الرَّابِع

في القَرن العِشْرِين

بَطَارِكَةُ القَرن العِشْرِين ـ ص٢٣٩؛ بُطرُس الرّابع الجرَيجِيرِي ـ ص٢٣٩؛
كِيرِلُّس الثَّامِن جِحَا ـ ص٢٤٠؛ جَمعيَّة الآبَاء المُرسَلين البُولسِيِّين ـ ص٢٤١؛
مَجمَع عَينْ تْرَاز ـ ص٢٥٠؛ آخــرُ أيَّـــام كيرلُّس الثَّامِن ـ ص٢٥٢؛
نَكبَة الكَنيسَةِ المَلَكيَّة الكَاثُوليكيَّة في خِلاَل الحَربِ العَالميَّة الأولَى ـ ص٢٥٣؛
ديمِترِيُوس الأوّل قَاضِي ـ ص٢٥٧؛ كِيرِلُّس التَّاسع مغَبغَب ـ ص٢٥٩؛
مُرسَلات سَيدَة المَعُونَة الدائمَة ـ ص٢٦٢؛ مَكسيمُس الرَّابِع الصَّائغ ـ ٢٦٥؛
في بلدَان الانتِشَار٢٦٨؛ العَمَل المَسكُوني ـ ص٢٧١؛ المَجمَع الفَاتِيكَاني ـ ص٢٧٢؛
مَكسِيمُس الخَامِس حَكِيم ـ ٢٧٦؛ مسألَةُ العَمَل المَسكُونِي ـ ص٢٨٠؛
المُؤتَمَر الكُهنُوتِي ـ ص٢٨٦؛ المؤتَمرُ العَام ـ ص٢٨٧؛
مِن أعلاَم الكنيسةَ الملَكيَّة الكَاثوليكيَّة في حقَبـة القَرنِ العِشرين أعلام ـ ص٢٨٨.

الفَصلُ الخَامِس

الكَنِيسَة المَلَكيَّة الكَاثُوليكِيَّة في القَرنِ الحَادِي والعِشرِين

البَطرِيَرك غرِيغُوريُوس الثَّالث لحَّام ـ ص٢٩٥؛
هَيكَلِيَّةُ كَنيسَةِ الرُّومِ المَلَكِيِّينَ الكَاثُولِيك ـ ص٣٠١؛ الرهبانيَّات ـ ص٣٠٦.

الفَصلُ الأوَّل

الكَنيسةِ المَلكيَّةِ الكَاثُوليكِيَّة

نُشُوءُ الكَنيسةِ المَلكيَّةِ الكَاثُوليكِيَّة؛

بِدَايَات التَّقَارُب بَيْنَ المَلَكيِّين ورُوما؛

دَيــــر المخلِّص؛

دير مار يوحنّا الصايغ (الصابغ) والرّهبانيّتان الشويريّة والحلبيّة.

نشوء

الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة

يتّضح من المراجعات التاريخيّة أنّ "كنيسة الروم"، أي الكنيسة الأرثوذكسيّة البيزنطيّة[1]، قد تمتّعت إلى أقصى الحدود بامتيازاتها في العهد العثمانيّ، لتحرز لنفسها مكانة شرعيّة في الأمبراطوريّة، ولتعتبر نفسها، من حيث القانون المدنيّ ومن حيث الإعتبار الروحيّ، الكنيسة الشرعيّة الوحيدة. فقد عدّ مؤرّخوها لتلك الحقبة سائر الطوائف والكنائس "هراطقة"[2]. واعتبر باحثون كنسيّون أنّ العواصم المسيحيّة الثلاث: روما والقسطنطينيّة وموسكو، قد أخذت، بعد الفتح العثمانيّ، تتجاذب الكنيسة الملكيّة[3]،

---

١ - راجع الجزء التاسع من هذه الموسوعة.

٢ - راجع: مجموعة المشرق، مجلّد ١٩٠٢، ص٩٥١ - ٩٥٢.

٣ - **الملكيّون**: لقب أطلقه أهل المعارضة، في تحدّيهم السلطة المركزيّة البيزنطيّة، على أتباع المجمع الخلقيدونيّ، أي أتباع الملك، نسبة إلى الأمبراطور مرقيانس (٤٥٠ - ٤٥٧)، في حين أطلق أنصار المجمع الخلقيدونيّ على المعارضة القائلة بالطبيعة الواحدة في المسيح لقب "اليعاقبة" نسبة إلى يعقوب البرادعي. راجع الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة: الكنيسة السريانيّة المونوفيزيّة؛ لمزيد من التفاصيل حول التسمية، راجع: زيّات حبيب، الروم الملكيّون في الإسلام، الجزء الأوّل، المطبعة البولسيّة (حريصا - لبنان، ١٩٥٣) ص ١ - ٢٩؛ وردة يوسف جرجس الدمشقي، الشهب الصبحيّة في الكنيسة المسيحيّة، المطبعة العموديّة (مصر، ١٩٠١) ص ٦٧ - ١٦٨؛ EVANGELOS H, *ETUDE SUR LES ORIGINES DES GRECS MELCHITES*, IMP. DE LA SACRÉE CONGRÉGATION DE LA PROPAGANDE. (ROME, 1901) P.5

وقام بين المؤمنين تيّاران متضاربان، الواحد يناصر روما وتعاليمها اللاهوتيّة، والآخر يعارض روما ويجاري البطاركة اليونانيّين. وحاول البطاركة الملكيّون، مدّة من الزمن، أن يحافظوا على ولائهم لروما دون أن يقطعوا روابط المودّة مع البطاركة اليونانيّين والأرثذوكسيّين. ولكن لم يكن بإمكان هذه الحالة أن تدوم طويلاً، فقد أرغمهم البطاركة اليونانيّون على شجب آراء اللاتين شجبًا علنيًّا، كما فرضت روما على أنصارها عدم الاشتراك مع الأرثذوكسيّين في الحفلات الكنسيّة، والإمتناع عن قبول الأسرار المقدّسة من أيدي كهنتهم. فانقسم الملكيّون، من جرّاء ذلك إلى فئتين، أصبح لكلّ منها بطريركها وأساقفتها؛ فئة جاهرت بالاتّحاد مع كنيسة روما، وحافظت قدر المستطاع على التقاليد الشرقيّة، فدُعيت كنيسة الروم الكاثوليك[1]؛ وفئة رفضت الإتّحاد وتقرّبت أكثر من ذي قبل إلى البطاركة اليونانيّين، واعتنقت آراءهم اللاهوتيّة، ودُعيت كنيسة الروم الأرثذوكس[2] ويُقسم تاريخ هذا العصر، من الوجهة الكاثوليكيّة، إلى ثلاث حقب: ١ ـ من الفتح العثمانيّ حتّى عام ١٧٢٤؛ ٢ ، من عام ١٧٢٤ حتّى عام ١٨٣٣؛ ٣ ـ من عام ١٨٣٣ حتّى اليوم[3].

لم يقُم بين الملكيّين وروما خلافات دينيّة وجدالات عقائديّة كالتي قامت بين روما واليونانيّين. وقد قبل الملكيّون بفرح إعلان الوحدة عقب مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩، في الوقت الذي رفضه اليونانيّون[4]. إلاّ أنّ علاقاتهم الكنسيّة المتواصلة بالقسطنطينيّة وبالبطاركة اليونانيّين، قد أرغمتهم على مجاراة الكنيسة الأرثذوكسيّة اليونانيّة في

---

١ ـ تُعرف أيضًا بكنيسة الملكيّين الكاثوليك، وبالكنيسة اليونانيّة الكاثوليكيّة.

٢ ـ تُعرف أيضًا بالكنيسة البيزنطيّة الأرثذوكسيّة، وبالكنيسة اليونانيّة الأرثذوكسيّة.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

٤ ـ راجع: الجزء التاسع من هذه الموسوعة.

موقفها تجاه اللاتين، كما سايروها في الطقوس والتشريع الكنسيّ. وما إن أطلّ القرن السادس عشر حتّى بدأت عوامل جديدة تؤثّر في الملكيّين، فحملتهم على اتّخاذ موقف مستقلّ عن البطاركة اليونانيّين، وعلى إعادة النظر في شجب اللاهوت اللاتينيّ جملة. وأهمّ هذه العوامل هي اتّصالاتهم المتواترة بجيرانهم الموارنة الذين مكّنوا علاقاتهم بكنيسة روما، والدراسات اللاهوتيّة التي كان أفراد الإكليروس الشباب يقومون بها في مدارس روما للشرقيّين، والوفود التي كان البابوات يرسلونها إلى الشرق لإعادة صِلات الوحدة إلى ما كانت عليه آنفًا[1].

بِدَايَـات التَّقَـارُب
بَينَ المَلَكِيِّين ورُوما

عندما حاول أحد بطاركة أنطاكية الأرثذوكس[2] أن يُفاوض بطاركة الموارنة، للتوصّل إلى نوع من التعاون بين الكنيستَين، من خلال زيارة قام بها إلى البطريرك المارونيّ موسى العكّاري (١٥٢٤ ـ ١٥٧٦) في قرية داريّا من منطقة

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠١.

٢ ـ ذكر: رستم د. أسد، كنيسة مدينة اللّه أنطاكية العظمى، المكتبة البولسيّة (بيروت،١٩٨٨) ٣: ٢١، أنّ هذا البطريرك هو دوروثيوس الرابع (١٥٤١ ـ ١٥٤٣)، ولكنّ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣، ذكرا أنّه "دوروثاوس الثالث". ونحن نعتقد أنّ الإثنَين على خطأ، لأنّ "دوروثاوس DOROTHEOS الثالث" كان بطريركًا ١٥١١ ـ ١٥٢٤، والرابع ١٥٨٥ ـ ١٦١٠، وليس من بطريرك باسم دوروثاوس أو بغير اسم جلس تحديدًا ١٥٤١ ـ ١٥٤٣، بل هناك يواكيم الرابع الذي جلس ١٥٢٤ ـ ١٥٥٥؛ راجع: بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق والإسكندريّة وأورشليم، دليل كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك في العالم، المطبعة البولسيّة (جونيه ـ لبنان،١٩٨٨) ص١٧؛ وبما أنّ هذا البطريرك قد فاوض البطريرك موسى العكّاري الذي جلس على كرسي البطريركيّة المارونيّة ١٥٢٤ ـ ١٥٦٧، فيجب أن يكون حكمًا يواكيم الرابع جمعة الذي عُرف بمناصرته للكنيسة الكاثوليكيّة وأصدر سنة ١٥٦٠ منشورًا راعويًّا منع فيه وصف اللاتين "بالهراطقة" كما منع الطعن بقداسة البابا. غير أنّ رستم، في المرجع المذكور، قد أصرّ على جعل حقبة دوروثيوس الرابع ١٥٤١ ـ ١٥٤٣.

الزاوية[1] في شمال لبنان، واقترح تبادل الخدمات الروحيّة بين الكهنة والسماح بالتزاوج بين أبناء الكنيستَين مع الإحتفاظ بالعقائد القديمة، اجتمع بطاركة الإسكندريّة وأورشليم والقسطنطينيّة وأساقفة أنطاكية الأرثذوكس[2]، وخلعوا البطريرك الأنطاكيّ وجعلوا مكانه متروبوليت بيروت للروم الأرثذوكس[3]. ومن بطاركة أنطاكية الأرثذوكس الذين حاولوا العمل من أجل الوحدة مع كنيسة روما، البطريرك ميخائيل الصبّاغ[4]، الذي إتّصل به "ليوناردو هابيل"، موفد البابا في حلب، فقدّم إليه البطريرك ميخائيل صورة إيمانه الكاثوليكيّ، وكان آنذاك مستقيلاً. وعقد "ليوناردو" مع البطريرك يواكيم الخامس ضو[5] اجتماعًا في دمشق، وحرّضه على قبول مقرّرات مجمع فلورنسا والتقويم الغريغوريّ، فاعتذر يواكيم، وأكّد على أنّه لا يمكنه البتّ في هذه الأمور، قبل الاتّفاق مع بطريركَي الإسكندريّة والقسطنطينيّة[6]. وتفيد المدوّنات عن مشادّات حصلت بين الروم والموارنة حول أوقاف في عكّار. وعن أنّه، في تلك الحقبة، (أواسط القرن السادس عشر)، قد تعرّض الكاثوليكيّون في طرابلس من شماليّ لبنان للاضطهاد[7].

---

١ ـ الزاوية: منطقة في شمال لبنان، أصبحت اليوم تحمل اسم قضاء زغرتا.

٢ ـ ذكر يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣، أنّ بطريرك القسطنطينيّة يومذاك كان إرميا الثاني، الذي "عقد مجمعًا في القدس مع بطريركَي الإسكندريّة والقدس وعزلوا دوروثاوس من منصبه"، ولكنّ ذلك يبدو مستحيلاً لأنّ البطريرك المذكور قد جلس ١٥٧٢ ـ ١٥٩٥، ما لا يتناسب مع تاريخ الحدث.

٣ ـ رستم د. أسد، كنيسة مدينة اللّه أنطاكية العظمى، المكتبة البولسيّة (بيروت،١٩٨٨) ٣: ٢١ مستندًا إلى: VOYAGE, VAT. ARAB., 689, FOL. 127, (NASRALLAH, J., CHRON., P.O.C., (1957), 34.

٤ ـ ورد ذكر هذا البطريرك عند يتيم وديك: ميخائيل السابع الصبّاغ ١٥٧٧ ـ ١٥٨١؛ وعند رستم: ميخائيل السادس ١٥٧٧ ـ ١٥٨١؛ وفي دليل كنيسة الروم الملكيّين: ميخائيل الخامس ١٥٥٥ ـ ١٥٦٧!؟ علمًا بأنّ "ليوناردو هابيل" قد بقي في الشرق ١٥٧٦ ـ ١٥٩١.

٥ ـ ورد تاريخ جلوس هذا البطريرك عند يتيم وديك، مرجع سابق: ١٥٨٠ ـ ١٥٩٢؛ وعند رستم، مرجع سابق: ١٥٨١ ـ ١٥٩٢؛ وفي دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق: ١٥٦٧ ـ ١٥٦٨!؟

٦ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٧ ـ الدبس المطران يوسف، الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل، تقديم الأب ميشال الحايك، دار لحد خاطر (بيروت، ١٩٨٧) ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

وكانت ملامح نزاع داخليّ ضمن بطريركيّة أنطاكية الأرثذوكسيّة، بين العنصر اليونانيّ والعنصر السريانيّ الأصل والعربيّ التطوّر، قد ظهرت مذ أخذ دور مدينة أنطاكية كمقرّ للكرسيّ البطريركيّ يضعف شيئًا فشيئًا بعد الإحتلال العثمانيّ للقسطنطينيّة سنة ١٤٥٣، وإعلان السلطات السياسيّة صدارة رئيس أساقفة القسطنطينيّة كممثّل للمسيحيّين أمام الباب العالي[١]، خاصّة بعد أن نُقل مقرّ الكرسيّ نهائيًّا إلى دمشق في القرن السادس عشر، وكانت دمشق قد احتلّت مكانة الصدارة الحضاريّة في المنطقة[٢].

وقويت فكرة الاتّحاد بروما وتمكّنت[٣]، في عهود البطاركة الأنطاكيّين الملكيّين الأرثذوكس: يواكيم السادس بن زيادة[٤]، ودوروثاوس الرابع ابن الأحمر[٥]، وأثناسيوس الثاني الدبّاس[٦]، واغناطيوس الثالث عطيّة[٧].

---

١ ـ **الباب العالي:** لقب كان يُراد به أوّلاً البلاط السلطانيّ في اسطنبول، ثم مقرّ الصدر الأعظم سنة ١٧١٨ وسائر الوزارات والدوائر الرسمية.

٢ ـ حدّاد فريدا، بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثذوكس (المنارة، ١٩٨٦) العددان الأوّل والثاني، ص٥٠.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٤ ـ (١٥٩٣ ـ ١٦٠٤) بحسب يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ (١٥٦٨ ـ ١٥٨٥) بحسب دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧؛ (١٥٧٧ ـ ١٥٨٨) بحسب رستم، مرجع سابق، مرجع سابق، ٣: ٤٠٣.

٥ ـ (١٦٠٤ ـ ١٦١١) بحسب يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ (١٥٨٥ ـ ١٦١٠) بحسب دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧؛ ودوروثاوس الخامس (١٦٠٤ ـ ١٦١١) وليس الرابع بحسب رستم، مرجع سابق، مرجع سابق، ٣: ٤٠٣، الذي جعل عهد دوروثاوس الرابع (١٥٤٣ ـ ١٥٧٦).

٦ ـ (١٦١٢ ـ ١٦٢٠) بحسب يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ وأثناسيوس الثالث (١٦١٠ ـ ١٦١٧) وليس الثاني بحسب دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧؛ وكذلك بحسب رستم، مرجع سابق، ٣: ٤٠٣، الذي جعله أثناسيوس الثالث ولكنّه جعل تاريخ جلوسه (١٦١١ ـ ١٦١٩).

٧ ـ (١٦٢٠ ـ ١٦٣٤) بحسب يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ (١٦١٧ ـ ١٦٣١) بحسب دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧؛ (١٦١٩ ـ ١٦٣٤) بحسب رستم، مرجع سابق، ٣: ٤٠٣.

أمّا بطريرك القسطنطينيّة إرميا الثاني (١٥٧٢ ـــ ١٥٩٥)، الذي رفض مجاراة البروتستانت معلنًا لهم عن توافق كنيسته مع الكنيسة الكاثوليكيّة من حيث المبادئ والمعتقد، فقد رفض، في الوقت نفسه، السير بالتقويم الغريغوريّ. وكان إثر ذلك أن أسّس، صاحب التقويم، البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ ـ ١٥٨٥) مدرسة القدّيس أثناسيوس لليونان في روما، فأمّها طلاّب كثيرون كان لهم الفضل في تحقيق نهضة لاهوتيّة في آخر القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر. وقد أقبل اليسوعيّون إلى القسطنطينيّة في هذه الحقبة وتمركزوا فيها؛ كما أقاموا في عدّة جزر يونانيّة، واتّصلوا بالبطاركة فأعلن العديد منهم اتّحادهم الشخصيّ بكنيسة روما[١].

وقاوم حركة التقارب الدينيّ، بين روما والقسطنطينيّة، البطريرك القسطنطينيّ كيرلّس لوكار (١٦٢٠ ـ ١٦٣٨) الذي كان متأثّرًا بالمذهب البروتستانيّ الكلوينيّ[٢]. وبين أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر اجتاحت أنطاكية موجة من التقلّبات السياسيّة، أدّت إلى انشقاقات في صفوف الكنيسة، خاصّة بعد دخول الإرساليّات الأجنبيّة والبعثات الباباويّة إلى الشرق، لا سيّما مدينة حلب، حيث دخل الفرنسيسكان سنة ١٦٢٥. فقد أفاد البابا أوربانوس الثامن (١٦٢٣ ـ ١٦٤٤) من العلاقات الطيّبة القائمة بين حكومة الملك لويس الثالث عشر[٣] والدولة العثمانيّة، فأرسل الرهبان الكرمليّين والكبّوشيّين واليسوعيّين إلى الشرق وخصوصًا إلى سورية، وأوعز الملك إلى سفيره في القسطنطينيّة وإلى قناصله في الإسكندريّة وصيدا ودمشق وحلب بأن يساعدوا الرهبان المرسَلين في مهمّتهم الدينيّة. واختار المرسَلون مدينة

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٢٧٦.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٢٧٦.

٣ ـ **لويس الثالث عشر** (١٦٠١ ـ ١٦٤٣): إبن هنري الرابع وماري دي ميديسيس، ملك فرنسا ١٦١٠ حتّى وفاته، لُقّب بلويس العادل.

حلب مقرًّا لهم، وقد أحسنوا في اختيار هذه المدينة، لأنّها واقعة في نقطة وسطى بين آسية الصغرى والعراق وإيران، ومنها توزّعوا على سائر المدن، واختلطوا بالطوائف الأرثذوكسيّة، واتّصلوا بأساقفتها، ووعظوا في كنائسها، وسمعوا اعترافات أبنائها، ومنحوهم الأسرار الكنسيّة. ومن خلال عملهم بالتعليم في المدارس، وبثّ النشرات الدينيّة، وترجمة الكتب الروحيّة الكثيرة، وإرشاد أخويّات الرجال والنساء، عملوا على رفع مستوى الشرقيّين من الناحيتَين الروحيّة والثقافيّة، وأقنعوا الكثيرين منهم بأنّ تطوّر التعليم اللاهوتيّ في الغرب لا يتنافى والمعتقد الأرثذوكسيّ التقليديّ. وكان الرهبان المرسَلون يطلبون الصلاحيّة الروحيّة إلى الأساقفة الأرثذوكس أنفسهم، وفي غالب الأحيان كان الأساقفة والكهنة المؤمنون يدعونهم من تلقاء ذواتهم إلى القيام بالخدمة الدينيّة في الكنائس والخورنيّات الأرثذوكسيّة. وقد أبدى المرسَلون إجمالاً، واليسوعيّون خصوصًا، رحابة صدر استطاعوا أن يكتسبوا بها عطف الإكليروس الشرقيّ. فقد كانوا يبدون للأساقفة والكهنة الإحترام والإجلال والثقة التامّة، وللشعب المسيحيّ المحبّة الفائقة والتفاني المتواصل. وظهرت محبّتهم المسيحيّة بنوع خاصّ في تأسيس المدارس والاعتناء بالمرضى، فمات الكثيرون منهم بمرض خفيّ كانوا يدعونه "الطاعون". كلّ هذا قد أنعش في قلوب الناس فكرة الوحدة الدينيّة، وأثار فيهم الميل إلى الاتّحاد بكنيسة روما[١].

وقد قام رؤساء أساقفة توالوا على كرسي أنطاكية، خلال هذه الحقبة، بمحاولات للانضمام إلى روما، كما أسلفنا؛ وكان من أبرز هؤلاء، "أفتيمُس كرمة[٢]" الذي أصبح

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٢٩٠ ـ ٢٩١.

٢ ـ هو **ملاتيُوس كرمة الحموي** (١٥٧٢ ـ ١٦٣٥): متروبوليت حلب، بطريرك أنطاكية للروم الملكيين باسم أفتيمُس الثاني ١٦٢٤ – ١٦٣٥، من روّاد النهضة الثقافيّة للكنيسة الملكيّة مطلع القرن السابع عشر، عرّب الكتب الطقسيّة اليونانيّة.

بطريركًا سنة ١٦٢٤[١]، الذي ذكر باحثون أنّه عمل سرًّا لأجل إبرام الوحدة مع روما[٢]. بينما وصفه آخرون بأنّه أعظم أحبار هذه الكنيسة في عصرها الحديث، وأنّه أظهر بصراحة إيمانه الكاثوليكيّ[٣]. وهو من مواليد حماة سنة ١٥٧٢، ترهّب سنتَين في دير القدّيس سابا قرب القدس، وعاد إلى وطنه، حيث قبِل الرسامة الكهنوتيّة، واكتسب بعلمه وفضيلته محبّة الجميع واحترامهم، وجاء إلى حلب فانتخبه الملكيّون أسقفًا عليهم، وقبِل رسامته الأسقفيّة في ١٢ شباط (فبراير) ١٦١٢ باسم ملاتيوس، وبقي أسقفًا على حلب حتّى سنة ١٦٣٤، واهتمّ كلّ الاهتمام بأبناء رعيّته، وكان مثالاً للتجرّد والغيرة الرسوليّة، فجدّد في المدينة الحياة الروحيّة، وعُني بتصحيح ترجمة الكتب الطقسيّة، وأرسل مخطوطاتها لتُطبع في روما في مطبعة انتشار الإيمان. ولم تظهر النسخات المطبوعة إلاّ بعد وفاته بمدّة طويلة. ولمّا كان أسقفًا في حلب، أقبل إليها المرسَلون الغربيّون من يسوعيّين وكبّوشيّين وكرمليّين فأحسن استقبالهم. وساعد كثيرًا الأب "كيروت QUEYROT" اليسوعيّ في مهمّته الدينيّة، وعهد إليه تثقيف الإكليريكيّين في دار المطرانيّة. وكان الأب المذكور يأكل إلى مائدة الأسقف، ويتعجّب من كثرة تقشّفاته. ولمّا توفّي البطريرك اغناطيوس الثالث عطيّة سنة ١٦٣٤[٤]، انتُخب مكانه بطريركًا باسم أفتيموس، فأرسل إلى روما الكاهن "باخوميوس" لعقد الإتّحاد بالكنيسة الرومانيّة، ولكنّه مات قبل عودة باخوميوس، فلم تطل بطريركيّته أكثر من ٧ أشهر[٥].

---

١ - بطريرك (١٦٣٤ - ١٦٣٥) بحسب يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٠٢ - ٣٠٣؛ وأفتيمس الثالث بن كرمه (١٦٣١) بحسب دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧؛ وأفتيمس الثالث (١٦٣٥ - ١٦٣٦) بحسب رستم، مرجع سابق، ٣: ٤٠٣.

٢ - الشمّاس، مرجع سابق، ص١٧١.

٣ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ - ٣٠٣.

٤ - راجع ما جاء في حاشية سابقة حول مدّة ولاية البطريرك كرمة.

٥ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ - ٣٠٣.

أمّا خليفة كرمة: البطريرك أفتيميُوس الثالث[1] الصاقزي[2]، الذي كان تلميذًا لسلفه أفتيمُس كرمة[3]، فقد حافظ على علاقات طيّبة مع المرسَلين، وخصوصًا اليسوعيّين[4]. وشهد له المرسلون بأنّه كان يميل إلى الكثلكة ويؤيّدها، ولكنّه لم يُفصح عن ميله هذا كسلفه[5]، ولم يتابع خطوات ملاتيوس الوحدويّة[6]. وقد أتى بالأب "كيروت" اليسوعيّ إلى دمشق سنة ١٦٤٣، ففتح فيها مدرسة لأولاد ملّة الروم[7].

أمّا البطريرك مكاريُوس الثالث زعيم[8] فقد أعاد إلى الأذهان الموقف الكنسيّ الشرقيّ قبل الإنفصال، إذ كتب إلى روما، رسالة ملؤها الإحترام، مُبديًا عبرها تعاطفه معها، ولكنّه لم يوقّع صكّ الإتّحاد الرسميّ. والمقول إنّ مكاريوس كان في بادئ الأمر كاثوليكيًّا في الباطن، وقد ساهم في تنصيب البطريرك السريانيّ "إندراوس أخيجان"[9]،

---

١ ـ بطريرك (١٦٣٥ ـ ١٦٤٧) بحسب الشمّاس الأب يوسف المخلّصيّ، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكيّة، الجزء الثاني، المطبعة المخلّصيّة، دير المخلّص (صيدا ـ لبنان، ١٩٤٩) ص ١٧٠، وبحسب يتيم وديك، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ وأفتيميُوس الرابع الساقزي (١٦٣١ ـ ١٦٤٧) بحسب دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧؛ و وأفتيميُوس الرابع (١٦٣٦ ـ ١٦٤٨) بحسب رستم، مرجع سابق، ٣: ٤٠٣.

٢ ـ **الصاقزي**: نسبة إلى جزيرة "صاقز أوشيّو" اليونانيّة التي وُلد ونشأ فيه، فهو يونانيّ الأصل، بحسب يتيم وديك، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٣ ـ يتيم وديك، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٤ ـ الشمّاس، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكيّة، مرجع سابق، ص١٧٠.

٥ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٦ ـ الشمّاس، خلاصة تاريخ الكنيسة الملكيّة، مرجع سابق، ص١٧٠.

٧ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٨ ـ بطريرك (١٦٤٧ ـ ١٦٧٢) بحسب الشمّاس، مرجع سابق، ص١٧١، ودليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧، ويتيم وديك، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣؛ (١٦٤٨ ـ ١٦٧٢) بحسب رستم، مرجع سابق، ٣: ٤٠٣.

٩ ـ راجع: الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة.

وأظهر آنذاك في خطاباته وفي رسالة بعث بها إلى الحبر الأعظم رغبتـه فـي الاتّحـاد. ولمّا سافر للمرّة الثانية إلى روسيا، تغيّر موقفه تمامًا تجاه الكاثوليك[1].

في هذه الحقبة، مدّ اليسوعيّون انتشارهم من حلـب ودمشـق إلـى صيـدا وطرابلـس وجبل لبنان، فنشأ بتأثيرهم جيل جديد مقتنع بضرورة إعادة الوحدة الكنسيّة مع رومـا[2]. وراح اليسوعيّون، وسواهم من الإرساليّات اللاتينيّة، يعتمدون في عملهم علـى التبشير والتعليم، وحيـث تعذّر الوعـظ فـي الكنـائس كـانوا يستعملون المنـازل[3]. وتركّـز ذلـك النشاط في حلب ودمشق وحوران والقرى المحيطة بها إضافـة إلـى بـيروت وجوارهـا وبعلبك ويبرود والقرى الواقعة جنوبيّ حمص باتّجاه بعلبك، فضـلاً عـن جنوبـيّ لبنـان والجليل. وبدأ عمل المرسَلين يفعل فعلـه فـي تلـك المنـاطق منـذ أواخـر القـرن السـابع عشر، بعدما أنشأ اليسوعيّون أديرة لهم فــي حلـب سـنة ١٦٢٥، ودمشـق سـنة ١٦٤٣، وطرابلـس وصيـدا سـنة ١٦٤٤، وعينطـورة كسـروان فـي جبـل لبنـــان سـنة ١٦٥٧، متوجّهين نحو الطوائف "المنفصلة" عـن رومـا[4]. وتمكّنـوا مـن خلـق تيّـار اتّحـاديّ فـي الكنيسة الأنطاكيّة الملكيّة، معتمدين الوعظ والتأليف وتأسيس الأخويّات ودعم كـلّ ميـل نحو روما، كما نجحوا في استمالة بعض الأساقفة دون أن يطلبوا إليهم الانفصـال عـن البطريركيّة الأنطاكيّة. وشملت الحركة أحيانًا حمص نفسها حيث توقّفت أمام ردّة الفعل الأرثذوكسيّة العنيفة، إذ استمرّت البطريركيّة المسكونيّة (القسطنطينيّة) بمحاربة تَكَثْلُك المؤمنين بشدّة، وحرمت المتكثلكين منهم، وألزمت أتباعها برفـض التعـاليم الكاثوليكيّـة

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٢.

٣ - HOMSY BASILE, *LES CAPITULATIONS ET LA PROTECTION DES CHRÉTIENS AU PROCHE-ORIENT AUX XVIE. XVIIE. ET XVIIIE. SIÈCLES* (HARISSA - LIBAN,1956) P. 262

٤ - اليسوعيّون في الشرق الأدنى والعالم، دار النهار للنشر (بيروت،١٩٧١) ص ٦٢.

المخالفة للأرثذوكسيّة[1]. وهكذا فإنّ نشاط الإرساليّات الغربيّة الواسع، لم يُحدث أيّ انضمام جماعيّ إلى الكثلكة. بل كان هناك خطوات فرديّة، كإقدام الإيقونومس ميخائيل بجع[2] على إعلان إيمانه الكاثوليكيّ سنة ١٦٧٤[3]؛ والبطريركَين كيرلّس الخامس زعيم[4] وأثناسيوس الثالث دبّاس[5] اللذَين، على الرغم من تنافسهما على البطريركيّة، أعلنا إيمانهما الكاثوليكيّ من دون الانفصال عن الكرسي الأرثذوكسيّ[6]. واعتبر باحثون[7] أنّ البطريرك كيرلّس الخامس زعيم قد أراد أن يكتسب صداقة روما والقسطنطينيّة، فأرسل صورة إيمانه الكاثوليكيّ إلى روما سرًّا دون علم البطاركة اليونانيّين، وقرّر أن يحافظ على شركتهم الروحيّة ورضاهم خوفًا على منصبه القسطنطينيّ، فرسم للأبرشيّات الشاغرة أساقفة يونانيّين. وجاء عن البطريرك أثناسيوس الثالث الدبّاس أنّه

---

١ ـ ديك اغناطيوس، طائفة الروم الكاثوليك الملكيّين (المنارة،١٩٨٦) العددان الأوّل والثاني، ص ٧١ ـ ٧٥.

٢ ـ **ميخائيل بجع**: من روّاد النهضة الثقافيّة للكنيسة الملكيّة مطلع القرن السابع عشر.

٣ ـ كبكب د. وسام، (أستاذ تاريخ الكنيسة في معهد القديس بولس في حريصا)، كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك، في كتاب: تاريخ الكنيسة، دار المشرق، ط٢ (بيروت،١٩٩٧)؛ الشمّاس، مرجع سابق، ص ١٩٣ ـ ١٩٧، ٢٠١ ـ ٢٠٤.

٤ ـ بطريرك (١٦٧٢ ـ ١٧٢٠) بحسب الشمّاس، مرجع سابق، ص ١٩٣ ـ ١٩٧، ٢٠١ ـ ٢٠٤، وكبكب، مرجع سابق؛ (١٦٧٤ ـ ١٦٨٨) بحسب دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧؛ (١٦٩٤ ـ ١٧٢٠) بحسب رستم، مرجع سابق، ص٤٠٣.

٥ ـ أورد كبكب، مرجع سابق، ص٥٢، أنّ أثناسيوس الثالث دبّاس قد جلس (١٦٨٥ ـ ١٦٩٤ و١٧٢٠ ـ ١٧٢٤)؛ بينما ذكر رستم، مرجع سابق، ص٤٠٣ أنّه أثناسيوس الرابع وليس الثالث، وأنّه جلس (١٦٨٦ ـ ١٦٩٤، و١٧٢٠ ـ ١٧٢٤)؛ ويتيم وديك، مرجع سابق، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣ أنّه جلس فقط (١٧٢٠ ـ ١٧٢٤)؛ وأورد اسمه دليل كنيسة الروم الملكيّين، مرجع سابق، ص١٧، على أنّه أثناسيوس الرابع، وليس الثالث، إبن الخوري فضل الله الدبّاس، وأنّه جلس فقط (١٧٢٠ ـ ١٧٢٤) معتبرًا أنّ كيرلّس الثالث قد جلس (١٦٧٤ ـ ١٦٨٨) ونيفوطيوس (١٦٨٨ ـ ١٧٢٠).

٦ ـ كبكب د. وسام، (أستاذ تاريخ الكنيسة في معهد القديس بولس في حريصا)، كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك، في كتاب: تاريخ الكنيسة، دار المشرق، ط٢ (بيروت،١٩٩٧)؛ الشمّاس، مرجع سابق، ص ١٩٣ ـ ١٩٧، ٢٠١ ـ ٢٠٤.

٧ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

كان حائرًا، أكثر من سلفه، بين الكاثوليكيّة والأرثذوكسيّة. وفي أيّامه ازدهرت الكثلكة وقويت في حلب. وقد قام برحلات كثيرة إلى رومانيا، وطبع هناك باللغة العربيّة للمرّة الأولى كتاب الفرض الإلهيّ، وكتاب القدّاس، وأتى إلى حلب بأوّل مطبعة عربيّة سنة ١٧٠٦، وأرسل إلى روما ص رة إيمانه الكاثوليكيّ، إلاّ أنّ اتّصالاته بأمراء رومانيا وباليونان أضعفت فيه المعن الكاثوليكيّ. ولا تزال الآراء متضاربة حول حقيقة إيمانه. وفي عهده دُعيت جماعه الروم المنضمّين جهرًا إلى الكنيسة الرومانيّة "بكنيسة الروم الكاثوليك[1]".

دَيـــــر المخلِّص

لقد كان الحدث الذي شكّل نقطة تحوّل أساسيّة في مسيرة الوحدة مع روما، رسامة المطران أفتيموس الصيفيّ[2] أسقفًا على صور وصيدا ١٦٨٢ ـ ١٧٢٣، وكان من التلاميذ اللامعين للمرسَلين اللاتين في دمشق. وهو يُعتبر من أبرز الدعاة إلى الوحدة، وقد أرسل صورة إيمانه الكاثوليكيّ إلى روما في ٢٠ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٦٨٣،

---

١ - يتيم وديك، المرجع السابق.

٢ - **المطران أفتيموس الصيفيّ (١٦٤٣ ـ ١٧٢٣)**: أسقف ملكيّ كاثوليكيّ ولاهوتيّ ومربٍّ وأديب، وُلد في دمشق، يتحدّر من أسرة مسيحيّة كانت تقيم في بعلبك، ومنها انتقل موسى والد المطران أفتيموس إلى دمشق. قبل ذلك كانت الأسرة قد نزحت إلى بعلبك من قرية معاد في بلاد جبيل بعد أن كانت قد نزحت إلى معاد من دمشق، وهي تعود في أصولها البعيدة إلى بطن من زبيد، كانت منازلهم في بلدة صرخد بالشام، ومن دمشق انتقلت العائلة إلى معاد أيّام الإضطهاد، ثمّ نزحت عن معاد إلى بعلبك بسبب اجتياح المماليك للساحل الغربيّ أوائل القرن الرابع عشر، وعادت فتعرّضت للمظالم في بعلبك أيّام حكم الأمراء الحرافشة فتفرّقت بين عيحا راشيّا وبيت ملاّت عكّار حيث تشعّبت إلى مناطق، وبقي من آثارها في منطقة الهرمل مزرعة "مراح الصيفيّ" القريبة من قرية "قنافذ"، وعاد بعض من أبنائها إلى دمشق حيث سكنوا محلّة باب توما. إعتُبر أفتيموس الصيفيّ المؤسّس لرهبانيّة دير المخلّص ١٧٠٨، توفّي في دمشق.

أي في خلال سنة من تاريخ تولّيه الأسقفيّة[1]. وذكر باحثون أنّ الصيفيّ، عندما كان أسقفًا على صيدا، قد جمع نخبة من الشبّان الأتقياء ودرّبهم بنفسه على ممارسة الحياة الرهبانيّة. ثمّ أرسلهم إلى القرى المجاورة داخل أبرشيّته وخارجها، ليعظوا الناس بالإيمان الكاثوليكيّ. وكان الحبر الأعظم قد عيّنه مدبّرًا رسوليًّا على جميع الروم الكاثوليك في البطريركيّة الأنطاكيّة، حيث لم يكن أسقف كاثوليكيّ. ولمّا كثر عدد هؤلاء الشبّان المترهّبين وضاقت بهم دار المطران في صيدا، أخذ يفكّر ببناء دير لهم[2]. وعمد الصيفي إلى تأسيس دير المخلّص، بالقرب من قرية "جون" من أعمال قضاء الشوف في جنوب جبل لبنان، على مسافة ١٦ كلم إلى الشمال الشرقيّ من صيدا، سنة ١٧١١. وجمع فيه باقة من الرهبان "تعاونه بشكل ثابت في الرسالة وخدمة المؤمنين[3]"، وما لبثت هذه الباقة أن انصهرت في بوتقة رهبانيّة بحسب قوانين القدّيس أنطونيوس ثم قوانين القدّيس باسيليوس، فدُعيت "الرهبانيّة الباسيليّة المخلّصيّة". وامتدّ عمل الرهبان المخلّصيّين إلى أبرشيّة صور وصيدا وبلاد الجليل ودمشق وصيدنايا. وكان من أشهر الرهبان المرسَلين "ساروفيم طاناس" و"جبرائيل فينان"[4].

وجاء في بعض المدوّنات عن تاريخ تأسيس دير المخلّص الملقّب بالعامر، أنّ أسقف صور وصيدا الملَكيّ أفتيموس الصيفي قد أسّسه سنة ١٧٠٩[5] في مكان اشتراه من الشيخ قبلان القاضي أحد زعماء الدروز في الشوف[6]. ولبناء هذا الدير قصّة

---

١ ـ يُشار إلى أنّ الصيفيّ كان كاثوليكيًّا صميمًا قبل رسامته الأسقفيّة على يد البطريرك كيرلّس الخامس زعيم ١٦٨٢.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٥.

٣ ـ حدّاد الأب أندراوس، هذا دير المخلّص، مطبعة دير المخلّص (جون ـ لبنان ١٩٦٥) ص ٥.

٤ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٥.

٥ ـ قابل يتيم وديك حيث جاء أنّ التأسيس حصل ١٧١١.

٦ ـ خاطر لحد، الشيخ بشارة الخوري الفقيه (بيروت،١٩٥٦) ص٤٥، فيما جاء في مراجع أخرى أنّ تاريخ التأسيس كان سنة ١٧٠٨.

يتناقلها الناس مفادها أنّه في ذات يوم من سنة ١٦٨٥، وبينما كان المطـران أفتيمـوس الصيفي يزور "جون" بخلال جولته على قـرى أبرشـيّته، توافـد أهـل القـرى المجـاورة ليحيّوه، وكان أحدهـم يحمـل بندقيّـة، أخذهـا الشـمّاس "أثناسـيوس نصـر" وجعـل يقلّبهـا متفحّصًا، فلمست إصبعه "الديك[١]" عرضًا، وانطلق البارود واستقرّ فـي صـدر الكـاهن "إبراهيم الطوطو" الذي كان يقف بإزاء الشمّاس، فسقط أرضًا، وما أن سمع المطـران طلق البندقيّة حتّى صاح: "يا مخلّص". وركض مع الآخرين نحـو الكـاهن، فوجـدوا أنّ الخردق[٢] لم يخترق صـدره. ومنـذ تلـك اللحظـة استقرّ رأي المطـران الصيفـي علـى تأسيس دير في المحلّة على اسم "دير المخلّص". وبعد الدرس، كان القرار ببنـاء الديـر على أرض كانت ملكًا لمشايخ "آل القاضي[٣]" فـي محلّـة تُسـمّى "مشموشـة". وفـي سـنة ١٧٠٩ كان قد تمّ إنشاء دير مؤلّف من عشرين غرفـة سـكن وكنيسـة صـغيرة ومطبـخ ومائدة. في هذه الأثناء طلب المطـران مـن صديقـه الشـيخ "قبـلان القـاضي" أن يبيعـه المزرعة التي بُني فيها الدير فتمّ له ذلك. وفي سنة ١٧٢٠ رُفعت في أعلـى نقطـة مـن المزرعة كنيسة كانت تُعدّ من أجمل كنائس الشرق وأكبرهـا، هندسـها وعمّرهـا سـبعة رهبان بخلال ثلاث سنوات. ومع توالي الأيّام[٤] أصبح دير المخلّص يضمّ أبنيـة عديـدة فخمة حسنة الرواء وفسيحة الرحاب، ومُـدّت إليـه الميـاه مـن قريـة "الجليليّـة[٥]" وأُحيـط

---

١ - **الديك**: المقصود بها هنا "صاعق البندقيّة" الذي بإطباقه على الكبسولة ينطلق الرصاص.

٢ - **الخردق**: هو كريات رصاصيّة صغيرة تُستعمل في بنادق الصيد.

٣ - **آل القاضي**: أسرة مشايخ موحّدة درزيّة لبنانيّة.

٤ - نشير هنا إلى أنّه لمّا توفّي مؤسّس الرهبانيّة المخلّصيّة المطران أفتيموس الصيفي سنة ١٧٢٣، تولّى منصب الرئاسة العامّة **الأب ميخائيل العجيمي** (ت١٧٦٣) وجُدّدت رئاسته ثلاث مرّات، وقد سعى سعيًا حثيثًا أثنـاء رسالته لأجل اتّحاد الرهبانيّتين المخلّصيّة والشويريّة فلم يفلح في مسعاه.

٥ - **الجليليّة**: قرية في جنوب قضاء الشوف من محافظة جبل لبنان، على متوسّط ارتفاع ٧٠٠م عن سطح البحر، وعلى مسافة ٥٩ كلم عن بيروت.

ببساتين نضرة فيها من كلّ فاكهة زوجان، وجُهّز بمطبعة عامرة تنشر، ما عدا الكتب التاريخيّة والأدبيّة واللغويّة، مجلّتَين شهريّتَين: "الرسالة المخلّصيّة" و"النحلة". وضمّ الدير مكتبة كبيرة حوت عددًا ضخمًا من الكتب والمخطوطات أصابها الحريق سنة ١٨٦٠ فقضى على أكثرها، وسُرق العديد ممّا سلم منها واستُعمل في الدكاكين لصرّ البضائع، وكان ما استردّه وكيل الدير خمسة أحمال جمال من الكتب، بُني لها سنة ١٩٠٤ قاعدة كبيرة جُهّزت برفوف خشبيّة ثمينة[١]. وجاء عن مكتبة دير المخلّص أنّها تُعتبر "من أغنى المكتبات في لبنان، فهي تضمّ ثمانية عشر ألفًا وستّماية مجلّد، وتحوي مجموعات تاريخيّة قيّمة جدًّا بينها كتاب مطبوع سنة ١٤٩٦، أي ٢٨ عامًا بعد وفاة "غوتنبرغ" مخترع الطباعة، و٣٤ سنة بعد ظهور أوّل كتاب مطبوع. وبينها أيضًا كتاب الأناجيل المطبوع باللغة العربيّة في روما سنة ١٥٩١، وهو أوّل كتاب عربيّ صادر عن مطبعة. وتضمّ مجموعة من أغنى وأثمن المجموعات في الليتورجية والموسيقى البيزنطيّة. وفي الدير أيضًا مكتبة للمخطوطات تحوي ٢٠٣٠ مخطوطًا وهي أضخم مجموعة من نوعها في الشرق، ويرجع أقدمها إلى القرن الثاني عشر للميلاد.[٢]" أمّا المدرسة المخلّصيّة فقد أُنشئت سنة ١٨٢٨، ومرّت في أطوار مختلفة تخلّلتها صدمات قاسية خرجت منها فائزة بهمّة الساهرين عليها، وهي اليوم بناء مستقلّ إلى الجهة الشماليّة من الدير مؤلّف من ثلاث طبقات، إدارتها منفصلة عن إدارة الدير، وطلاّبها فرعان: إكليريكيّ وعلمانيّ[٣]. وتفيد المعلومات أنّ الدير ومكتبته قد تعرّضا للهجوم في خلال الأحداث التي عصفت بلبنان في الربع الأخير من القرن العشرين،

---

١ ـ خاطر، الشيخ بشارة الخوري، مرجع سابق، ص٤٥.

٢ ـ حدّاد الأب أندراوس، هذا دير المخلّص، مرجع سابق.

٣ ـ خاطر، الشيخ بشارة الخوري، مرجع سابق، ص٤٥ ـ ٤٦.

غير أنّ آل جنبلاط[1] قد نقلوا إلى قصرهم في "المختارة[2]" أهمّ تصانيف المكتبة وحافظوا عليها وسلّموها بعد نهاية الحرب إلى الدير[3]. ويؤكّد الأب "قسطنطين الباشا" المخلّصيّ على أنّ الصيفي قد أراد من خلال إنشاء رهبانيّة قانونيّة من أبناء كنيسة "الروم" ومن جميع الأبرشيّات، نشر مبدأ الاتّحاد مع روما، بواسطة الوعظ والتعليم والخدمة الكهنوتيّة[4].

دير مار يوحنّا الصايغ (الصابغ) والرّهبَانيّتان الشويريَّة والحلَبيَّة

نشأ في حلب في آخر القرن السابع عشر مجموعة من الشبّان الكاثوليكيّين الذين امتازوا بالفضيلة والتقوى، فاقتبسوا العلوم الدينيّة عن الأب "بطرس التولاويّ" المارونيّ والإيكونوموس "ميخائيل بجع" الملكيّ الحلبيّ الكاثوليكيّ، وتضلّعوا في العلوم اللغويّة العربيّة عن الشيخ "سليمان النحويّ"، فأنعش فريق منهم الحياة الرهبانيّة في الكنائس الأربع: الملكيّة والمارونيّة والأرمنيّة والسريانيّة، في عصر واحد. ولم يكن للشبّان الملكيّين، في بادئ الأمر، فكرة تأسيس رهبانيّة جديدة، بل تركوا حلب ودخلوا دير "سيّدة البلمند[5]" الأرثذوكسيّ قرب طرابلس في شمال لبنان، وترهّبوا فيه[6]، في

---

١ ـ **آل جنبلاط:** أسرة موحّدة درزيّة سياسيّة لبنانيّة صاحبة زعامة مميّزة.

٢ ـ **المختارة:** بلدة في قضاء الشوف من أعمال جبل لبنان، فيها قصر آل جنبلاط.

٣ ـ للاطّلاع على تفاصيل تأسيس دير المخلّص راجع: الباشا الأب قسطنطين المخلّصيّ، تاريخ طائفة الروم الملكيّة والرهبانيّة المخلّصيّة، القسم الأوّل، مطبعة دير المخلّص (صيدا ـ لبنان، ١٩٣٨) ص ٢١٠ ـ ٢٤٧؛ الباشا الأب قسطنطين، لمحة تاريخيّة في الرهبانيّة الباسيليّة المخلّصيّة، المطبعة الأدبيّة، (١٩٠٩) ص ٦٤؛ الشمّاس، مرجع سابق، ص ٢٠٤ ـ ٢١١.

٤ ـ الباشا، تاريخ طائفة الروم، مرجع سابق، ١: ٢١٦.

٥ ـ راجع: الجزء التاسع من هذه الموسوعة.

٦ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.

المرحلة نفسها التي برز في خلالها نشاط المطران الصيفي. وكانوا على اتّصال مستمرّ بمرشدهم الروحيّ الأب "فيرسو" اليسوعيّ، ما أبقى هؤلاء الشبّان على علاقة روحيّة مع الكنيسة الكاثوليكيّة. وما لبثوا أن انفصلوا عن البلمند وانتقلوا إلى "الخنشارة[١]" حيث أسّسوا دير "مار يوحنّا الصايغ[٢]"، بدعم من روما ومن مجمع انتشار الإيمان. وفي ما بعد أسّسوا رهبانيّة جديدة دُعيت الرهبانيّة الباسيليّة الحنّاويّة. وبحسب بعض المراجع أنّ ذلك قد حصل سنة ١٧١٠[٣]. بينما جاء في مدوّنات صادرة عن الدير[٤] أنّه في أواخر القرن السابع عشر، أرسل بعض رهبان دير البلمند، اثنَين منهم، هما الأبوان "جرجس السمّان"، و"سليمان كسري" ليستأذنا البطريك كيريلُّس الخامس، وبعثوا اليه معهما بقانون مؤلّف من ١٥ بابًا، ليثبّته لهم، فيسيروا عليه في رهبانيّة ينوون تأسيسها. بارك غبطته الأبوَين، وثبّت قانون رهبانيّتهم التي ذهبت بعد ذلك تبحث عن مكان ملائم تعيش فيه. وبعد البحث الطويل، لم يرَ أعضاؤها أفضل من ضواحي "الشوير[٥]" في لبنان، حيث وجدوا ديرًا صغيرًا على اسم القدّيس يوحنّا الصايغ، بين قريتَي الشوير و"بتغرين[٦]" فاشتروه مع ما حوله، وبنوا بعض غرف، ونالوا حظوة كبيرة في عينَي الأمير "نجم اللمعيّ[٧]"، الذي باعهم مزرعة "بيت عيال"،

---

١ ـ **الخنشارة**: بلدة مصيف في قضاء المتن من محافظة جبل لبنان.

٢ ـ يُعرف أيضًا بدير مار يوحنّا الصابغ نسبة إلى يوحنّا المعمدان. وهذا الدير كان خربًا فأصلحوه.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.

٤ ـ الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة، دير مار يوحنّا الصابغ ـ الخنشارة (لا.ت.)

٥ ـ **الشوير**: بلدة مصيف من أعمال قضاء المتن في محافظة جبل لبنان فوق الخنشارة مباشرة.

٦ ـ **بتغرين**: بلدة مصيف من أعمال قضاء المتن في محافظة جبل لبنان بجوار الخنشارة مباشرة.

٧ ـ **نجم اللمعيّ**: من أمراء آل أبي اللمع إقطاعيّي المنطقة في ذلك التاريخ، وهم من الأسر الموحّدة الدرزيّة اللبنانيّة المتنصّرة حديثًا.

ووعدهم أن يحمي أمرهم[1]. فلمّا استتبّ لهم المكان، أقاموا عليهم رئيسًا، وعاشوا بالعفّة والفقر والطاعة، ومنذئذ أخذ يتوارد عليهم طلاّب الإكليروس من كلّ صوب، إلى أن بلغ عدد رهبانهم سنة ١٧٢٠، نحو ٣٠٠. ولم تكن سنة ١٧٢٢، حتّى ذاع خبر إنشاء هذه الرهبانيّة النامية في كل ناحية، وأخذ آباؤها يقومون بالنشاطات الروحيّة في قرى الجبل، وفي بيروت، وحمص، وحماة، وبعلبك، وقد انضمّ اليها في ما بعد دير سيّدة الرأس في بعلبك[2]، ودير مار شعيا[3]. وفي سنة ١٧٢٨، هيّج الأمير "نجم اللمعيّ" بعض المشاغبين على الرهبان، وأخطرهم أن يخرجوا من دير مار يوحنّا ودير "مار الياس شويّا[4]" في ظروف حرجة جدًّا، فأخلوهما إلى دير مار شعيا. وقد بقي دير مار الياس شويّا في أيدي غير هذه الرهبانيّة حتّى عام ١٧٢٩، إذ أعاده اليهم الأمير "عسّاف اللمعيّ". أمّا دير مار يوحنّا الصايغ فلم يُعد الى الرهبانيّة إلاّ سنة ١٧٣١ بعد المساعي الطويلة وبذل المال الكثير. وكان دير الصايغ في بدء هذا العهد قد أصبح معتصَمًا لمَن وُجّهت اليه سهام الإضطهاد، وقد أرسل اللّه اليه شابًّا صالحًا يتلهّب غيرة وذكاء هو الشمّاس "عبداللّه زاخر الحلبيّ[5]" الذي اتّفق مع نسيبه الرئيس العام الأب

---

١ ـ هناك رواية أوردها نجيب داود الصليبيّ في كتابه "الحقائق الجليّة في تاريخ العشيرة الصليبيّة" (١٩٥٠) تقول بأنّ دير مار يوحنّا هذا كان قد بناه أخوان من أسرة الصليبيّ في العام ١٦٨٧، وأنّه استولى عليه في ما بعد أحدهم من أسرة الصائغ من الشوير، كان قد اعتنق الكثلكة، فنُسب الدير اليه منذ ذلك التاريخ. غير أنّ هذه الرواية غير موثّقة وقد تفرّد بها الصليبيّ.

٢ ـ المقصود بلدة **رأس بعلبك** من أعمال قضاء بعلبك في محافظة البقاع.

٣ ـ **دير مار شعيا**: بقرب برمّانا من أعمال قضاء المتن في محافظة جبل لبنان.

٤ ـ **دير مار الياس شويّا**: يقع بقرب دير مار يوحنّا في خراج الشوير.

٥ ـ **عبداللّه زاخر** (١٦٨٠ ـ ١٧٤٨): شمّاس ومفكّر ومؤلّف ملكيّ كاثوليكيّ، وُلد في حلب، إضافة إلى تأسيسه المطبعة العربيّة في دير مار يوحنّا الصابغ في الخنشارة كان من رجال النهضة الأدبيّة، له مؤلّفات دينيّة وفلسفيّة وجدليّة، قيل فيه إنّه كان نابغة زمانه، ملأ الشرق الأدنى طوال أربعين سنة جدلاً ونقاشًا، منطقًا ولاهوتًا، وتقشّفًا وإشعاعًا روحيًّا، تأليفًا وتعريبًا، رسمًا وحفرًا وطباعة، علمًا وعملاً لمجد اللّه وخير القريب.

"نيقولاوس الصائغ[1]" على التعاون في خدمة الكنيسة والبلاد، وكان زاخر قد بدأ بتجهيز مطبعة كاملة صانعًا الآلات اللاّزمة في "زوق مكايل" و"عينطورة[2]"، حيث كانت بعثة فرنسيّة قد أسّست مدرسة، فاحتضنته وساعدته على إبراز فكرته بإنشاء مطبعة عربيّة الى حيّز الوجود. وقد أعدّ الشمّاس عبداللّه أبّهات الحروف وأمّهاتها، والحروف، وسائر ما يلزم للطباعات، وابتنى في دير الصايغ قلاّية كبيرة ورواقًا خاصًّا للمطبعة. ولم تكن سنة ١٧٣٣، حتّى بدأت المطبعة تتحف البلاد بالكتب الدينيّة والجدليّة وغيرها، وقد ظهرت باكورة أعماله في شباط (فبراير) سنة ١٧٣٤، عندما أنجز كتاب "ميزان الزمان" وهو عبارة عن مجموعة صلوات، أعقبها بعد ذلك بسلسلة من الكتب اللاهوتيّة والطقسيّة مثل "قوت النفس" سنة ١٧٧٢، و "مرشد الخاطىء" سنة ١٧٩٤، ومجموعة لا بأس بها من كتب الصلاة محفوظة في خزائن خاصّة الى جانب "جمجمة" زاخر وبعض "الكليشّيهات" المحفورة بيده[3].

في هذه الأثناء، سعت الرهبانيّة ونالت إجابة الحبر الأعظم لطلبها، فوهبها دير الـ"تافيشلا" الشهير في روما، فأخذت ترسل الرهبان اليه، حيث أخذوا يتلقّنون اليونانيّة والفلسفة واللاهوت. وقد مرّت حقبةٌ تُقارب القرن، وجدت فيها هذه الرهبانيّة المصاعب الجمّة، ونالت نصيبًا من الإضطهاد الذي أثير عام ١٨١٨ في حلب على

---

١ ـ **نيقولاوس الصائغ** (ت١٧٥٦): يُعتبر مؤسّسًا ثانيًا للرهبانيّة الشويريّة لأنّه نظّمها وبناها روحيًّا وماديًّا، وبثّ فيها الروح الطيّبة مدّة رئاسته التي دامت أكثر من سبعة وعشرين عامًا، والراجح أنّ الدير قد نُسب إليه فأصبح يُعرف في زمنه وبعده بدير مار يوحنّا الصايغ بدل الصابغ أي المعمدان.

٢ ـ **زوق مكايل وعينطورة**: بلدتان متجاورتان في ساحل كسروان من أعمال قضاء كسروان ـ الفتوح في محافظة جبل لبنان.

٣ ـ تُعتبر هذه المطبعة الأولى في الشرق التي استخدمت الحرف العربيّ، وفي حزيران (يونيو) ١٩٩٨ تمّ تحويل المطبعة متحفًا، بالتنسيق بين وزارة السياحة، والمديريّة العامّة للآثار، ونقابة الطباعة في لبنان، والمعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة، وافتُتح المتحف رسميًّا بحضور رئيس الجمهوريّة آنذاك الياس الهراوي.

الكاثوليك، فقدم الرهبان الحلبيّون الى دير مار يوحنّا، واتّخذوه معتصمًا لهم. وفي سنة ١٨٢٣، إنقسمت الرهبانيّة إلى رهبان حلبيّين وبلديّين، ولكنّهم ما لبثوا أن اتّحدوا[١]، ثمّ عادوا إلى التقسيم في سنة ١٨٢٩[٢]. ومنذ ذلك التاريخ أصبح كلّ من الرهبانيّتَين الحلبيّة والبلديّة، متمايزًا، كلّ برجاله وأديرته، وبقيتا على أتمّ الوفاق. أمّا الرهبانيّة البلديّة، وهي التي بقي لها دير مار يوحنّا الصايغ، فعُرفت من بعد بالرهبانيّة الشويريّة، أو الحنّاويّة، نسبة الى هذا الدير[٣]. وسكن الحلبيّون دير الشير في "بمكّين" بالقرب من عاليه. ومن أشهر رهبان دير مار يوحنّا الصايغ القدامى، الخوري "جرجس عرجان" الذي أصبح في ما بعد أسقف حلب باسم "جراسيموس"، والخوري "ميخائيل حكيم" الذي أضحى مطران حلب، ثمّ بطريركًا باسم "مكسيموس الثاني حكيم" ١٧٦٠ - ١٧٦١[٤].

---

١ - جاء في كتاب يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٤ - ٣٠٥، أنّ الأمير بشير الشهابيّ الثاني الكبير هو الذي أصلح بين الطرفَين المتنازعَين.

٢ - أصبح الإنقسام نهائيًا واعترفت به روما سنة ١٨٣٨.

٣ - الرهبنة الباسيليّة الشويريّة، دير ماريوحنّا الصابغ - الخنشارة (لا.ت.)؛ راجع: حاج الأب أثناثيوس، الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة (الحلبيّة - البلديّة) في تاريخ الكنيسة والبلاد، جزءان، مطابع الكريم الحديثة (جونيه - لبنان، ١٩٧٤) ١: ٧٤ - ١٢٢.

٤ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٤ - ٣٠٥.

الفَصلُ الثَّانِي

البَطرِيَركِيَّةُ المَلَكِيَّةُ الكَاثُولِكِيَّة

نُشُـــوءُ البَطرِيَركِيَّةِ المَلَكِيَّةِ الكَاثُولِكِيَّةِ؛

تَمَركُزُ البَطرِيَركِيَّةِ فـي لُبنَـــانَ؛

مُشكِلَةُ خِلافَــةِ البَطرِيَركِ الأَوَّلِ؛

قَـــرنُ المعَانَاة.



نشُــــوء

البَطرِيَركِيَّة المَلكِيَّة الكَاثولِكِيَّة

مع تعاظم عمل المرسَلين في القرنَين الثامن عشر والتاسع عشر، وتكثيف وسائل الترغيب والإغراء للانضمام إلى الكثلكة التي راحت تنتشر بشكل واسع داخل الكنيسة الملكيّة، بدعم من المرسَلين اللاتين وفي طليعتهم اليسوعيّون، ومن خلال عمل الرهبانيتَين المخلّصيّة والحنّاويّة، بدأت مناطق واسعة من لبنان وسورية تشهد انضمامًا جماعيًّا إلى الوحدة، خصوصًا في حلب ودمشق وحوران وجنوب لبنان والجليل وبيروت وجبل لبنان، وفي بعلبك حيث انضمّ دير السيّدة رأس بعلبك إلى الرهبانيّة الحنّاويّة. ووصل ذلك التيّار إلى "يبرود" وقرى جنوبيّ حمص في سوريا[1]. وقد تمّ اعتماد وسائل قمعيّة، لهذا التيّار، من قِبَل البطريركيّة الأنطاكيّة الأرثذوكسيّة، بدءًا من مطلع القرن الثامن عشر. فنُفي المطران الصيفي وتوفّي متأثّرًا بالعذاب. ونزح "جراسيمس" أسقف حلب والشمّاس عبد اللّه زاخر* إلى لبنان. وأقدم بطريرك القسطنطينيّة الأرثذوكسيّ كيرلّس الخامس (١٧٤٨ ـ ١٧٧٤) على نكران صحّة معموديّة اللاتين، وقرّر ضرورة إعادة منح المعموديّة لمَن يعود منهم إلى

١ ـ باشا، مرجع سابق، ص ٧٤ ـ ٧٦.

الأرثذوكسيّة[1]. وساندت السلطات العثمانيّة الأرثذوكسيّين صراحة، فكان على المتكثلكين أن يعيشوا خفية في المناطق الخاضعة مباشرة للسلطان، وأن يقاسوا في ممتلكاتهم، وأحيانًا كثيرة في أرواحهم ودمائهم في سبيل معتقدهم. وقد لجأت عائلات كثيرة منهم إلى لبنان محتمية بالأمراء الشهابيّين وبموارنة كسروان[2].

على الرغم من كلّ هذا، لم يعمد التيّار الوحدويّ إلى إقامة سلطة دينيّة منفصلة، بل استمرّ في حالة شراكة كاملة مع سلطة الكنيسة الملكيّة الأرثذوكسيّة القائمة آنذاك. ولكنّ الوضع الجديد كان قد بدأ يحتّم على الفريق الكاثوليكيّ إقامة سلطة منفصلة. وقد سنحت الفرصة بذلك عند وفاة البطريرك الأرثذوكسيّ "أثناسيوس الثالث دبّاس[3]"، سنة ١٧٢٤، وشغور الكرسيّ البطريركيّ الأنطاكيّ، إذ عمد الفريق الكاثوليكيّ إلى انتخاب الراهب "سيرافيم طاناس[4]"، ابن أخت الصيفي وتلميذ "مجمع انتشار الإيمان في روما"، بطريركًا بإسم كيرلّس السادس[5] طاناس. وجرت الرسامة في دمشق في ٢٠ ايلول (سبتمبر) سنة ١٧٢٤. ولقد كان البطريرك كيرلّس السادس يصبو إلى أن يكون بطريركًا على جميع الملكيّين، وليس على الفرع الكاثوليكيّ فقط، إلاّ أنّ الأساقفة الأرثذوكس التأموا في سينودوس انتخابيّ في القسطنطينيّة، في يوم الأحد ٢٧ أيلول (سبتمبر) وانتخبوا "سلفسترُس القبرصيّ" بطريركًا على الكرسيّ الأنطاكيّ

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٢٧٦.

٢ ـ ديك اغناطيوس، طائفة الروم الكاثوليك مرجع سابق، ص ٧١ ـ ٧٥.

٣ ـ يُعتبر هذا البطريرك آخر بطريرك مشترك بين الكاثوليك والأرثذوكس.

٤ ـ ذكر يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٧ أنّ اختيار الروم الملكيّين في دمشق لسرافيم طاناس بطريركًا كاثوليكيًا قد جاء لأنّه لا يخشى المجاهرة بمعتقده الكاثوليكيّ.

٥ ـ لا نعلم لماذا اتّخذ هذا البطريرك لقب كيرلّس السادس، مع أنّ الذين سبقوه على كرسي أنطاكية باسم كيرلّس كانوا ثلاثة فقط هم: الأوّل (٢٧٧ ـ ٢٩٩)، الثاني (١٦١٧)، الثالث (١٦٧٤ ـ ١٦٨٨).

الملكيّ[١]. فامتنعت السلطة العثمانيّة عن الإعتراف ببطريركيّة كيرلّس، فيما اعترفت بمنافسه سلفسترُس، ما عرقل أهداف كيرلّس الذي أصبح بطريركًا لفئة من المؤمنين الملاحَقين[٢]. وقد نشبت مقاومة عنيفة للكثلكة في القسطنطينيّة، خصوصًا من قِبَل البطريرك إرميا الثالث (١٧١٦ ـ ١٧٢٦)، الذي ضغط على الكاثوليك في سورية من أجل عدم الاتّحاد مع روما. وفي المقابل، حظّرت روما على الكاثوليك سنة ١٧٢٩ الإشتراك مع الأرثذوكس في الأسرار. فتأزّمت حركة التقارب الدينيّ بين الغرب والشرق[٣]. وإذ لم تكتفِ السلطنة العثمانيّة بالاعتراف بالبطريرك سلفسترُس دون اعترافها بالبطريرك كيرلُّس، زوّدت البطريرك سلفسترُس بفرمانَين: الأوّل يسمح له بتبوّء الكرسيّ الأنطاكيّ وبنفي كيرلّس السادس مع أساقفته ومؤيّديه، والثاني يُلزم رعايا الروم بالخضوع له؛ وتطوّر النزاع إلى عقد مجمع شرقيّ أعلن شرعيّة بطريركيّة سيلفسترُس. عقب ذلك حملة عنيفة شنّها البطاركة اليونانيّون بعد أثناسيوس دبّاس، غير أنّ التيّار الكاثوليكيّ بقي صامدًا[٤]. وأدّت أحداث دامية وقعت في سوريا بين الفريقَين إلى انتقال كيرلُّس وأتباعه إلى جبل لبنان هربًا من الملاحقة، ولجأ البطريرك إلى دير المخلّص حيث أعلن استقلاله عن الكنيسة الأرثذوكسيّة وعن

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٤؛ قابل: حدّاد فريدا، مرجع سابق، ص٥٠ ـ ٥١، حيث جاء أنّه بعد انتخاب سلفسترُس بطريركًا، رفض توقيع صكّ الإتّحاد، ما أدّى إلى انشقاق داخل الكرسي، إذ انتخب دعاة الإتّحاد بطريركًا آخر اسمه سيرافيم ودعوه كيرلُس الرابع؛ فيما ذكر يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٧ أنّ الدمشقيّين قد بادروا إلى انتخاب طاناس ورسامته، لأنّهم كانوا يعلمون أنّ البطريرك أثناسيوس دبّاس قد رشّح قبل وفاته خلفًا له شمّاسه ونسيبه سلفسترُس القبرصيّ الأرثذوكسيّ، وأوصى به الحلبيّين، وقبل سلفسترُس الرسامة الأسقفيّة في القسطنطينيّة في ٢٧ أيلول (سبتمبر) سنة ١٧٢٤ ونال براءة سلطانيّة تعترف به بطريركًا أنطاكيًا، وارتاح الحلبيّون مع بض الرهبان المرسَلين إلى انتخابه، ولاموا تسرّع الدمشقيّين، ولكنّهم ما عتّموا أن غيّروا رأيهم فيه لمّا عرفوا نواياه.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٤.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٢٧٦.

٤ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٦.

تأسيس الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة برئاسة بطريرك[1]، وأقام في الدير تحت حماية الأمير حيدر شهاب وكبير مشايخ الدروز[2]. فتحوّل دير المخلّص إلى "قلعة البطاركة وحصن المطارنة ومدينة الملجأ لكلّ أبناء الطائفة المضطهَدين لأجل الإيمان[3]". وهكذا شهد خريف أنطاكية في العام ١٧٢٤ ظهور بطريركَين على الكرسيّ الملكيّ، أحدهما أرثذوكسيّ تدعمه السلطة العثمانيّة والكرسيّ القسطنطينيّ، والآخر كاثوليكيّ يدعمه المرسَلون اللاتين، والكرسيّ الرومانيّ ولكن بحذر[4]. وانقسمت الطائفة إلى شطرَين، شطر مال إلى كيرلّس الكاثوليكيّ وشطر تبع سلفسترُس الأرثذوكسيّ. ولا يزال هذا الإنقسام حتّى يومنا هذا يفصل الكنيسة الملكيّة إلى قسمَين.

وأقبل البطريرك سلفسترُس سنة ١٧٢٥ إلى سورية واستولى على الكنائس والأوقاف والمدارس[5]. وقد أمضى الفريق الملكيّ الكاثوليكيّ خمس سنوات مليئة بالاضطهادات والملاحقات القانونيّة، وتمّ إقفال كنائس كاثوليكيّة كثيرة ومصادرتها وإبطال أبرشيّات متعدّدة في الأنحاء السوريّة[6]. وتشرّد الأساقفة الكاثوليك، واستعاض البطريرك سلفسترُس عنهم بأساقفة أرثذوكسيّين، فقضوا على الكثلكة في أبرشيّات حمص وطرابلس واللاذقيّة، ولكنّهم لم يستطيعوا أن يزيلوها من حلب ودمشق وبعلبك وصيدا وبيروت. والتجأ أساقفة حلب الكاثوليك إلى لبنان. ولم تتوسّع الكثلكة في ذلك العصر إلاّ في الجليل، حيث كان الحكم بيد الشيخ ظاهر عمر الزيدانيّ (١٧٥٠ ـ

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٤؛ حدّاد فريدا، مرجع سابق، ص٥٠ ـ ٥١.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٧.

٣ ـ الباشا الأب قسطنطين المخلّصي، تاريخ طائفة الروم، مرجع سابق ص٥٣.

٤ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٤.

٥ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

٦ ـ ديك اغناطيوس، مرجع سابق، ص ٧٢؛ المطران باشا، المرجع المذكور، ص ٧٨؛ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٥.

١٧٧٥) المستقلّ عن العثمانيّين والمحامي عن الكاثوليك. وهاجر كثيرون من كاثوليك دمشق وحلب إلى مصر هربًا من تسلّط الأساقفة اليونانيّين وتعسّفهم. واشتدّ الاضطهاد على الكاثوليك في حلب عام ١٨١٨ وقُتل عشرة منهم، واضطرّ بعض كهنتهم إلى الهرب حتّى عام ١٨٢٥، فاهتمّ الكهنة الموارنة بخدمة الروم الكاثوليك[1].

وكان على الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة أن تعاني هاجسًا آخر: اللتننة، ذلك أنّها كانت متمسّكة بالحفاظ على شخصيّتها المشرقيّة وطقوسها المتمثّلة بالتراث الملكيّ البيزنطيّ[2].

تمَركُز البَطرِيَركِيَّة في لُبنَان

منذ ذلك التاريخ وبطريرك الروم الكاثوليك، الذين يُعرفون أيضًا بالروم الملكيّين، يقيم في لبنان في أكثر الأحيان، وإن كان قد أقام في مصر لحقبات منقطّعة. أما المنطقة الرئيسيّة لأتباع هذه الكنيسة فهي مدينة زحلة اللبنانيّة.

كان على البطريرك كيرلُّس السادس طاناس الذي تسلّم السدّة البطريركيّة في ظلّ انقسام واسع في الكنيسة الملكيّة الأنطاكيّة، لضمان ثبات موقعه، الحصول على فرمان التثبيت من السلطنة العثمانيّة، ولتأكيد مصداقية حركته كان عليه أيضًا الحصول على اعتراف روما به. إلاّ أنّه لم يحصل على أيٍّ من هذَين الاعترافَين. فعلى الرغم من أنّه أرسل، فور انتخابه، كتاب خضوعه وإخلاصه للكرسيّ الرومانيّ، تلكّأ البابا بندكتُس

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

٢ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٤.

الثالث عشر (١٧٢٤ - ١٧٣٠) في الاعتراف ببطريركيّته طيلة خمس سنوات. أمّا السلطات العثمانيّة، فلم تعترف ببطريركيّته لأنّها اعترفت بخصمه البطريرك سلفسترُس القبرصيّ المدعوم من قِبَل بطريركيّة القسطنطينيّة والفريق الملكيّ الأرثذوكسيّ وحتّى من قِبَل بعض كاثوليك حلب[1]. أمّا في لبنان، فقد صمد البطريرك كيرلّس السادس مع مؤيّديه على الرغم من الطعن بشرعيّة انتخابه[2]، واتّهام الروم الكاثوليك "المنفصلين" والبعثة اليسوعيّة بإدخال المنطقة في جوّ مشحون بالمؤامرات على الباب العالي[3]. هذا الصمود أمّنه لهم الأمراء الشهابيّون الذين كانوا يحكمون لبنان بانفتاح، فكان واحة للحريّة. وهذا ما جعل الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة تنعم في لبنان بالهدوء طيلة خمس سنوات، حتّى صدور قرار الكرسيّ الرسوليّ، في ١٥ آذار (مارس) ١٧٢٩، بتثبيت كيرلُّس السادس بطريركًا شرعيًّا على كنيسة أنطاكية الملكيّة. وقد أُرفق قرار التثبيت بعدّة مراسيم تُلزمه بحفظ الأصوام والقطاعات والطقوس والعوائد الشرقيّة، وتمنع اشتراك الكاثوليك في القدسيّات مع غير الكاثوليك. فوافق البطريرك على كل هذه المراسيم، وأبرز قسمه بحفظها والعمل بموجبها، أمام مندوب البابا الأب "دوروثاوُس الكبّوشيّ" في احتفال كبير جرى في كنيسة دير المخلّص

---

١ - إستقبل بعض كاثوليك حلب البطريرك سلفسترُس بحفاوة في محاولة لاتّقاء ملاحقتهم، لكنّ كنيستها تصدّت له عندما حاول أن يفرض عليها آراءه المعادية لروما، فتمكّنت المدينة، بما لها من نفوذ، من التحرّر من سلطة البطريرك الأرثذوكسيّ الأنطاكيّ ومن الالتحاق مباشرة بالقسطنطينيّة بواسطة أسقف معيّن من قِبَلها - الباشا الأب قسطنطين المخلّصيّ، تاريخ طائفة الروم، مرجع سابق، ص٥٣.

٢ - رستم، مدينة الله، مرجع سابق، ٣: ١٤٢.

٣ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٥، عن: مقال غير موقّع نُشر في "الرسالة - نشرة أبرشيّة جبيل والبترون للروم الأرثذوكس، السنة الأولى، العدد الأول، تمّوز (يوليو) ١٩٨١، ص ١٦، بعنوان "لمحة حول تاريخ الكرسيّ الأنطاكي"، ويضيف المقال المذكور "أنّ الذي ساعد في تثبيت "الانشقاق" هو مصالح الدول الغربيّة الاقتصاديّة في الشرق" و"أنّه دعمًا لتلك المصالح قامت الكنيسة الملكيّة في إدارة كنيسة مستقلّة استقلالاً تامًّا عن الكرسيّ الأنطاكيّ".

بتاريخ ١٤ نيسان (إبريل) ١٧٣٠[١]. وفيما يأخذ باحثون على البطريرك كيرلّس أنّه قد غالى في الخضوع التامّ لروما، وتعهّده بمنع الكاثوليك من الاشتراك في القدسيّات مع الأرثذوكس، ويرون أنّ هذا ما أدّى إلى سلخ فريق كبير من المؤمنين عن إخوانهم وعائلاتهم وكنائسهم وطقوسهم، وجعل الكاثوليك عرضة للاضطهادات من قِبَل بطاركة اليونان والسلطة العثمانيّة[٢]، يبرّر آخرون ذلك الخضوع بأنّه كان ضروريًّا، "حرصًا على سلامة الإيمان الصحيح الذي هو الركن الأوّل والأوحد في الدين[٣]".

وفي أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٧٣١، عقد البطريرك طاناس مجمعًا في "جون" حضره أربعة من أساقفة الكنيسة الثمانية لدرس موضوع "القطاعات"، وقرّروا أن لا سبيل إلى العودة إلى القطاعات التي كان قد ألغاها المطران الصيفي، ووضعوا نظامًا جديدًا للصوم قبل الأعياد (البارامون) تشدَّد البطريرك في تنفيذه، على الرغم من معارضة الرهبان المخلّصيّين والحنّاويّين. إلى أن تدخّلت روما، في ٢٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٧٣٢، وألغته. وهذا ما أدّى إلى تأخير تسليم "الباليوم[٤]" إلى البطريرك حتّى سنة ١٧٤٤، وكان البابا بندكتُس الرابع عشر قد أصدر في ٢٤ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٧٤٣ براءته الرسوليّة لكنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك، "لتكون سورًا منيعًا لكرامتها يمنع تعدّي مَن كانت نفوسهم تسوّل لهم التعدّي عليها وعلى حقوقها

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ١٥٥ عن: الباشا الأب قسطنطين المخلّصيّ، تاريخ طائفة الروم الملكيّة والرهبانيّة المخلّصيّة، القسم الثاني، المطبعة المخلّصيّة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ص ٨٦ ـ ١٠٠، ٢٢٥ ـ ٢٣٨.

٢ ـ الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ٨ ـ ٩.

٣ ـ الباشا، تاريخ طائفة الروم، مرجع سابق، ٢: ٢٥٢.

٤ ـ **باليوم** PALLIUM: إسم أعطاه الرومان للمعطف الإغريقيّ، أضحى إسمًا لوشاح مزيّن بالصلبان يمنحه البابا للبطاركة إشارة تثبيت لهم في بطريركيّتهم.

لاعتبارهم أنّها مستضعفة مضطهدة من سلطان الزمان ورجال دولته ومن بطاركة اليونان ومطارنتهم وأعيانهم"[1].

لم ينتظر البطريرك كيرلُّس طاناس "البااليوم" ليقوم بنشاطه الراعويّ، بل رسم أساقفة للأبرشيّات الشاغرة، وهم: مكسيمُس حكيم[2] أسقف على كرسيّ حلب سنة ١٧٣٢، وأثناسيوس الدهّان على كرسيّ بيروت سنة ١٧٣٦[3]. وفي هذه السنة عقد مجمعًا في دير المخلّص لدرس موضوع توحيد الرهبانيّتَين المخلّصيّة والحنّاويّة، إلاّ أن الوحدة لم تتمّ[4].

بعد حصول البطريرك كيرلّس السادس على البركة الرسوليّة سنة ١٧٤٣، وعلى الباليوم سنة ١٧٤٤، تُوجّت مساعي الكرسيّ الرسوليّ وفرنسا والنمسا سنة ١٧٤٥، بصدور فرمان سلطانيّ يسمح للبطريرك بإدارة شؤون كرسيّ أنطاكية للكنيسة

---

١ ـ الباشا، تاريخ طائفة الروم، مرجع سابق، ٢: ٢٩١؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

٢ ـ **مكسيمُس حكيم** (ت١٧٦٠): راهب ملكيّ كاثوليكيّ حنّاويّ، تتلمذ على يد بطرس التولاويّ المارونيّ خرّيج روما، رئيس عام للرهبانيّة، متروبوليت حلب ١٧٣٢، من رجال النهضة الفكريّة، وضع مع الراهب الحنّاويّ الشاعر والأديب **نيقولاوس صايغ** (ت١٧٥٦) الليتورجية الملكيّة الوحيدة غير المنقولة عن اليونانيّة: "الخدمة الليتورجيّة الكاملة لعيد الجسد" التي كانت مستوحاة من عمق التراث الشرقيّ الروحيّ واللاهوتيّ مع شيء من الانفتاح على اللاهوت الغربيّ، وأمر بإقامة هذا العيد، بطريرك باسم مكسيمُس الثاني ١٧٦٠ ـ ١٧٦١.

٣ ـ **البطريرك أثناسيوس الدهّان**، وُلد في بيروت ١٦٩٨، دخل الرهبانيّة الشويريّة وفيها نذر نذوره سنة ١٧٢٣، سيم مطرانًا على أبرشيّة بيروت ١٧٣٦، في عهده تنازل الكاثوليك عن حقّهم في إقامة الفروض المقدّسة في كاتدرائيّة القدّيس جاورجيوس وتخلّى الأرثذوكس عن قطعة أرض مجاورة للكاتدرائيّة أقام عليها الكاثوليك كاتدرائيّة مار الياس النبيّ، تمكّن، في سنة ١٧٤٢، من استرجاع دير مار سمعان العموديّ في وادي الكرم، التابع لمطرانيّة بيروت بواسطة الأمير سليمان ابن الأمير حسن اللمعيّ، وجعله مقرًّا صيفيًّا لمطران الكاثوليك في بيروت، خلف المطران مكسيموس حكيم سنة ١٧٦١ على الكرسيّ البطريركيّ ودُعي ثاودوسيوس السادس.

٤ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٥؛ عن: USSET HENRI, *HISTOIRE DU CHRISTIANISME SPÉCIALEMENT EN ORIENT*, T. II, IMP. DES PP. FRANCISCAINS, (JÉRUSALEM, 1948) P. 177.

الملكيّة[1]. فاسترجع البطريرك كيرلّس كرسي دمشق لمدة شهرَين، تمكّن بعدها البطريرك سلفسترُس من تجديد فرمانه وطرد كيرلّس من دمشق ومباشرةِ فصلٍ جديد من فصول الاضطهاد ضدّ الكاثوليك. وعاد كيرلّس السادس إلى لبنان حيث مارس مهامّه انطلاقًا من الدار البطريركيّة في دير المخلّص، وتابع عمله في إدارة شؤون الملكيّين الكاثوليك، فعقد عدّة مجامع كنسيّة التأم جميعها في مقرّه، تناولت بعض الأمور التهذيبيّة والطقسيّة وتجديد أحكام بعض القوانين[2].

مُشكِلَةُ خِلافَةِ

البَطريَركِ الأوّل

شكّلت وفاة أوّل بطريرك لكنيسة الملكيّين الكاثوليك، كيرلّس السادس طاناس في ٣٠ كانون الأوّل (ديسمبر) عام ١٧٥٩، خطرًا حقيقيًّا على استمرار البطريركيّة الكاثوليكيّة الفتيّة التي واجهت حملة من الاضطهادات، كادت أن تقضي عليها لولا ثبات رهبانها وشجاعتهم ودعمهم من قِبَل الأمراء الشهابيّين. كما واجهت خطرًا داخليًّا تجسّد في الخلافات التي نشبت حول الكرسيّ البطريركيّ ومعارضة قسم من الأساقفة للبطريرك المنتخَب خلفًا للراحل سنة ١٧٥٩، وهو أثناسيوس جوهر[3]. إلاّ أنّ الكرسيّ الرسولي ّبادر إلى إلغاء انتخاب جوهر وعيّن مكسيمُس الثاني حكيم* بطريركًا

---

١ - KARALEVSKIJ P. CYRILLE, *ANTIOCHE*, ART. DANS: DICTIONNAIRE D'HISTOIRE ET DE GÉOGRAPHIE ECCLÉSIASTIQUES, T. III, LIB. LETOUZEY ET ANÉ, (PARIS,1924) COL 648 - 649.

٢ - حول المجامع راجع: باشا، تاريخ طائفة الروم، مرجع سابق، ٢: ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩ - ٣٥١؛ مختصر تاريخ طائفة الروم المكيّين الكاثوليكيّين، المطبعة الأدبيّة (بيروت، ١٨٨٤) ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

٣ - حول ظروف انتخاب جوهر، راجع: BACEL P. PAUL, UNE PÉRIODE TROUBLÉE DE L'HISTOIRE DE L'EGLISE MELKITE (1759-1794), ART. DANS: ECHOS D'ORIENT, T.XIV (1911), PP. 340-351.

في أوّل آب (أغسطس) ١٧٦٠. غير أنّ وفاته السريعة، في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٦١، أعادت الصراع إلى الواجهة. فتنادى أساقفة المعارَضة وانتخبوا ثاودوسيوس الخامس دهّان بمباركة روما. ولكنّ جوهر عمد إلى جمع أنصار البطريرك الراحل طاناس الذين أعادوا انتخابه بطريركًا، فوقعت البطريركيّة الملكيّة الكاثوليكيّة في فوضى عارمة كادت أن تطيح بكلّ الانجازات التي تحقّقت منذ العام ١٧٢٤[١]. وإذ لم تلاقِ روما تجاوبًا من قِبَل أثناسيوس جوهر لدى تدخّلها لحلّ الأزمة، رشقته بالحرم هو وأنصاره وقطعتهم من الشركة الكاثوليكيّة، ما دفع بالكثيرين من أنصار جوهر إلى الارتداد عن الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة في دمشق وبيروت وحمص وطرابلس[٢]. لكنّ الوئام عاد إلى البطريركيّة بعدما تصالح الدهّان وجوهر سنة ١٧٦٨، فتابع البطريرك الدهّان ولايته بسلام. وفي عهده صدر عن مجمع انتشار الإيمان، في ١٣ تمّوز (يوليو) سنة ١٧٧٢، بموافقة البابا اقليمنضُس الرابع عشر (١٧٦٩ ـ ١٧٧٤)، قرار بضمّ الاسكندريّة وأورشليم إلى ولاية البطريرك الأنطاكيّ. وإثر وفاة البطريرك الدهّان، سنة ١٧٨٨، انتخب الأساقفة هذه، المرّة جوهر، بطريركًا قانونيًّا باسم أثناسيوس الرابع جوهر[٣]، فجلس حتّى وفاته سنة ١٧٩٤، وأصدر عدّة قوانين منها أنّه رفع أسقفيّة حلب إلى مقام "المتروبوليتيّة"[٤]. ثمّ تعاقب من بعده سلسلة بطاركة من دون مشاكل.

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٧.

٢ ـ مختصر تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٧؛ حول حقبة الأزمة البطريركيّة راجع: BACEL, OP. CIT. PP. 49-60, 226-233.

٤ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

يرى مفكّرون معاصرون في الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة أنّ دور أبناء الروم الكاثوليك في المجتمعات التي يعيشون فيها، هو مكمّل لدور الروم الملكيّين قبل عام ١٧٢٤. ومن الطبيعيّ أن يبرز في حقبة مبكّرة رجال الإكليروس لأنّهم الوحيدون الذين كانوا مؤهّلين للقيام بالدور الثقافيّ والفكريّ إنطلاقًا من الامكانات التي كانت متوفّرة لهم ولم تتوفّر لأبناء الرعايا. لذلك نجد معظم الرعيل الأول ممَّن رافق انطلاقة النهضة الثقافيّة، في مطلع القرن الثامن عشر، هم من الإكليروس أمثال ملاتيوس كرمة متروبوليت حلب، والإيقونومس ميخائيل بجع، والبطريرك مقاريوس الثالث الحلبّي، الذين غرفوا من الليتورجية والتاريخ والخطب الدينيّة.

وبرز في حقبة لاحقة من القرن نفسه من أبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة أعلام ورد ذكر بعضهم في مجال التأريخ أعلاه، إضافة إلى أدباء ومؤلّفين أمثال القسّ ثاوفيلس فارس قب (ت١٧٤٨)، والخوري يواكيم مطران قب (ت١٧٦٧)، والمؤرّخ الأب يوحنّا العجيمي (ت١٧٨٥)، والراهب المخلّصيّ يوسف بابيلا (ت١٧٨٧)، وسواهم من المفكّرين والأدباء والشعراء.

قَــــرنُ
المُعانَاة

تعاقب على السدّة البطريركيّة، بعد أثناسيوس الرابع جوهر (١٧٨٨ ـ ١٧٩٤)، خمسة بطاركة لم تطل ولاية أيّ منهم. كان أوّلهم كيرلّس السابع سياج (١٧٩٤ ـ ١٧٩٦) وكان راهبًا مخلّصيًّا، ثمّ رئيس أساقفة حوران شرقًا منذ ١٧٦٣، وتوفّي في ٢٦ تمّوز (يوليو) ١٧٩٦ "وكان مزدانًا بالاتّضاع والإستقامة وحسن الطويّة". خلفه أغابيوس الثاني مطر (١٧٩٦ ـ ١٨١٢) وكان هو الآخر راهبًا مخلّصيًّا، سافر إلى أوروبّا يوم كان مدبّرًا للرهبانيّة بهدف جمع الإعانات لإصلاح حالة الأديار التي نهبها

سنة ١٧٧٧ جنود الجزّار والي عكّا. واشترى أثناء بطريركيّته سنة ١٨١١ دارًا واسعة في "عين تراز [١]"، وجعلها مدرسة إكليريكيّة. وقد اشتهر في عهده المطران "جرمانوس آدم" متروبوليت حلب (١٧٧٧ ـ ١٨٠٩) بتآليفه اللاهوتيّة وكتاباته الكثيرة. وقد شذّ في بعضها ومال إلى المبادئ اللاهوتيّة المتطرّفة المعروفة بالتعاليم "الغاليكانيّة" التي اقتبسها عن أقوال مطران مدينة "بستوا" الإيطاليّة [٢]. وخلف أغابيوس مطر، بعد وفاته، اغناطيوس الرابع صرّوف (١٨١٢) [٣]، الذي كان راهبًا شويريًّا، توفّي بعد أقلّ من عام على جلوسه، فخلفه لعام واحد أيضًا راهب مخلّصيّ باسم أثناسيوس الخامس مطر (١٨١٣)؛ الذي خلفه راهب مخلّصيّ أيضًا باسم البطريرك مكاريوس الرابع طويل (١٨١٤ ـ ١٨١٥). فلم يتمكّنوا من القيام بإنجازات تذكر [٤]. ثمّ انتخب في العام ١٨١٦ البطريرك اغناطيوس الخامس القطّان، الذي دامت ولايته ١٧ سنة (١٨١٦ ـ ١٨٣٣).

على مدى تلك الحقبة، وتلك التي سبقتها منذ تأسيس الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة على يدّ البطريرك كيرلّس السادس طاناس في خلال الربع الأوّل من القرن الثامن

---

١ ـ **دير عين تراز:** بناه البطريرك أغابيوس مطر (١٧٩٦ ـ ١٨١٢) في قرية عين تراز من أعمال قضاء عاليه في محافظة جبل لبنان ليكون إكليريكيّة، وبقي كذلك في مراحل الهدوء التي تخلّلت القرن التاسع عشر، نُهب في أحداث ١٨٤٢ و١٨٤٥ وأُعيد فتحه ١٨٧٠، سوف يحوّل في عهد البطريرك مكسيموس الصائغ (١٩٤٧ ــ ١٩٦٧) إلى مقرّ صيفيّ للبطريركيّة، جسّد تراث كنيسة الروم الكاثوليك بالنظر للسينودسات العديدة التي عُقدت فيه، ولمكتبته الثمينة بالمخطوطات والوثائق التي تعرّضت، مع الأسف، للنهب والسرقة في خريف ١٩٨٣ في حين تعرّض الدير للقصف والحريق فدُمّرت أجزاء منه.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

٣ ـ **اغناطيوس صرّوف:** ورد في كتاب: "حبيب باشا، عشرون عامًا ميتروبوليتًا على بيروت وجبيل وتوابعهما ١٩٧٥ ــ ١٩٩٥"، أنّ اغناطيوس صرّوف انتُخب بطريركًا سنة ١٨١٢ ودُعي اغناطيوس الخامس، وليس الرابع كما ورد، في عهده فُصلت جبيل مجدّدًا عن بيروت سنة ١٧٩٨ وعُيّن عليها المطران اكليمنضوس بيدروس، وبعد وفاته سنة ١٨١٢ ضُمّت إلى بيروت ولا تزال حتّى اليوم.

٤ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، المرجع السابق، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

عشر، عانت تلك الكنيسة جملة عذابات كان سببها الأساسيّ أمرَين: عدم رضى الكنيسة الأرثذوكسيّة عن رضوخها لبابا روما، وعدم الاعتراف بها من قِبَل السلطنة العثمانيّة. والأمران في الواقع يجتمعان في معادلة واحدة. ذلك أنّه منذ استولى العثمانيّون على القسطنطينيّة في أوائل القرن السادس عشر، أصبح بطريرك القسطنطينيّة بطريرك الدولة العثمانيّة[1]. إذ ما كاد محمّد الفاتح يستولي على القسطنطينيّة سنة ١٤٥٣، حتّى أدرك أنّ خير وسيلة للسيطرة على الشعوب المسيحيّة الخاضعة لسلطانه، إنّما هي تقوية مركز البطريرك القسطنطينيّ وتوسيع سلطته الروحيّة. فرسم بأن تخضع له جميع الشعوب التابعة للطقس البيزنطيّ، ومنعها من الإلتجاء إلى رئيس روحيّ آخر. فأضحى البطريرك القسطنطينيّ كأنّه "بابا الشرق" تدعم سلطته الدولة العثمانيّة الشاسعة الأطراف. ونصّب السلطان جناديوس بطريركًا على القسطنطينيّة وفق المراسيم المعهودة لدى أباطرة الروم، فاتّخذ البطريرك الجديد كنيسة الرسل مقرًّا له، لأنّ العثمانيّين حوّلوا كنيسة "آجيا صوفيا" إلى مسجد، ثمّ أصدر السلطان فرمانًا أكّد به للروم على أنّه يحترم كنائسهم ومعابدهم ويمنحهم الحريّة المطلقة في ممارسة شعائرهم الدينيّة. واعتادت الحكومة العثمانيّة، بعد ذلك، أن تأخذ من كلّ مرشّح إلى البطريركيّة مبلغًا من المال. وازداد المبلغ على كرّ الأيّام حتّى أضحى عبئًا ثقيلاً ناء به كاهل كنيسة القسطنطينيّة. وفرض السلطان على البطريرك، علاوة على ذلك، أن يدفع له كلّ سنة كميّة محدودة من المال، فإنْ امتنع عن دفعها أقاله ونصّب غيره[2].

---

١ - راجع: DE TESTA I., *RECUEIL*, V: 170; APPENDIX I., NÉALE J., *PATRIARCHATE OF ANTIOCH*, P. 194

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٢٧٥.

أمام هذا الواقع، كان من الطبيعيّ ألاّ يوافق العثمانيّون بسهولة على انفصام الكنيسة الأرثذوكسيّة، وإن في أنطاكية، والتحاقها ببابا روما، في وقت كان الصراع السياسيّ والعسكريّ على أشدّه بين السلطنة والغرب. وهكذا فعندما كان الأرثذوكس يقاومون الكنيسة التي انشطرت عنهم باتّجاه روما، كانت السلطنة تتدخّل دائمًا لصالح الأرثذوكس. وقد تحدّث مؤرّخو الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة عن اضطهادات تعرّضوا لها من قِبَل الأرثذوكس المدعومين من السلطنة، نتج عنها القضاء على حركة الكثلكة في أبرشيّات حمص وطرابلس واللاذقية. وخسر الكاثوليك معظم الكنائس والأوقاف والمدارس في سورية، كما ذكرنا سابقًا. وإذ عرفت حلب وحدها كيف تصمد ببسالة، رسخت فيها الكثلكة وتأصّلت[1]. كما تمكّنت دمشق من المواجهة بمساعدة الرهبانيّة الفرنسيسكانيّة والرهبان المخلّصيّين الذين خدموا رعيّة دمشق بشجاعة متخطّين كلّ الصعوبات والمضايقات والاضطهادات. أمّا في لبنان، فقد صمدت الكثلكة في بعلبك وصيدا، وشكّل جبل لبنان والجليل "السياج الواقي للملّة"[2]. ويقول مؤرّخو الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة إنّ معظم المناطق الواقعة شمالي بيروت، باستثناء حلب، قد تبعت، في تلك الحقبة، كنيسة الروم الأرثذوكس. أمّا المناطق الواقعة جنوبيّ بيروت، مع دمشق والقلمون وحوران، فقد ثبتت فيها الكثلكة ونمت[3]. وهكذا توزّعت الرهبانيّتان المخلّصيّة والحنّاويّة واجب خدمة الرعايا. فالأولى اهتمّت برعايا صور وصيدا وعكّا وحيفا ويافا وبانياس والبقاع ودمشق وحوران وجبل القلمون انطلاقًا من دير المخلّص، والثانية اعتنت برعايا حلب وبيروت وحمص وكسروان انطلاقًا من دير مار يوحنّا

---

١ ـ راجع: باشا، تاريخ طائفة الروم، مرجع سابق، ٢: ١٣٦ ـ ١٨٩.

٢ ـ يتيم وديك، مرجع سابق، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٠٠.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٥٨، بالاستناد إلى: KARALEVSKIJ, OP.CIT., COL. 648

الصابغ في الشوير. فيما كان عدد الكاثوليك يزداد ضعفًا وتلاشيًا بسبب الضغوطات المتنوّعة التي أجبرتهم على الهجرة أو على الانضمام إلى كنائس أخرى. ومن جملة تلك المضايقات أنّه كان على الشعب الكاثوليكيّ أن يدفع رسومًا مضاعفة للكنيسة، كرسوم "النوريّة" و"العماد" و"الإكليل" و"الجنّاز"، إذ كان عليه أن يدفع تلك الرسوم للإكليروس الكاثوليكيّ، وللإكليروس الأرثذوكسيّ أيضًا، لأنّ السلطنة العثمانيّة لم تكن تعترف بالفريق الأوّل، فلم يكن بوسعه القيام بالمعاملات الرسميّة الخاصّة بالأحوال الشخصيّة إلاّ من خلال الكنيسة الأرثذوكسيّة. وكثيرًا ما كان يتعرُّض الكاثوليك، شعبًا وإكليروسًا، لسوء المعاملة من قِبَل الموظّفين في الدوائر الرسميّة، ما يضطرّهم غالبًا إلى دفع رسوم مضاعفة، من مال الخراج أو مال الجزية للدولة العثمانيّة، حماية لواقعهم "الإنفصاليّ". هذه الأحوال، كانت تجبر الكاثوليك على تصفية "تركة الميت" و"حصر إرثه" في أقاربه وتوزيع الحصص عليهم قبل دفنه، أو بالأحرى قبل الإبلاغ عن وفاته[1].

بقي الحال على هذا المنوال حتّى سنة ١٨٣٠، إذ جاءت المعاهدة التي أنهت حرب الإستقلال اليونانيّة، فضغطت الدول الغربيّة على السلطان العثمانيّ لكي يعترف بالنظام الخاصّ بالكاثوليك الشرقيّين، بحيث لم يعد للبطاركة الأرثذوكس أيّة سلطة عليهم[2]. وقد عيّن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) سنة ١٨٣٠، ناظرًا علمانيًّا من أبناء الكنيسة الأرمنيّة الكاثوليكيّة للاهتمام بشؤون الروم الكاثوليك، بعد نجاح مساعي الحكومتَين الفرنسيّة والنمساويّة. وفي العام التالي، تمّ تعيين كاهن من أبناء الكنيسة الأرمنيّة نفسها، يُدعى "أغوب تشوركوريان" لذات المهمّة، وقد عُرف بـ"البطريرك

---

١ ـ الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٧ ـ ١٩.

٢ ـ ديك اغناطيوس، مرجع سابق، ص ٧١ ـ ٧٥.

الأرمنيّ" لأنّه أخضع لسلطته جميع الطوائف الكاثوليكيّة العثمانيّة[1]. وفي آخر عهد البطريرك أغناطيوس الخامس القطّان (١٨١٦ ـ ١٨٣٣) تقهقرت أحوال البطريركيّة بسبب عجزه وعماه[2].

قبل ذلك التاريخ، كان قد عُقد مجمع ملكيّ كاثوليكيّ في دير القرقفة[3] في ٤ آب (أغسطُس) ١٨٠٦ برئاسة البطريرك أغابيوس الثاني مطر (١٧٩٦ ـ ١٨١٢) حضره مطارنة الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة وأبرزهم: جرمانوس آدم[4]، ورئيسا الرهبانيّتَين المخلّصيّة والشويريّة وممثّل عن كلّ من دمشق والقاهرة وحلب. وفي الخامس عشر من الشهر نفسه صدرت مقرّرات المجمع ومهرها جميع الأعضاء بتواقيعهم، فسارع المطران آدم إلى طبعها في مطبعة مار يوحنّا الشوير. غير أنّ بعضًا من الأساقفة ومن المشتغلين في الطباعة قد لاحظ أنّ في تلك المقرّرات بعض الآراء الجريئة المخالفة للتعاليم الكنسيّة، فرفعوا احتجاجًا إلى البطريرك، وتوقّف العملة عن الطبع. وقد تبيّن في ما بعد أن آدم كان أقدم على نصّ القرارات بإنشائه الشخصيّ، وأضاف إليها ما أضاف دون علم المجمع الذي وقّع أعضاؤه على المقرّرات من دون قراءتها. فتدخّل البطريرك مع آدم لإصلاح الخطأ، ولكن دون جدوى. ولم يرعوِ آدم إلاّ بناء على طلب من الأمير بشير الثاني الشهابيّ، ولكنّه اكتفى بإجراء بعض التعديلات على نقاط

---

١ ـ إندراوس الأب الياس، الكنائس الشرقيّة البيزنطيّة، المطبعة البولسيّة (حريصا ـ لبنان،١٩٣١)، ص ٢٥١.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

٣ ـ **دير القرقفة:** سنة ١٧٦٣، إشترت الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة مزرعة القرقفة في خراج بلدة كفرشيما من الأمير علي الشهابيّ بثمن رمزيّ، وعمّرت فيها ديرًا على إسم القدّيس أنطونيوس ١٧٦٥، ويفيد نقش على بلاطة رخاميّة في جوار الكنيسة الشماليّ أنّ بناءها قد جُدّد ١٧٦٩.

٤ ـ **جرمانوس آدم** (ت١٨٠٩): لاهوتيّ ملكيّ كاثوليكيّ، حاربته روما وحرّمت كتبه بسبب خروجه على مقرّرات المجامع الملكيّة كما سيأتي.

محدودة، وعرض النصّ الجديد على بطريرك الموارنة يوسف التيّان، وعلى الأب "غوندلفي" رئيس مدرسة عينطورة الذي كان قاصدًا رسوليًّا على الموارنة يومئذ. ومنعًا للإنشقاق، وافق عليه كلّ من البطريرك والقاصد الرسوليّ في شباط (فبراير) ١٨٠٩ وهما عالمان بما ينطوي عليه من أخطاء. وطبعت موافقتهما على أوّل صفحة من الكتاب بقصد ترويجه وتخفيفًا من حدّة المعارضين[١]. ولكنّ روما قد حسمت الجدل بعد حين وألغت مقرّرات ذلك المجمع.

١ - عقل أندره، تاريخ مار أنطونيوس القرقفة، مخطوط، (كفرشيما - لبنان ١٩٧٠)

الفَصلُ الثَّالِث

عَهدُ تحرُّرٍ وازدِهَار

ثَلاثُ مَراحِل؛

البَطرِيَرك مكسيمُس الثالث مظلوم؛

البَطرِيَرك اقليمنضُس بَحُّوث؛

البَطرِيَرك غريغوريُوس يوسُف الأوّل سيُّور؛

أعلامَ القَرن التّاسِع عَشر.

ثَلاثُ مَراحِل

يعتبر باحثون[1] في موضوع الكنيسة الملكيّة الكاثوليّة الحقبة الواقعة بين بداية العقد الرابع من القرن التاسع عشر ونهاية ذلك القرن، "عهد تحرّر وازدهار". ويقسمون تلك الحقبة إلى ثلاث مراحل: زمن التحرّر والاستقلال في عهد البطريرك مكسيمُس الثالث مظلوم (١٨٣٣ ـ ١٨٥٥)؛ أزمة الحساب الغريغوريّ في عهد البطريرك اقليمنضُس بحّوث (١٨٥٦ ـ ١٨٦٤)؛ ومرحلة الازدهار في عهد البطريرك غريغوريوس يوسف الأول سيّور (١٨٦٤ ـ ١٨٩٧). ويفصّلون ذلك على النحو التالي:

البَطريَرك مكسيمُس الثالث مظلُوم (١٨٣٣ ـ ١٨٥٥)

كانت كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك، عشيّة وفاة البطريرك اغناطيوس الخامس القطّان (١٨١٦ ـ ١٨٣٣)، تعاني أزمة حادّة: فالكرسيّ البطريركيّ يترنّح عاجزًا بسبب شيخوخة البطريرك ومرضه، والأبرشيّات شاغرة، والإكليروس غير كفوء. والكراسي المهمّة، كدمشق وحلب، معزولة عن لبنان، والشعب يتململ من جرّاء تحمّله أعباء الاضطهاد والضغط الماديّ. في هذه الظروف القاسية توفّي القطّان في ١٣ آذار

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٥٩.

(مارس) ١٨٣٣. فالتأم السينودس المقدّس، في ٢٣ آذار (مارس)، في دير القدّيس جاورجيوس[١] في بمكّين[٢] المعروف بدير الشير، وانتخب بالإجماع مكسيمُس مظلوم[٣] متروبوليت حلب ومدير إكليريكية "عين تراز*" بطريركًا باسم مكسيمُس الثالث[٤]. فكان هذا البطريرك مجاهدًا كبيرًا امتدّت نشاطاته إلى أكثر من صعيد، وأضاف إلى لقبه الأنطاكيّ لقب "بطريركيَّتَي أورشليم والإسكندريّة"، هذا بعد أنّ نظّم البطريركيّة وعمل على رفع المستوى الروحي في صفوف الإكليروس والشعب[٥]. وهو الذي حرّر الطائفة الملكيّة الكاثوليكيّة من تبعة الطائفة الأرثذوكسيّة.

كان مظلوم، وهو حلبيّ الأصل، من تلاميذ المتروبوليت جرمانوس آدم. رقّاه إلى الدرجة الأسقفيّة سنة ١٨١٠ البطريرك أغابيوس مطر، فلم ترضَ به في حلب الفئة التي كانت تقاوم تعاليم آدم، ورفعت قضيّته إلى الدوائر الرومانيّة. وإذ لم يستطع أن يتسلّم كرسيّ أبرشيّته، عيّنه البطريرك أثناسيوس مطر وكيلاً له في روما، فتوجّه إليها سنة ١٨١٣ وبقي في أوروبّا ثماني عشرة سنة نهايتها سنة ١٨٣١، أسّس في خلالها خورنيّة مرسيلية الملكيّة سنة١٨٢٠. ولمّا كان البطاركة الكاثوليك يرغبون في عودة الرهبان اليسوعيّين إلى الشرق، عرض المطران مكسيموس مظلوم على مجمع انتشار

---

١ - **دير القدّيس جاورجيوس:** أنشأته الرهبانيّة الباسيليّة الحنّاويّة ١٧٥٠، عند تقسيم الرهبانيّة ١٨٢٩ أصبح من نصيب الرهبانيّة الباسيليّة الحلبيّة وأصبح الدير الرئاسيّ لها.

٢ - **بمكّين:** قرية بين مدينة عاليه وسوق الغرب في قضاء عاليه من محافظة جبل لبنان، يملك أكثر عقاراتها دير مار جرجس المعروف بدير الشير للرهبانيّة الباسيليّة الحلبيّة الكاثوليكيّة، ترتفع عن ٨٠٠م. سطح البحر وتبعد مسافة ٢٠ كلم عن بيروت عبر عاليه - عين الرمّانة - مفرق بمكّين.

٣ - **مكسيمُس مظلوم** (ت١٨٥٥): بطريرك ملكيّ كاثوليكيّ ولاهوتيّ ونحويّ وأديب ومفكّر ومربٍّ، وُلد في حلب، بطريرك ١٨٣٣ - ١٨٥٥، من مؤلّفاته: "الأصول الصرفيّة والقواعد النحويّة"، "القواعد الرضيّة في المسائل الفرضيّة".

٤ - ديك اغناطيوس، مرجع سابق، ص ٧١ - ٧٥.

٥ - ديك اغناطيوس، مرجع سابق، ص ٧١ - ٧٥.

الإيمان أن يرافقهم إلى سوريا، ورضي بذلك البابا غريغوريوس السادس عشر. فسافر مكسيمُس مع ثلاثة رهبان يسوعيّين، ووصل إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٣١، واهتمّ فورًا بتنظيم مدرسة عين تراز الإكليريكيّة، وبقي فيها اليسوعيّون مدّة من الزمن ثمّ غادروها إلى بكفيّا[1].

وهكذا فعندما توفّي البطريرك اغناطيوس القطّان، توجّهت أبصار الجميع نحو هذا الأسقف النشيط، فانتخبوه بطريركًا في ٢٤ آذار (مارس) ١٨٣٣.

كان البطريرك مظلوم مطّلعًا على أوضاع كنيسته الصعبة يوم كان في أوروبا طيلة ١٨ سنة (١٨١٣ ـ ١٨٣١)، حيث سعى، سنة ١٨١٨، مع الكرسيّ الرسوليّ، والدول العظمى، كالنمسا وبروسيا، وبعض الشخصيّات الملكيّة في القسطنطينيّة، لتحرير الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة من سيطرة بطريركيّة القسطنطينيّة تحريرًا تامًّا؛ ولإعادة الكهنة المنفيين إلى مراكزهم؛ وللاعتراف بالاستقلال الدينيّ والمدنيّ للكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة لأنّها متميّزة تمامًا عن الكنيسة الأرثذوكسيّة، ولضمان الحريّة الداخليّة التامّة لأساقفة هذه الكنيسة إكليروسًا ومؤمنين، في المملكة العثمانيّة، على مثل ما تتمتّع به الكنيسة الأرثذوكسيّة، فيقيم الأساقفة في ما بين رعاياهم بدون أيّ معارضة من الجانب الأرثذوكسيّ؛ وللترخيص لهذه الكنيسة بأن تحوّل، حيث لا كنائس لها، بعض البيوت الخاصّة إلى معابد لإقامة الصلوات والشعائر الدينيّة؛ وللامتناع عن إثارة أيّ اضطهاد في المستقبل ضدّها، بعد أن تكون قد استعادت حقوقها وكرامتها وكامل استقلالها. لكنّ الظروف حينذاك والأحوال السياسيّة لم تكن مؤاتية لتحقيق هذا البرنامج، وجُلّ ما تمكّن من تحقيقه هو الحصول على أمر سامٍ بالكفّ عن اضطهاد

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

كنيسته. ومنذ اليوم الأوّل لانتخابه، كان البطريرك مظلوم مصمّمًا على تحقيق تلك الأهداف، مضافًا إليها انتشال كنيسته من الأتون الغارقة فيه راعويًّا. فإذا به منذ الساعة الأولى يخوض حربًا لا هوادة فيها على الظلم والاستبداد لاسترجاع كامل حقوق كنيسته في دمشق ومصر وغيرهما من المناطق، ويسعى جهده في العناية برعيّته إكليروسًا وشعبًا ومؤسّسات.

باشر البطريرك مكسيمُس فورًا أعماله الرسوليّة. فإثر انتخابه، أرسل آباء السينودس رسالة إلى روما يلتمسون فيها إرسال درع التثبيت والباليوم للبطريرك الجديد[١]. إلاّ أن التثبيت تأخّر بسبب مداخلات مع روما، تمكّن المظلوم من تذليل تداعياتها، وما لبث البابا غريغوريوس السادس عشر (١٨٣١ ـ ١٨٤٦) أن أرسل له صكّ التثبيت في أوّل شباط (فبراير) ١٨٣٦. وفي العام التالي أنعم عليه بلقب "بطريرك أنطاكية والاسكندريّة وأورشليم، إنعامًا شخصيًّا لا ينتقل إلى خلفائه إلاّ بموجب براءة رسولية[٢]".

عند انتخاب مكسيمُس الخامس مظلوم بطريركًا سنة ١٨٣٣، كانت سورية خاضعة لحكم المصريّين. إذ كان الجيش المصريّ، بقيادة إبراهيم باشا*، إبن محمّد علي باشا* الملقّب بعزيز مصر (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩)، قد احتلّ، منذ العام ١٨٣١، فلسطين ولبنان وسورية، ووصل إلى مشارف الآستانة، فتدخّلت الدول العظمى وأجبرت الفريقَين العثمانيّ والمصريّ على توقيع "معاهدة كوتاهية[٣]"، سنة ١٨٣٣، عشية تسلّم مظلوم

---

١ ـ الشمّاس مرجع سابق، ٣: ١١٥ ـ ١١٨.

٢ ـ الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٢٤؛ CHRON JEAN, *L'EGLISE GRECQUE MELCHITE CATHOLIQUE*, ART. DANS: ECHOS D'ORIENT, T.V. (1902), P. 145; MUSSET, OP. CIT., III: 138.

٣ ـ **كوتاهية**: مدينة في غرب وسط تركيا، عاصمة مقاطعة كوتاهية.

البطريركيّة. وقد أقرّت السلطنة العثمانيّة، بموجب تلك المعاهدة، بسلطة محمّد علي باشا على مصر وبلاد الشام. لذلك سعى ولده إبراهيم باشا إلى نشر الأمن والسلام في تلك الربوع. فأقام دواوين للشورى تمثّلت فيها الأديان المختلفة لتحلّ مشاكل المواطنين. فاستغلّ البطريرك وجود أحد الموظّفين الملكيّين البارزين بين مساعدي إبراهيم باشا، وهو يوحنّا البحري، لتسهيل تحرير الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة من بعض القيود. وتمكّن بمسعى من رعيّته في دمشق من شراء قطعة أرض لبناء كنيسة جديدة بدلاً من التي صادرها الأرثذوكس. ودخل مظلوم إلى دمشق، في ٤ نيسان (إبريل) ١٨٣٤، دخولاً رسميًّا، في احتفال مهيب أذهل الأرثذوكس[١]. ما أدّى إلى استعادة الروم الكاثوليك اعتبارهم هناك[٢]. وبدأت نيابة دمشق البطريركيّة تركّز أسس الكثلكة هنلك بشكل علنيّ بعدما كانت نشاطات الكاثوليك تتمّ بالسرّ في البيوت أو في أديرة الرهبان اللاتين وكنائسهم.

ثمّ سافر إلى حوران حيث رسم لأبرشيّتها أسقفًا[٣]. وقفل عائدًا إلى لبنان، حيث دعا إلى مجمع لكنيسته، عُقد في مقرّ البطريركيّة في إكليريكيّة عين تراز، بين الثالث والثامن عشر من كانون الأوّل (ديسمبر) ١٨٣٥، لدرس أوضاع الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة عمومًا. وقد سنّ آباء ذلك المجمع ٢٥ قانونًا تتعلّق بالنظم الاكليريكيّة وبعض الشؤون الراعويّة والرهبانيّة، والوصايا التي يجب على الملكيّين العمل بها، كالاشتراك في القدسيّات مع غير الكاثوليك، وتوضيح بعض العادات في توزيع

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٦١، عن: نشرة بعنوان: الذكرى المئويّة الأولى لوفاة السعيد الذكر البطريرك مكسيمُس الثالث مظلوم، هديّة مجلّة المسرّة السنويّة عن سنتَي ١٩٥٧ و١٩٥٨، المطبعة البولسيّة (حريصا ـ لبنان،١٩٥٧) ص ١٨.

٢ ـ ديك اغناطيوس، مرجع سابق، ص ٧١ ـ ٧٥.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

الأسرار وقبولها[١]. ورُفعت هذه المقرّرات إلى الكرسيّ الرومانيّ الذي أقرّها وطبعها في روما سنة ١٨٤١. كما درس المجمع موضوع الرعايا في ديار بكر أو آمد[٢]، وفي الكرسيّ الإسكندريّ وأحوال الروم الملكيّين القاطنين في مصر، وتقرّر تعيين أساقفة عليها لرعاية المؤمنين وتوجّههم نحو الكثلكة[٣]. وقد مهّد مجمع عين تراز هذا لمجمع آخر بهدف تحقيق خطّة البطريرك مظلوم الهادفة إلى ملء الفراغ القانونيّ الذي كانت تتخبّط فيه كنيسته، وذلك من خلال وضع دستور كامل المواد تستند إليه البطريركيّة في تسيير أمورها القانونيّة والإداريّة. فالبطريركيّة الملكيّة كانت تفتقر إلى مثل هذا التشريع، خاصّة بعد إلغاء مقرّرات مجمع دير القرقفة* من قِبَل روما.

لم يكد يمضي سنتان على انعقاد مجمع عين تراز حتّى كان البطريرك مظلوم قد بدأ بتنفيذ المقرّرات. فعيّن أسقفًا لديار بكر سنة ١٨٣٧: المطران مقاريوس سمّان[٤]. وأنشأ الكرسيّ البطريركيّ في القدس بعدما حرّرها من وصاية الأرثذوكس ورعاية الفرنسيسكان، وعيّن عليها، في ٨ شباط (فبراير) ١٨٣٨، المطران ملاتيوس فندي[٥]. واستحدث النيابة البطريركيّة في مصر، وعيّن عليها أوّل نائب بطريركيّ: المطران باسيليوس كفوري، الذي اعتذر عن قبول المنصب، بداية، بحجة أنّه غير أهل له[٦].

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٦١، عن: نشرة بعنوان: الذكرى المئويّة الأولى لوفاة السعيد الذكر البطريرك مكسيمُس الثالث مظلوم، هديّة مجلّة المسرّة السنويّة عن سنتَي ١٩٥٧ و١٩٥٨، المطبعة البولسيّة (حريصا ـ لبنان،١٩٥٧) ص ٢٣؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٠ ـ ٣١١.

٢ ـ **ديار بكر أو آمد**: مدينة في تركيا على شاطئ دجلة الأيسر.

٣ - MUSSET, OP. CIT. P. 137.

٤ ـ لم نعد نجد في المدوّنات أيّ ذكر لتلك الأبرشيّة بعد ذلك التاريخ.

٥ ـ راجع: الذكرى المئويّة، مرجع سابق، ص ١١٧ ـ ١٢٤.

٦ - HAJJAR JOSEPH, *UN LUTTEUR INFATIGUABLE LE PATRIARCHE MAXIMOS III MAZLOUM*, IMP. ST. PAUL, (HARISSA - LIBAN,1957) PP. 85- 86. ؛ راجع: الذكرى المئويّة، مرجع سابق، ص ١١٧ ـ ١٢٤.

في هذه الأثناء، كان البطريرك مظلوم قد سافر إلى مصر، برًّا، سنة ١٨٣٦، عبر فلسطين، ووصل القاهرة في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر). وهناك اهتمّ بأوضاع كنيسته حتّى سنة ١٨٤٠. فصدر عن السلطان محمود الثاني في ٣١ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٣٧ براءة شريفة تمنح البطريرك مظلوم الولاية على المسيحيّين الكاثوليك في البطريركيّات الملكيّة الثلاث: أنطاكية والاسكندريّة وأورشليم[1]، وتمنحه أيضًا الامتيازات التي لزملائه البطاركة الأرثذوكس، وتعطيه الإذن ببناء الكنائس دون معارضة، وإدارة الأوقاف، وتسمح للمؤمنين بممارسة شعائرهم الدينيّة بحريّة تامّة[2].

ولمّا استعدّ المظلوم للعودة إلى سورية، قامت الثورة في مصر، فغادرها متوجّهًا إلى أوروبّا ليبقى محايدًا بين إبراهيم باشا والسلطان عبد المجيد. وبقي في أوروبّا حتّى سنة ١٨٤١، انتقل بعدها إلى القسطنطينيّة[3]، بهدف حسم كلّ المشاكل العالقة، وأبرزها مسألة "الولاية المدنيّة" أو "البطريرك المدنيّ الأرمنيّ[4]" ومشكلة "القلنسوة الشرقيّة[5]" في

---

١ ـ إثر ذلك طلب البطريرك مظلوم إلى البابا غريغوريوس السادس عشر أن يمنحه لقب "بطريرك الكنسيّة الروميّة الملكيّة الكاثوليكيّة"، فمنحه البابا سنة ١٨٣٨ إنعامًا شخصيًّا وهو لقب "بطريرك أنطاكية والإسكندريّة وأورشليم".

٢ ـ كبكب د. وسام، ص٦٢، حيث أورد حاشية جاء فيها: أنظر نصّ الفرمان عند: البطريرك مكسيمُس مظلوم، نبذة تاريخيّة في ما جرى لطائفة الروم الكاثوليك منذ سنة ١٨٣٧ فما بعدها، عُني بطبعها الخوري قسطنطين الباشا ب. م.، ص ٢٠٣ ـ ٢١١.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٠ ـ ٣١١.

٤ ـ **الكاهن البطريرك المدنيّ الأرمنيّ**: هو الناظر العلمانيّ الأرمنيّ الكاثوليكيّ الذي عيّنه السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) ١٨٣٠، للاهتمام بشؤون الروم الكاثوليك، بعد نجاح مساعي الحكومتَين الفرنسيّة والنمساويّة، وفي العام التالي، تمّ تعيين أرمنيًّا كاثوليكيًّا، يُدعى "أغوب تشوركوريان" لذات المهمّة، وقد عُرف بـ"البطريرك الأرمنيّ" لأنّه أخضع لسلطته جميع الطوائف الكاثوليكيّة العثمانيّة، كما سبق وذكرنا في مكان سابق من صدر النصّ، ولم يكن البطريرك مظلوم ليرضى باستمرار ذلك التدبير.

٥ ـ رفعت زيارة البطريرك مظلوم إلى مصر من معنويّات الكاثوليك ودفعت الإكليروس الملكيّ الكاثوليكيّ المصريّ لاستبدال "العمامة" التي كانت مفروضة عليه منذ سنة ١٧٢٥، بالـ"قلنسوة" التي كان قد احتكرها الإكليروس الأرثذوكسيّ لنفسه. (الذكرى المئويّة الأولى، مرجع سابق، ص١٨.) فنشب إذذاك صراع جديد بين الكاثوليك والأرثذوكس، كان ظاهره القلنسوة، أمّا باطنه فكان تثبيت كيان الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة.

مصر. فوصلها في ٢٣ آب (أغسطس) ١٨٤١. وكانت يومذاك قد نشأت "قضيّة القلنسوة"، التي راح الملكيّون الكاثوليك يعتمرونها في مختلف المناطق، ولم يكونوا يلبسونها من قبل إلاّ في لبنان. فقامت بين الروم الكاثوليك والروم الأرثذوكس بشأن لبس القلنسوة مجادلة طويلة، تدخّلت فيها فرنسا وروسيا. فكانت فرنسا تدافع عن الكاثوليك، وروسيا تحامي عن الأرثذوكس، والباب العالي يُصدر الفرمانات المتناقضة تحت تأثير كلّ من هاتَين الدولتَين[1].

تزامنت سفرة البطريرك مظلوم إلى الآستانة مع استعادة الأمبراطوريّة العثمانيّة سلطتها على سورية ولبنان وفلسطين من ابراهيم محمّد علي باشا الذي انسحب إلى مصر. وبالنظر للعلاقة التي كانت قائمة بين السلطنة وأوروبّا التي ساندتها في مواجهة محمّد علي، كانت مهمّة البطريرك في الآستانة سهلة، إذ إنّ السلطنة لطالما ربطت بين الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة والغرب. غير أنّ مهمّته قد تعرقلت إلى حين بسبب النفوذ القويّ الذي كان يتمتّع به بطريرك القسطنطينية الأرثذوكسيّ، وحصول زيارة مظلوم إلى الآستانة في ظلّ جولة جديدة من المواجهات بين الأرثذوكس والكاثوليك في دمشق وحلب وبيروت وطرابلس. ما تطلّب من البطريرك الكاثوليكيّ البقاء زهاء ستّ سنوات[2] ونيّف في الآستانة باذلاً الجهود المتواصلة لتحقيق أهدافه. وقد تُوّجت مساعيه بمقابلة السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١م)، مع وكيله المطران ملاتيوس فندي، حيث انتزع من السلطان في ٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٤٨ فرمانَين: الأوّل يُسمح بموجبه للإكليروس الكاثوليكيّ بأن يعتمر القلنسوة الشرقيّة شريطة أن تكون مسدّسة الزوايا بنفسجيّة اللون؛ والثاني يقضي بتحرير الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة من

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٢.

٢ - من آب (أغسطس) ١٨٤١ حتّى آذار (مارس) ١٨٤٨.

سلطة "البطريرك المدنيّ"، ويعترف بالسلطة المدنيّة المطلقة لبطريرك الروم الكاثوليك على كنيسته، ويحصر به حقّ التكلّم باسم كنيسته، ويمنحه كلّ الحقوق والامتيازات التي يتمتّع بها بطريرك القسطنطينيّة الأرثذوكسيّ[١]. وبنى البطريرك مظلوم في القسطنطينيّة كنيسة وأقام فيها نائبًا بطريركيًّا يمثّله لدى الباب العالي[٢]. وقبل تركه القسطنطينيّة، منح السلطان البطريرك "نيشان الشرف" المرصّع بحجارة من الماس كالذي كان يُمنح لبطاركة القسطنطينيّة. وزوّده ببراءات شاهانيّة لأساقفته[٣]. كما حصل في أواخر عهده سنة ١٨٥٤ على فرمان منحه الامتيازات السلطانيّة[٤].

وهكذا تمكّن البطريرك مكسيمُس الثالث مظلوم من تحقيق هدفه الأوّل القاضي باستقلال "الروم الكاثوليك" استقلالاً تامًّا دينيًّا ومدنيًّا ومنحهم كيانًا خاصًّا مميّزًا، فتحرّرت الكنيسة الملكيّة بذلك تحرّرًا مطلقًا من كلّ سلطة خارجيّة. وأصبح مركز البطريرك الملكيّ مماثلاً لسائر الكراسي البطريركيّة، الأرثذوكسيّة والكاثوليكيّة، حتّى إنّه توصّل إلى الحصول على الامتيازات نفسها التي يتمتّع بها بطريرك القسطنطينيّة الذي كان يُعرف يومذاك ببطريرك "الفنار[٥]". وإثر تلك الإنجازات الرائعة، عاد البطريرك مظلوم إلى بيروت في آذار (مارس) ١٨٤٨، فاستقبله فيها أبناء كنيسته بحماسة بالغة[٦].

---

١ ـ أنظر نصّ الفرمانَين في: مظلوم، نبذة تاريخية، مرجع سابق، ص١٣٥ ـ ١٣٧، و٣٠٥ ـ ٣١٣.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٢.

٣ ـ الشمّاس، مرجع مذكور، ٣: ١٢٥.

٤ ـ أنظر نصّ الفرمان في: مظلوم، نبذة تاريخيّة، مرجع سابق، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٦.

٥ ـ **الفنار**: حيّ في اسطنبول يقيم فيه البطريرك المسكونيّ الأرثذوكسيّ.

٦ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٢ ـ ٣١٣.

أمّا على صعيد استكمال تنظيم الكنيسة، فكان البطريرك مظلوم قد وضع، في خلال إقامته الطويلة في الآستانة (١٨٤١ ــ ١٨٤٨)، الخطوط العريضة لأهمّ المواضيع التي سيدرسها المجمع المرتقَب. وما إن عاد من سفرته الطويلة حتّى دعا إلى مجمع يُعقد في أورشليم بحضور قاصد رسوليّ ممثّلاً للبابا، في محاولة لدعم المركز الجديد للنيابة البطريركيّة هناك، حيث كان قبلاً قد أمر ببناء كنيسة تحت حماية سيّدة البشارة، وقد قرّر البطريرك القدس مقرًّا للمجمع على الرغم من اعتراض أساقفة صور وبيروت وبعلبك، ومطالبتهم بعقد المجمع في سورية. وقد أدّى تأخّر وصول الأساقفة إلى تأجيل المجمع إلى ١٢ أيّار (مايو) ١٨٤٩، ودام انعقاده حتّى ٢٠ حزيران (يونيو)[١].

وبسبب الخلافات التي نشبت بين البطريرك وبعض الأساقفة، ومنها الخلافات الحادّة مع متروبوليت بيروت بسبب قرار البطريرك فصل جبيل عن أبرشيّة بيروت وضمّها لطرابلس، وخلاف متروبوليتَي صور وحلب حول الأوليّة بعد البطريرك، تأخّر رفع المقرّرات إلى روما حتّى سنة ١٨٥١. وبعد أن استفحل الخلاف بين البطريرك والمطران أغابيوس رياشي، امتنعت روما عن أخذ قرارها. وفي بداية عهده، أعرب خليفة مظلوم: البطريرك اقليمنضس بحوث (١٨٥٦ ــ ١٨٦٤)، عن رغبته في إهمال مقرّرات المجمع إذ إنّ ذيول الخلافات كانت لا تزال بارزة، فاستجابت روما لطلبه[٢].

---

١ ـ مظلوم توما، البطريرك مكسيمُس الثالث مظلوم (١٧٧٩ ـ ١٨٣٣ ـ ١٨٥٥)، سنوه الأخيرة (١٨٤٨ ـ ١٨٥٥)، عُني بتعليق حواشيه الأب الياس أندراوس البولسيّ، مطبعة القدّيس بولس (حريصا ـ لبنان)، ص ٤٤ ـ ٤٧؛ CARON P.CYRILLE, *HISTOIRE DES PATRIACATS MELKITES*, (ROME, PARIS, LEIPZIG, 1910), II: 227.

٢ ـ مظلوم توما، مرجع سابق، حاشية ص ٤٨.

أمّا البطريرك مظلوم، فقد انتقل، بعد المجمع، من القدس إلى حلب، حيث استقبله المسيحيّون استقبال الظافرين. وبقي في حلب مدّة من الزمن، عمل في خلالها على إنشاء أبرشيّة حمص وحماة ويبرود وتوابعها سنة ١٨٤٩، بعدما فصل القلمون[١] عن بعلبك وألحقها بالأبرشيّة الجديدة، وعيّن عليها المطران غريغوريوس عطا، وجعل قرية يبرود[٢] مركزًا للمطرانيّة لأنّها كانت تضمّ أكبر عدد من الكاثوليك[٣]. وقد كدّر صفاء إقامة البطريرك في حلب سنة ١٨٥٠ ثورة كادت تقضي عليه، فهرب إلى أنطاكية ثمّ إلى دمشق، وبقي فيها حتّى سنة ١٨٥٤، إذ سافر إلى مصر، حيث كان ينوي بناء كنيسة ودار بطريركيّة في الإسكندريّة، فلم تتحقّق أمنيته إذ توفّي ٢٣ آب (أغسطس) ١٨٥٥، متمتّعًا بأسمى قيم الوقار والإيمان والتقوى[٤].

وصف باحثون ملكيّون محدثون[٥] البطريرك مظلوم بالراعي الصالح الأمين على مصالح أبنائه الروحيّة، وأشادوا بمعاناته مشقّة الأسفار المتعدّدة بين الأبرشيّات والقرى والمدن، صابرًا على المتاعب، مبشّرًا بكلمة الخلاص، مقيمًا الرياضات الروحيّة، معلّمًا مبادئ الإيمان ووصايا اللّه، حتّى إنّه لم يتوانَ أحيانًا عن القيام بتعليم مبادئ القراءة في بعض الرعايا. وبنى الكنائس العديدة، وأنشأ المؤسّسات الخيريّة والروحيّة حيث تمكّن[٦]. ومن إنجازاته أنّه رفع اهتمامه بالرعيّة إلى مستوًى متقدّم عندما

---

١ - **القلمون**: جبل في سورية الغربيّة فيه قرى معلولا وصيدنايا وبجعة التي لا يزال بعض سكّانها يتكلّمون السريانيّة، وهي غير القلمون البلدة على ساحل لبنان الشمالي.

٢ - **يبرود**: مصيف في قضاء النبك من أعمال محافظة دمشق.

٣ - الذكرى المئويّة، مرجع سابق، ص ١٠٧.

٤ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٢ - ٣١٣.

٥ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٦٤.

٦ - حول إنشاءاته، رجع: الشمّاس، ٣: ١٢٧؛ الذكرى المئويّة، مرجع سابق، ص ٢٢، ٢٣، ٢٧، ١٠١، ١١٩، ١٤١، ١٤٢.

منح العلمانيّين مسؤوليّة إدارة شؤون البطريركيّة الماديّة. فعيّن منهم وكلاء بطريركيّين للشؤون الماديّة، ودعا المؤمنين للإسهام في عمليّة البناء فلبّوا النداء بسخاء[1]. وقد ارتفع عدد أبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة من ٥٠،٠٠٠ عند تولّي مظلوم السدّة البطريركية سنة ١٨٣٣، إلى ٧٨،١٠٠ سنة ١٨٥٥[2]. وكان عدد الأساقفة ثمانية فأصبحوا ثلاثة عشر[3]. وبدأ يتكوّن في تلك الكنيسة إكليروس من الكهنة العازبين الذين سيتبوّأون المراكز الأسقفيّة، بعدما كان الإكليروس البطريركيّ والأبرشيّ يتكوّن في معظمه من كهنة متزوّجين[4]. وقد بقي البطريرك مظلوم حتّى الرمق الأخير من حياته يجاهد في سبيل إعلاء شأن كنيسته، إلى أن وافاه الأجل عن عمر يناهز السادسة والسبعين[5].

البَطريَرك اقلِيمنضُس بَحُّوث

(١٨٥٦ - ١٨٦٤)

إثر وفاة البطريرك مظلوم، التأم السينودس المقدّس في دير المخلّص، في ٢٠ آذار (مارس) عام ١٨٥٦، بدعوة من القاصد الرسوليّ "بول برونوني"، وانتخب آباء المجمع رئيس أساقفة عكّا والجليل المطران اقليمنضس بحّوث[6] بطريركًا. وحصل البطريرك الجديد على صكّ التثبيت والباليوم من البابا بيّوس التاسع (١٨٤٦ ـ

١ ـ الذكرى المئويّة، مرجع سابق، ص ٢٢.

٢ ـ راجع: CHARON, *HISTOIRE DES PATRIARCATS MELKITES*, II: 278-279.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٢ ـ ٣١٣.

٤ ـ راجع: CHARON, *HISTOIRE DES PATRIARCATS MELKITES*, II: 278-279.

٥ ـ كيكب د. وسام، مرجع سابق، ص٦٥.

٦ ـ **اقليمنضس بحّوث**: راهب مخلّصيّ، حصّل علومه اللاهوتيّة في مدرسة انتشار الإيمان في روما، سيم كاهنًا باسم ميخائيل ١٨٢٤، رُقّي إلى الدرجة الأسقفيّة باسم اقليمنضس وعيّن أسقفًا على أبرشيّة عكّا ١٨٣٦.

١٨٧٨)، في ١٦ حزيران (يونيو) من العام نفسه. وفي ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) تسلّم الإنعام البابويّ بلقب "بطريرك أنطاكية والإسكندريّة وأورشليم على كنيسة الروم الملكيّين"[١].

بعد أشهر قليلة من انتخابه وتثبيته، أصدر البطريرك بحّوث منشورًا في ٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٥٧ قرّر بموجبه اعتماد الحساب الغريغوريّ بدل اليوليانيّ دون استشارة معظم الأساقفة[٢]. وأفاد باحثون أنّ هذا الموضوع كان قد طُرح قديمًا في البطريركيّة الملكيّة، لكنّه كان يؤجّل دائمًا بالنظر إلى ما يترتّب عليه من انفصال عن التراث البيزنطيّ الشرقيّ. علمًا بأنّ هذا الحساب تعتمده الكنيسة الغربيّة في حين أنّ الكنائس الأرثذوكسيّة كانت لا تزال تسير على الحساب اليونانيّ القديم. وكانت روما قد طلبت من البطريرك مظلوم بتّ هذا الموضوع، إلاّ أنه تمكّن من تحاشي طرحه اتّقاءً لانعكاساته السلبية[٣]. وقد كان مظلوم، على ما يبدو، مصيبًا في توقّعاته، إذ ما أن صدر المنشور البطريكيّ القاضي بفرض الحساب الغريغوريّ، حتّى انقسم أساقفة الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة إلى فريقَين: الأوّل موالٍ ويضمّ أساقفة حلب وحمص وحوران وصور وعكّا، والثاني معارض ويضمّ أساقفة بيروت وزحلة وبعلبك وصيدا. وكانت حجّة المعارضة أنّ استعمال الحساب الغريغوريّ قد يؤدّي إلى انشقاق في أبرشيّاتهم، وقد يشجّع حركة "اللتننة" وتفريغ الكراسي الشرقيّة من المؤمنين. كذلك انقسم رجال الإكليروس وشمل الانقسام الأبرشيّات المختلفة. وقاد المعارضة الدمشقيّة الأب "يوحنّا

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٦٥، عن مقال بعنوان "البطريرك الصالح الذكر اقليمنضس بحُوث"، في مجلّة المسرّة، السنة ١ (١٩١٠) ص ١٨٥.

٢ ـ راجع ملابسات هذه القضية عند: حاج، الرهبانيّة الباسيليّة...، مرجع سابق، ٢: ١٨٨ ـ ٢٠٤؛ HAJJAR JOSEPH, *LES CHRÉTIENS UNIATES DU PROCHE-ORIENT*, ED. DU SEUIL (PARIS, 1962) PP. 288, 289.

٣ ـ كويتر الأب الياس المخلّصيّ، هؤلاء هم آباؤنا المخلصون، منشورات الرهبانيّة المخلصيّة (١٩٨٣) ص٩١.

مساميري"، في حين قاد المعارضة الإسكندريّة الأب جبرائيل جبارة. وتبع ذلك انقسام في صفوف الشعب في كلّ من مصر ودمشق وصور وصيدا. وبلغ الخلاف حدّ تأسيس كنيسة جديدة من قِبَل بعض المعارضين أُطلق عليها اسم "كنيسة الشرقيّين". ورُفعت الشكاوى إلى الكرسيّ الرسوليّ والباب العالي والسفراء والقناصل[1]. وإذ أصرّ كلّ من الأطراف على موقفه، عمّت البلبلة والفوضى الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة، ما جعل البطريرك يُقدِم على وضع كتاب استقالته في دمشق ويوقّعه بإسم "القسّ ميخائيل بحّوث"، وتوجّه ليلاً في تمّوز (يوليو) ١٨٥٨ إلى دير المخلّص. لكنّ الدمشقيّين والأساقفة الموالين رفضوا هذه الخطوة، وكتبوا إلى الكرسيّ الرسوليّ طالبين التدخّل، فأرسل البابا بيّوس التاسع رسالته الشهيرة، في ٦ أيلول (سبتمبر) ١٨٠٨، التي جاء فيها رفضه استقالة البطريرك بحّوث، وطلب إلى البطريرك أن يزاول مسؤوليّته بـ"روح الغيرة الرسوليّة والتقوى والنشاط، الصفات التي طالما اتّصف بها إلى جانب القداسة والتجرّد[2]". وفي الوقت نفسه أمر المعارضين بالطاعة بعدما ألغى مجمعًا غير قانونيّ عقدوه في "عين الدوق" بالقرب من زحلة في ١٢ آب (أغسطس) عام ١٨٥٩[3]. ويقول مدوّنو أحداث الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة[4] إنّ التدخّل البابويّ لم يكن ليُلغي الخلاف الذي ظلّ كامنًا في النفوس، إلاّ أنّ أحداث ١٨٦٠، والمذابح التي تعرّض لها المسيحيّون في لبنان وسوريا، واستعمال دول الغرب الحساب الغريغوريّ، فضلاً عن استعماله من قِبَل سائر الكنائس الكاثوليكيّة، عوامل جعلت الخلاف يضمحلّ من تلقاء

---

١ - كويتر، مرجع السابق، ص ٩٢.

٢ - البطريرك الصالح الذكر..."، مرجع سابق، ص ١٨٦، ١٨٧.

٣ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٦٧؛ مختصر تاريخ، مرجع سابق، ص ١٣٠؛ MUSSET, OP. CIT., P. 142.

٤ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٦٧.

نفسه[1]؛ على أنّ قلّة تشبّثت بموقفها فانضمّت إلى الكنيسة الأرثذوكسيّة[2].

وبعد أن استتب الوئام في البطريركيّة، وانضبط المعارضون، اجتمع البطريرك بحّوث بأساقفته، في ٢٤ أيلول (سبتمبر) عام ١٨٦٤، في كنيسة دير مار يوحنّا الشوير، وأعلن استقالته النهائيّة، ورفعها إلى الحبر العظم بيوس التاسع فقبلها[3]. وانطلق بحّوث إلى دير المخلّص حيث عاش حتّى وفاته في ١٣ حزيران (يونيو) سنة ١٨٨٢، مواظبًا على الإماتة والتقشّف وحياة الزهد والصلاة والتأمّل[4].

البَطرِيَرك غريغُوريُوس يوسُف الأوّل سيُّور

(١٨٦٤ - ١٨٩٧)

بعد استقالة البطريرك بحّوث بأيّام قليلة، انعقد سينودس الأساقفة بتاريخ ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٨٦٤ في دير مار يوحنّا الصابغ في الخنشارة، وانتخب أعضاؤه مطران عكّا، غريغوريوس يوسف سيّور، بطريركًا بإسم غريغوريوس الأوّل[5]. وسارع السينودس الانتخابيّ إلى إبلاغ الكرسيّ الرسوليّ نتيجة الانتخاب طالبًا تثبيت البطريرك الجديد. وقد أرسل البابا بيوس التاسع (١٨٣٦ ـ ١٨٧٨) صكّ التثبيت والباليوم للبطريرك سيّور في ٢٧ آذار (مارس) عام ١٨٦٥.

---

١ - De Clerq Charles, *Histoire des Conciles d'après les Documents Originaux,* Tome XV, Lib. Letouzey et Ané, (Paris, 1952) P.566.

٢ ـ الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٤٤.

٣ ـ يثيم وديك، مرجع سابق، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣١٣.

٤ ـ الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٤٤، ١٤٥؛ "البطريك الصالح الذكر..."، مرجع سابق، ص ١٨٩؛ كويتر، مرجع سابق، ص٩٤ ـ ٩٦؛ يثيم وديك، مرجع سابق، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣١٣.

٥ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٦٧.

كان البطريرك غريغوريوس يوسف الأوّل سيّور [1] (١٨٦٤ ـ ١٨٩٧) من كبار أحبار الكنيسة الملكيّة ومن أنشط بطاركتها. وُلد في الرشيد في مصر سنة ١٨٢٣، ودخل دير المخلّص، فأرسلته الرهبانيّة إلى روما ليكمل فيها علومه الدينيّة، فدرس في معهد القدّيس أثناسيوس، وسيم كاهنًا سنة ١٨٥٢، ثمّ رُفع إلى الدرجة الأسقفيّة وعيّن مطرانًا على عكّا سنة ١٨٥٦ [2].

إعتلى البطريرك الجديد السدّة البطريركيّة في ظروف صعبة ورثها من أيّام سلفه البطريرك بحّوث [3]، إذ كانت البطريركيّة لا تزال منقسمة على نفسها جرّاء مسألة الحساب الغريغوري. وكان هناك خلاف بين الرهبانيّة المخلّصيّة وبين الرهبان البلديّين والرهبان الدمشقيّين. في الوقت نفسه، كانت الكنيسة تعاني الأمرّين من ذيول أحداث ١٨٦٠ التي ألحقت بمؤسّساتها ورعاياها أضرارًا جسيمة. وكان الملكيّون، مع غيرهم من مسيحيّي دمشق، قد تعرّضوا لمذبحة كبرى ليل ٨ ـ ٩ تمّوز (يوليو) ١٨٦٠، ذهب ضحيّتها نحو عشرة آلاف مسيحيّ، بحسب مصادر ذلك الزمان. كما أصيبت أبرشيّة زحلة بنكبة كبرى إثر تعرّض المدينة للاجتياح. كما أصاب أبرشيّات جنوب لبنان وأبرشيّات فلسطين خسائر فادحة أقلّها تحوّل مسيحيّي قرى بكاملها، في فلسطين، إلى الإسلام، لكي يحموا أنفسهم من المذابح [4].

---

١ ـ **غريغوريوس يوسف الأوّل** وليس **غريغوريوس الأوّل** من دون يوسف، ذلك لأنّ غريغوريوس الأوّل قد تولّى السدّة البطريركيّة الأنطاكيّة قبل الانقسام (٥٧٠ ـ ٥٩٣) وغريغوريوس الثاني (٦١٠ ـ ٦٢٠) وغريغوريوس الثالث (١٤٨٣ ـ ١٥١١). لذلك يكون ترتيب هذا البطريرك إمّا غريغوريوس الرابع نسبة إلى السلسلة الأنطاكيّة للبطاركة، وإمّا غريغوريوس يوسف الأوّل وهو الإسم الذي اعتمده طوال عهده.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

٣ ـ اللافت أنّ الخلف والسلف ينتميان إلى الرهبانيّة المخلّصيّة، وأنّ سيّور كان خلف بحّوث أسقفًا على كرسيّ عكّا سنة ١٨٥٦، ومن ثمّ على السدّة البطريركيّة سنة ١٨٦٤.

٤ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٦٧.

يسجّل مؤرّخو الكنيسة الملكيّة للبطريرك سيّور أنّه عالج مسائل كنيسته بحكمة ورويّة، وفق برنامج إصلاحيّ شمل البشر والحجر.

بدأ البطريرك سيّور بتعيين أساقفة في الأبرشيّات الشاغرة، أو التي شغرت خلال ولايته، وبلغ عددهم جميعًا ١٦ أسقفًا[١]. وسارع إلى معالجة خلاف الرهبانيّات، فأقنع الدمشقيّين بالعودة إلى ديرهم في جون، وأعاد اللحمة إلى الرهبانيّة[٢]. ثمّ بادر إلى ترميم إكليريكيّة عين تراز سنة ١٨٦٦، التي دمّرتها أحداث ١٨٦٠. كما أرسل الطلاّب الإكلريكيّين إلى روما وفرنسا لتلقّي العلوم العالية، وحضّ الرهبانيّات الملكيّة على العناية بالتثقيف الرهبانيّ وتطويره ليتمكّن الرهبان من خدمة الرعايا بشكل سليم. وأعار المدارس اهتمامًا ملحوظًا، وكان من أهمّ إنجازاته في هذا المجال وضعه، في ٩ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٨٦٥، الحجر الأساس للمدرسة البطريركيّة في بيروت[٣]. وهي المدرسة الشهيرة التي سوف تستقبل طلابًا من أنحاء الشرق كافّة[٤]، وتسهم في بثّ إشعاع المعارف والآداب في الشرق، حاضنة "شبّان الوطن من كلّ ملّة وجنس ومذهب، مراعية العواطف الدينيّة المذهبيّة حقّ المراعاة[٥]". وسجلّ المدرسة البطريركيّة حافل بأسماء أعلام في اللغة والأدب والسياسة والدين من خرّيجيها أمثال: المطران بطرس كامل مدوّر، سليم تقلا، عبد الله البستاني، خليل مطران، رشيد نخله، شبلي ملاّط، حبيب باشا السعد، حبيب أبو شهلا، رياض الصلح، أمين نخله، عبد الله

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٦٨؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

٢ ـ مختصر تاريخ...، مرجع سابق، ص ١٤٠.

٣ ـ راجع: الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٥٤ ـ ١٥٦.

٤ ـ صفا مايا، المدرسة البطريركيّة (١٨٦٤ ـ ١٩٩٤) الفضيلة قبل العلم، مقال في مجلّة "الإعتبار"، ٢ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٩٤، ص ٣١.

٥ ـ أبي زيد ناصيف جرجي، الدليل المستبين إلى تاريخ وشرائع الروم الملكيّين، المطبعة العلميّة في مصر (١٩٠٤) ص ٣٥٢.

اليافي، وغيرهم[1]. ومن الإنجازات الكبرى للبطريرك سيّور، تجديده سنة ١٨٧٥ بناء المدرسة البطريركيّة في دمشق، التي كانت أُنشئت في عهد البطريرك مظلوم وأُحرقت في أحداث ١٨٦٠[2]. وقد جاء في المدوّنات التاريخيّة أنّ غاية البطريرك من تجديد تلك المدرسة كانت تأمين العلوم الصحيحة والمبادئ القويمة والثقافة اللائقة لأبناء كنيسته في دمشق، وبخاصّة المحافظة على الطقس الشرقيّ في مواجهة "اللتتنة"، بعدما عمد الآباء اللّعازريّون[3] إلى منع الملكيين الكاثوليك من حضور القدّاس الإلهيّ في كنيستهم الملكيّة[4]. ومن إنجازات البطريرك سيّور البالغة الأهميّة في هذه المجال، سعيه في تأسيس إكليريكيّة القدّيسة حنّة في الأراضي المقدّسة سنة ١٨٨٢ بالاتّفاق مع الكاردينال لافيجري مؤسّس جمعيّة الآباء البيض، وقد خرّجت هذه المدرسة عدّة أساقفة وعددًا وافرًا من الكهنة العلمانيّين والرهبان[5]. والمقول إنّ البطريرك سيّور قد اهتمّ ببناء المدارس في كلّ أنحاء بطريركيّته، حتّى قيل إنّه فتح مدرسة للأحداث بجانب كلّ كنيسة، إذ كان يعتقد بأنّه "بدون المدرسة لا تعْمُر الكنائس"[6]. ومن إنجازاته في هذا المجال، تأسيس مدرستَين في مصر، الواحدة في القاهرة والأخرى في الإسكندريّة[7].

---

١ ـ صفا، مرجع سابق، ص ٣٥.

٢ ـ راجع: الشمّاس، مرجع سابق، ص ١٥٧ ـ ١٥٩؛ قروشان اغناطيوس، لمحة تاريخيّة في المدرسة البطريركيّة بدمشق، مقال في "المسرّة"، السنة ٢ (١٩١١) ص ٣٢٥ ـ ٣٣٥.

٣ ـ **الرهبان اللّعازاريّون**: أسّس رهبانيّتهم القدّيس منصور دي بول ١٦٢٥، أقبلوا إلى الشرق ١٧٨٤، وقاموا مقام الرهبان اليسوعيّين، وتابعوا مهمّتهم الروحيّة.

٤ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٧٠؛ صفا، مرجع سابق، ص ٣٥.

٥ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٣ ـ ٣١٤؛ راجع: إكليريكيّة القدّيسة حنّة، في الفصل الرابع، القسم الأوّل من هذا الكتاب.

٦ ـ الشمّاس، مرجع سابق، ص ١٤٩.

٧ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

علمًا بأنّ البطريرك سيّور قد اهتمّ ببناء وترميم نحو عشرين كنيسة في لبنان وسوريا بالنظر لِما كان لحق بكنائس الملكيّين الكاثوليك من أضرار في خلال أحداث سنة ١٨٦٠[١]. وبنى الكاتدرائيّة الملكيّة الكاثوليكيّة في الإسكندريّة. وعزّز النشاط الراعويّ، فأعاد تأسيس أبرشيّتَي بانياس مرجعيون سنة ١٨٨٦، وطرابلس سنة ١٨٩٧، وحصل من الحكومة الفرنسيّة سنة ١٨٨٩ على كنيسة القدّيس يوليانوس الفقير ST. JULIEN LE PAUVRE في باريس وخصّصها للجالية الملكيّة[٢]. وأسّس الأخويّات التقويّة في دمشق، والجمعيّات الخيريّة، كـ"جمعية يوحنّا الرحوم" في الإسكندريّة والقاهرة. وشجّع ودعم "جمعيّة مار منصور" في دمشق. وأقام في كلّ خورنيّة بطريركيّة لجنة لإعانة الفقراء كـ"جمعيّة القدّيس جاورجيوس" في خورنيّة باب المصلّى بدمشق سنة ١٨٨١[٣].

بنتيجة هذا النشاط البنّاء، شهد عهد البطريرك سيّور حركة انضمام ملحوظة إلى الكثلكة خاصّة في مناطق جديدة مرجعيون لبنان، وبانياس سوريا، وفلسطين، وشمالي لبنان. وقد رعى الحركة في بانياس وجديدة مرجعيون الأب بطرس الجريجيري من إكليروس زحلة، ولمّا تكاثر عدد المنضمّين قرّر البطريرك إحياء كرسي قيصريّة فيلبّس القديمة، فعيّن عليها الجريجيري أسقفًا في ٢١ شباط (فبراير) عام ١٨٨٦. ورعى حركة مماثلة، في أبرشيّة طرابلس ـ لبنان منذ سنة ١٨٨٦، الأب "بارنييه P. BARNIER" اليسوعيّ، فانتعشت أبرشيّة طرابلس التي تمّ تسليمها إلى المطران يوسف الدوماني (١٨٩٧ ـ ١٩٢٢)[٤]. ورعى الحركة في نابلس والرملة من أعمال

---

١ ـ راجع أسماء الكنائس التي بناها في: مختصر تاريخ...، مرجع سابق، ص ١٥٤.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٧٠.

٤ ـ الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٥٢.

فلسطين منذ سنة ١٨٨٥، بموافقة البطريرك ودعمه، وبفضل هذا الدعم، تمكّن معقّد[1] من شراء مقام القدّيسة "فيرونيكا[2]" في الأراضي المقدّسة سنة ١٨٨٣. وقد بذل معقّد جهودًا كبرى من أجل تحويل ذلك المقام الأثريّ إلى كنيسة إذ سافر إلى أوروبا وجال في روما و"فريبورغ" و"ستراسبورغ" و"مرسيليا" جامعًا التبرّعات. ولمّا حاول إنشاء الكنيسة، عارضته الدولة العثمانيّة بحجّة أنّها تقوم في وسط إسلاميّ، وأنّ قلّة أفراد أبناء كنيسته لا تستدعي بناء كنيسة ثانية إلى جانب الكاتدرائيّة البطريركيّة. ولكن بعد مجهود كبير ووساطات متعدّدة، واستنادًا إلى قِدم المزار في المسيحيّة وقربه من أمكنة تملكها كنائس مسيحيّة أخرى، وافقت السلطات على بناء الكنيسة سنة ١٨٩٤[3].

ومن المشاكل التي كانت تستنزف رعايا الكنائس الشرقيّة في تلك الحقبة، محاولات اللتننة التي كانت جارية من قِبَل بعض الإرساليّات، وكانت تزعج الكنيسة الملكيّة بشكل خاصّ إذ إنّها أصغر الكنائس الشرقيّة، وهي لا تتحمّل خسارة أعداد من رعاياها، خصوصًا إذا كان تحوّل هؤلاء إلى الطقوس الغربيّة، لا الشرقيّة. من هنا كان حرص البطريرك سيّور على المحافظة على طقوس كنيسته، كما أنّ العلاقة التي نشأت بين الكنائس المتّحدة وروما كان يشوبها الكثير من سمات التبعيّة المباشرة، ما لم يكن مقبولاً من قِبَل بعض رجال الإكليروس في الكنائس الشرقيّة المحليّة المرتبطة

---

١ ـ النائب البطريركيّ اغناطيوس معقّد (١٨٨٠ ـ ١٨٨٦)* الذي سيصبح المطران جرمانُس معقّد (١٨٨٦ ـ ١٩١٢)، مؤسّس جمعية المرسَلين البولسيّين سنة ١٩٠٣.

٢ ـ **مقام القدّيسة فيرونيكا:** يرى التقليد المسيحيّ أنّها المرأة التي مسحت وجه السيّد المسيح بمنديل، فيما كان حاملاً صليبه على طريق الجلجلة، ويشكّل هذا المقام المرحلة السادسة من مراحل درب الصليب عند الكنائس المسيحيّة.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٧٨ ـ ٧٩، عن: أبرشيّة أورشليم البطريكيّة، مقال في "المسرّة"، السنة ٢٥ (١٩٣٩)، ص ٣٩١، ٣٩٤؛ تجدر الإشارة إلى أنّ الأب فيليب ملّوك قد تابع العمل في هذا المشروع بعدما ترك الأب معقّد النيابة البطريكيّة إثر ترقيته إلى الدرجة الأسقفيّة وانصرافه لتأسيس جمعيّة الآباء البولسيّين.

بروما. لكلّ هذه الأسباب، "هاج الشعب الملكيّ الكاثوليكيّ"، بحسب تعبير الباحثين في تاريخ هذه الكنيسة[1]، عندما أصدر البابا بيّوس التاسع براءته الرسوليّة بعنوان "الآب الأزلي AETERNI PATRIS" في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٨٦٨، داعيًا فيها العالم المسيحيّ إلى مجمع مسكونيّ لدرس بعض القضايا الهامّة التي تخصّ الكنيسة جمعاء. خاصّة وأنّ مسالة الحساب الغريغوريّ كانت لا تزال ماثلة في الأذهان، وحركة اللتننة ما برحت على أشدّها. فسارع البطريرك سيّور إلى عقد مجمع لأساقفة كنيسته بهدف درس الموضوع. والتأم السينودس في دمشق من ٧ إلى ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٦٩، وتقرّر فيه ذهاب البطريرك مع ثمانية أساقفة للمشاركة في أعمال المجمع الفاتيكانيّ الأول[2] الذي افتتح أعماله البابا بيّوس التاسع في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٩، على أن يتمسّك البطريرك والأساقفة بالمحافظة على حقوق الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة[3]. وكان للبطريرك سيّور موقف واضح من مسألة أوّليّة البابا وعصمته التي، وإن كانت مسألة تنظيميّة، من شأنها أن تشكّل، في ذلك الظرف، خطرًا كبيرًا على عودة "الإخوة المنفصلين" إلى الوحدة الكنسيّة، فكيف إذا حولّناها إلى عقيدة إيمانيّة[4]. لكنّ المجمع الفاتيكانيّ طرح المسألة على البحث، بالرغم من كلّ المحاذير، في ١٣ أيّار (مايو). وكان موعد البطريرك سيّور مع الحدث في ١٩ أيّار (مايو)، إذ اعتلى المنبر ليلقي خطابه الأول باللاتينيّة[5]، والذي تضمّن عرضًا مناقضًا لتقسيمات

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٧٠.

٢ ـ **المجمع الفاتيكانيّ الأول:** مجمع مسكونيّ عُقد في روما ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠، دعا إليه وترأسه البابا بيّوس التاسع، درس قضايا الإيمان وحدّد عقيدة العصمة البابويّة.

٣ ـ كويتر، مرجع سابق، ص ١١٥.

٤ ـ كويتر، مرجع سابق، ص ١١٨.

٥ ـ ترجمة الخطاب عند: فريجات الأخ فايز المخلّصيّ، الكنيسة الملكيّة والمجمع الفاتيكانيّ الأول، مجلّة "الوحدة في الايمان"، (١٩٧٠)، ص ٥٥ ـ ٦٢.

فصلَي "الإيمان" و"الكنيسة"، وأقرّ بـأن الكنيسـة الشـرقيّة "تعـترف بأوّليّـة البابـا، ولكنّهـا تتمسّك دائمًا باستقلالها وحقوقها"، وأنّ "اعتراف البابـا بهـذه الحقـوق هـو أسـاس اتّحـاد كنيستنا مع الكنيسة الرومانيّة"، وأنّ "الكنيسة الشرقيّة قدّمت أقصى تنازلاتها في مجمـع فلورنسا سنة ١٤٣٩، وإذا طلبت روما اليوم تنازلات أكبر تكون هي التي تهدم أسـس الاتّحاد". أمّا في ما يتعلّق بالعقائد، فـ"إنّ الكنيسة الشـرقيّة لا ولـن تعـترف بعقـائد غير التي أقرّتها المجامع المسكونيّة الكبرى للكنيسـة جمعـاء، قبـل الانفصـال، لأنّهـا تحفـظ وديعة الإيمان بكلّ أمانـة". وأخـيرًا دعـا البطريـرك سـيّور آبـاء المجمـع إلـى "رفـض التصميم بكامله، وخصوصًا عقيدة العصمة البابويّة، إنقاذًا لوحدة كنيسة المسيح[١]".

يرى باحثون ملكيّون كاثوليك في هذا الموقف للبطريـرك سـيّور، وفـي سـواه مـن المواقف المماثلة لكنيستهم، أنّ كنيسة الروم الكاثوليك أدركت أنّ شركتها مـع الكرسـيّ الرسوليّ تعني، في آخـر المطـاف، ذوبانهـا فـي كنيسـة رومـا، "فكـان عليهـا أن تقـاوم وتصمد، ثم أن تصحّح هذا المفهوم على ضـوء المعطيـات الكنسـيّة القديمـة وفـي خـطّ الحركة المسكونيّة التي وسّعت ولا تزال توسّع إطار "الجماعية عمقًا وفساحة[٢]".

وبحسب المصادر الملكيّة الكاثوليكيّة، "أثار خطـاب البطريـرك سـيّور الذعـر عنـد الأكثريّة المحافظة"، ودفـع بـالبطريرك الأرمنـيّ "حسّـون"، وبطريـرك القـدس اللاتينـيّ "فاليرغا" إلى الردّ بعنف علـى البطريـرك الملكـيّ. كمـا أنّ مجمـع التفتيـش بـدأ بـدرس إمكانيّة رفع دعوى على البطريرك سيّور ورشقه بالحرم. إلاّ أنّ سيّور لم يتراجع عن

---

١ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٧٢ ـــ ٧٣، عن: أبـرص الأب ميخـائيل، البطريـرك غريغوريـوس يوسـف والمجمـع المسـكونيّ الفاتيكانيّ الأوّل، مقال في "المسرّة"، السنة ٧٠ (١٩٨٤)، ص ٣٣٢، ٣٣٣.

٢ - راعي المطران بطرس، الكنيسة الملكيّة في خدمة جامعيّة الكنيسة، تاريخًا فرسالة فهويّة، مقـال فـي "المسـرّة"، السـنة ٧١ (١٩٨٥) ص ٧٠٦.

مواقفه، بل دبّج ردًّا على منتقديه ومعارضيه في خطابه الثاني الذي ألقاه أيضًا باللاتينيّة في جلسة ١٤ حزيران (يونيو)[١]، وقدّم فيه تصويرًا حيًّا لـ"تعدّيات الرومانيّين على استقلاليّة الكنائس الشرقيّة بانتهاكاتهم الجسيمة لوثيقة الاتّحاد، وللاضطهادات التي يتعرّض لها الأساقفة "الوحدويّون" بسبب أمانتهم على حفظ طقسهم ونظامهم اللذَين تعهّدت الكنيسة الرومانيّة باحترامهما على لسان الدوائر الرومانيّة والبروبغندا. فإمّا أن تنتهي تلك التجاوزات وإمّا أن ينفصم الاتّحاد بالكنيسة الرومانيّة، لأنّ الكنيسة الشرقيّة لا تقبل أبدًا بالعقائد الرومانيّة المطروحة في هذا المشروع[٢]".

من الطبيعيّ ألاّ يكون البابا بيّوس التاسع مرتاحًا للموقف الصارم للبطريرك الملكيّ الكاثوليكيّ، وهو البابا المعروف بقوّة شخصيّته وحساسيّته المفرطة تجاه معارضيه. وجاء في أخبار المجمع أنّ البابا قد اجتمع، إثر ذلك، بالبطريرك سيّور وزجره قائلاً: "TESTA DURA GREGORIO" أي "غريغوريوس الرأس العنيد". وبحسب بعض المراجع إنّه بسبب سوء معاملته من قِبَل البابا، غادر البطريرك سيّور روما مع أساقفته، قبل حصول التصويت على أوّليّة البابا وعصمته. إلاّ أن بيّوس التاسع طلب من المعارضين، والأساقفة المتغيّبين عن التصويت، إعلان موافقة خطيّة. وتروّى البطريرك قبل الإجابة، إلاّ أنه بعدما رأى خضوع معظم الأساقفة المعترضين، وبعدما تزايد ضغط "مجمع انتشار الإيمان" على كاهله، كتب إلى روما، في ٨ شباط (فبراير) ١٨٧١، ما يلي:

> إنّي لا أتردد في إعلان موافقتي التامّة وإيماني بالتعاليم التي تعلنها الكنيسة الكاثوليكيّة في جميع مجامعها بما فيه المجمع الفاتيكانيّ وجلسته الرابعة. إنّي أؤمن

---

١ ـ ترجمة الخطاب عند: فريجات، مرجع سابق، ص ٦٣ ـ ٧١.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٧٣، عن: أبرص، مرجع سابق، ص ٣٣٥.

بجميع العقائد التي حدّدتها هذه الكنيسة بما فيها ما يختصّ بالسلطة التعليميّة المعصومة التي يتمتّع بها رئيسها الأوّل ونائب المسيح المنظور... ولكن في ما يختصّ بالنظام الكنسيّ مع إذن قداستكم، وبهدف ازدهار الدين المسيحيّ الكاثوليكيّ في الشرق، لا سيّما في ما يختصّ بالطقس اليونانيّ، أرى لزامًا على ضميري أن أقوم بالتحفّظ الذي عبّر عنه رسميًّا المجمع الفلورنتينيّ بالعبارة: "مع الحفاظ على جميع حقوق وامتيازات البطاركة[1].

خلف البابا بيّوس التاسع (١٨٤٦ ـ ١٨٧٨) البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨ ـ ١٩٠٣)، وقد أظهر هذا الأخير تفهّمًا لمواقف الكنائس الشرقيّة من مسائل الطقوس. بيد أنّ البطريرك سيّور ظلّ حذرًا تجاه روما، إلى أن كان "المؤتمر القربانيّ الدوليّ" الذي عُقد في أيّار (مايو) ١٨٩٣ في أورشليم، حيث اجتمع مندوب البابا الكردينال "لانجينيو LANGÉNIEUX" بالبطريرك سيّور وتداولا في أسباب تعثّر عمل الكرسيّ الرسوليّ، سواء من قِبَل المرسَلين اللاتين أم من قِبَل الإكليروس الوطنيّ، فسلّم البطريرك إلى الكردينال تقريرًا مسهبًا شرح فيه شكواه من: "حركة "اللتننة" بواسطة المرسَلين ومدارسهم، على الرغم من أوامر البابا بندكتُس الرابع عشر (١٧٤٠ ـ ١٧٥٨)، وبراءتَيه AELATAE SUNT و DEMANDATAM؛ و"تدخّل القصّاد الرسوليّين في شؤون البطريركيّة الداخليّة؛ و"سهولة استقبال أبناء الروم الملكيّين في الكنيسة اللاتينيّة"؛ و"المعونات التي تتدفّق على اللاتين دون الطوائف الشرقيّة[2]".

جاءت براءة البابا لاون الثالث عشر "PRAECLARAM GRATULATIONIS"، في ٢٠ حزيران (يونيو) ١٨٩٣، لتشدّد على "شريعة التعدّديّة في الكنيسة من ضمن الوحدة في

---

١ ـ ديك الأب اغناطيوس، المجمع الفاتيكانيّ الأوّل والأساقفة الشرقيّون الكاثوليك، مقال في "نشرة أبرشيّة حلب للروم الكاثوليك" (١٩٨٣) العددان ٤ و ٥، ص ٤٢.

٢ ـ كويتر، مرجع سابق، ص ١١٦.

الإيمان والسلطة العليا والاعتراف بالنظام البطريركيّ، لتسهم في انفراج الأزمة، ما مهّد لدعوة من البابا إلى البطريرك لزيارة روما. وقد لبّى البطريرك سيّور الدعوة فزار الفاتيكان في ١٠ تشرين الأوّل (أكتوبر) يرافقه كاتم أسراره الخوري "ميخائيل شريم" والنائب البطريركيّ في أورشليم "فيليبُّس ملوك". وقد استُقبل البطريرك بحفاوة تليق برؤساء الدول[1]. وفي ٢٥ تشرين الأوّل (أكتوبر) بدأت الجلسات الرسميّة للقاء شارك فيه بطريرك السريان "بهنام" (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧)، والنائب البطريركيّ المارونيّ المطران "يوسف الحويّك" وخمسة كرادلة. وفي هذا اللقاء أبدى البابا لاون الثالث عشر حرصه على توحيد الكنائس الشرقيّة، واستعداده للعمل على توطيد سلطة البطاركة والحفاظ على امتيازاتهم وحقوقهم[2]. وقد أثمر ذلك اللقاء صدور براءة رسوليّة بعنوان "ORIENTALIUM DIGNITAS" في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٣، أمر فيها البابا لاون الثالث عشر بـ"اتّباع الشرع الشرقيّ عوضًا عن الحقّ القانونيّ الغربيّ، وبالعودة إلى روح مجمع فلورنسا، وبالحدّ من صلاحيّات الرؤساء الكنسيّين المحليّين، وتعزيز الكنائس الشرقيّة وصيانة تراثها الروحيّ ونظمها وطقوسها وامتيازات بطاركتها[3]". وعاد البطريرك سيّور حاملاً، من البابا، تفويضًا بحقّ الولاية الكنسيّة على جميع الملكيّين الكاثوليك في جميع أنحاء السلطنة العثمانيّة[4].

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٧٤، عن: شريم ميخائيل، رحلة البطريرك غريغوريوس الأوّل إلى روما سنة ١٨٩٤، مقال في "المسرّة"، السنة ٨ (١٩٢٢)، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٤، ٣٩٢ ـ ٣٩٦.

٢ ـ حاج، الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة، مرجع سابق، ٢: ٢٩٢.

٣ ـ المرجع السابق.

٤ ـ إندراوس، الكنائس الشرقيّة البيزنطية، مرجع سابق، ص ٢٥٥؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

في الثالث عشر من تمّوز (يوليو) ١٨٩٧، أسلم البطريرك غريغوريوس يوسف سيّور روحه لربّه، تاركًا إرثًا من الإنجازات والمآثر التي من شأنها أن توجز شخصيّته[١]. وتعتبر الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة هذا البطريرك، من أعظم بطاركتها، إلى جانب مكسيمُس مظلوم، ومن بين أبرز بطاركة الشرق على الإطلاق[٢].

أعلامُ القَرن التَّاسِع عَشر

برز في خلال القرن التاسع عشر من أبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة أعلام في مجالات الفكر والتاريخ والأدب والصحافة، من رجال دين ودنيا. وإذ لا يتّسع المجال هنا لتعداد جميع هؤلاء، وعددهم كثير، نكتفي بذكر أسماء رجال الدين منهم. فهناك الراهب الحنّاويّ **يوسف العجلوني** (ت١٨١٨) الذي اشتهر بأعمال الترجمة؛ والراهب المخلّصيّ اللاهوتيّ سابا كاتب (ت١٨٢٧)؛ والمؤرّخ والشاعر الراهب الحنّاوي **حنانيا المنيّر** (١٧٥٧ ـ ١٨١٥) المولود في زوق مصبح ـ كسروان وصاحب "تاريخ الرهبانيّة الشويريّة"؛ والأديب والمؤرّخ **ميخائيل نقولا الصبّاغ** (١٧٧٥ ـ١٨٦١) حفيد **ابراهيم الصبّاغ** طبيب ظاهر العمر، وُلد في عكّا وتوفّي في باريس حيث اشتغل في المكتبة الوطنيّة، عمل ترجمانًا لنابوليون بونابارت في مصر، اتّصل بالمستشرقَين: "دي ساسي"، و"كاترمير"، له "البرق والغمام في سعاة الحمام"، و"الرسالة التامّة في كلام العامّة"، و"تاريخ ظاهر العمر"؛ ومنهم المؤرّخ الراهب المخلّصيّ **أنطون بولاد** (ت١٨٧١)؛ والمؤرّخ الراهب المخلّصيّ **كيرلّس الحدّاد** (ت١٨٩٠)؛ والمؤرّخ

---

١ ـ معقّد المطران جرمانس، سبيل الصلاح، الجزء الأوّل، المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين، (بيروت، ١٨٩٨) ص ٢٤٩ ـ ٢٥٦.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٠.

المطران غريغوريوس عطا (١٨١٥ ـ ١٨٩٩) المولود في زحلة، الذي عيّن أسقفًا لحماة وحمص ويبرود سنة ١٨٤٩، وله من أبرز مؤلّفاته: "حوض الجداول التاريخيّة في طائفة الروم الكاثوليكيّة". وبرز، من علمانيّي الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة، في خلال القرن التاسع عشر وما قبله، في الأدب والشعر والعلوم والتربية والثقافة والفنون والصحافة والحقوق والطب والسياسة والدبلوماسيّة والإدارة وفي دنيا الأعمال والاقتصاد، في لبنان وسوريا ومصر وفلسطين وبلدان الانتشار، رجال ونساء مبرّزون، لمعت أسماؤهم في شتّى الميادين.

وفي القرن التاسع عشر أيضًا، أسّس الرهبان المخلّصيّون مطبعتهم، سنة ١٨٦٥، في "الوكالة المخلّصيّة" في بيروت، ثمّ ما لبثوا أن نقلوها إلى دير المخلّص في جون. وقد أسهمت هذه المطبعة في نشر مجموعة ضخمة من الكتب الدينيّة والطقسيّة والتاريخيّة والأدبيّة التي دبّجتها أقلام الرهبان، مؤدّين خدمات جلّى لتطوير الفكر وازدهار الثقافة ونشر الدين[١].

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١١١.

الفَصلُ الرَّابع

في القَرن العِشْرِين

بَطَارِكَةُ القَرن العِشْرِين؛

البَطرِيَرك بُطرُس الرّابع الجريجيري؛ البَطرِيَرك كِيرلُّس الثّامِن جحا؛

البَطريَرك دِيمِترِيُوس الأوّل قاضي؛ البَطرِيَرك كِيرلُّس التّاسع مغبغب؛

عَهدُ البَطريَرك مَكسِيمُس الرَّابِع الصّائغ؛

البَطرِيَرك مَكسِيمُس الخَامِس حَكِيم؛

مِن أعلامِ الكنِيسةِ الملكيّةِ الكاثوليكيّة في حقبَةِ القَرنِ العِشرين.

بَطارِكَةُ القَرنِ العِشْرِين

تولى السدّة البطريركيّة للكنيسة الملكيّة الكَاثُوليكيَّـة، منـذ وفـاة سيّور حتّـى اليـوم، سبعة بطاركة عملوا على توطيد أمور الكنيسة الملكية ورفع شأنها. وهم على التوالـي البطاركة: بطرس الرابع الجريجيري (١٨٩٨ ـ ١٩٠٢)؛ كيرلّس الثامن جحا (١٩٠٢ ـ ١٩١٦)؛ ديميـتريوس الأوّل قـاضي (١٩١٩ ــ ١٩٢٥)؛ كـيرلّس التاسـع مغبغـب (١٩٢٥ ــ ١٩٤٧)؛ مكسـيمس الرابـع الصـائغ (١٩٤٧ ــ ١٩٦٧)؛ مكسيمُس الخـامس حكيم (١٩٦٧ ـ ٢٠٠١)؛ البطريرك الحاليّ غريغوريوس الثالث لحّام.

البَطرِيَرك بُطرُس الرّابع الجرَيجِيرِي
(١٨٩٨ ـ ١٩٠٢)

إثر وفاة البطريرك سيّور، أصدر الكرسيّ الرسوليّ إعلامًا عيّن بموجبه المطـران كيرلّس جحا، متروبوليت حلب، قائمقامًا بطريركيًّا لحين انتخاب بطريرك أصيل، فدعـا إلى عقـد سينودس انتخـابيّ فـي ١٠ شـباط (فـبراير) عـام ١٨٩٨، فـي دير المخلّص للرهبانيـة الحلبيّــة فــي صربــا ــ جونيــه[1]، انتخــب المطــران بطــرس الجريجـيري

[1] ـ **دير المخلّص للرهبانيّة الملكيّة الحلبيّة**: سنة ١٨٨٣ إشترت الرهبانيّة الملكيّة الحلبيّة الأرض من عبد الأحد خضـرا، وكـان عليهـا رمّة على أنقاض قلعة صربا، وأسّست مكانها ديرًا ليكون مقرًّا للرهبان المتقاعدين. وفي سنة ١٩٦١ أضافت الرهبانيّة إلـى البنـاء القديم جناحًا ليضمّ الرهبان الإكليريكيّين الجدد. وفي بداية سبعينات القرن العشرين أصبح هذا الدير بمثابة المقرّ الرئيسيّ للرهبانيّة. وفيه عُقدت مجامع للبطريركيّة الأنطاكيّة الكاثوليكيّة التي كان لها الفضل في تطوير شؤون الطائفة في تاريخها المعاصر.

بطريركًا[1]. وبعد نحو شهر، أصدر البطريرك الجديد من ديوانه البطريركيّ، في دير المخلّص بصربا، في ٩ آذار (مارس)، منشوره الأوّل الذي ضمّنه برنامجه البنّاء. غير أنّ ولاية البطريرك الجريجيري القصيرة لم تسمح له بالقيام بإنجازات كبرى، وإن كان يتوق إلى تحقيق الكثير[2].

البَطريَرك كِيرِلّس الثّامِن جِحَا

(١٩٠٢ - ١٩١٦)

إثر وفاة البطريرك الجريجيري، عيّن الكرسيّ الرسوليّ مطران حلب الأسقف كيرلّس حجا، هذه المرّة أيضًا، مدبّرًا رسوليًّا للكرسيّ البطريركيّ. فدعا الأساقفة إلى عقد سينودس انتخابيّ في عين تراز، حيث انتُخب هو نفسه: كيرلّس جحا، بطريركًا، في جلسة واحدة، نهار الجمعة ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٠٢. وقد بارك البابا هذا الانتخاب برقيًّا، ثم أعلن الكرسيّ الرسوليّ تثبيته في المجمع المقدّس، في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٠٣. وأنعم الباب العالي عليه فورًا بالوسام المجيديّ من الدرجة الأولى، وأرسل له فرمان الاعتراف به مدنيًّا. وكان ذلك أسرع صدور لفرمان عثمانيّ في تاريخ كنيسة الروم الكاثوليك[3].

---

١ - راجع: بويز قيصر وخوري اسكندر، التحفة المليّة في التهاني البطريركيّة المرفوعة لغبطة السيّد الجليل وراعي الرعاة النبيل كيريوس بطرس الرابع الجريجيري البطريرك الأنطاكيّ والاسكندريّ والأورشليميّ وسائر المشرق للروم الكاثوليك الكلّيّ الطوبى، مطبعة الفوائد (بيروت) ص ٣ - ٦.

٢ - راجع: كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٠.

٣ - إدلبي المطران ناوفيطس، أساقفة الروم الملكيّين بحلب في العصر الحديث، مطبعة الإحسان (حلب، ١٩٨٣) ص ٣٣٢.

رأى متتبّعون لتاريخ البطريركيّة الملكيّة الكاثوليكيّة أنّ أبرز ما جرياتها في خلال عهد البَطريَرك كِيرِلُّس الثَّامِن جِحَا كانت: تأسيس جمعيّة الآباء المرسَلين البولسيّين؛ انعقاد "المجمع الملّيّ" في عين تراز سنة ١٩٠٩؛ تأسيس أوّل مجلّة بطريركيّة؛ بالإضافة إلى الأنشطة الراعويّة المختلفة[١]. وافتتح إرساليّة السودان ١٩١٢. وكان الجريجيري، في عهد أسقفيّته في حلب، قد أنشأ "المدرسة الأسقفيّة" و"الجمعيّة الخيريّة" فيها[٢]. كما تخلّل عهد البطريرك جحا حقبة الحرب العالميّة الأولى التي شهدت في خلالها كنيسته ما شهد سواها من نكبات وويلات.

جَمعيَّة الآبَاء المُرسَلين البُولسِيّين

يبدأ تاريخ جَمعيَّة الآبَاء المُرسَلين البُولسِيّين بمؤسّسها المطران جرمانُس معقّد (١٨٥٣ ـ ١٩١٢) الذي وُلد في دمشق، وفي السادسة عشرة من عمره دخل دير المخلّص دون أن يُعلم والدَيه، وقد اشتهر بتقشّفه الشديد وتقواه العميقة ومحبّته البنويّة للعذراء. بدأ معقّد نشاطه الراعويّ مربّيًا بعد أن سامه البطريرك غريغوريوس يوسف الثاني كاهنًا سنة ١٨٧٥، فعلّم الفلسفة في دير المخلّص، ثمّ خدم في الإسكندريّة فالقاهرة فدمشق، وأخيرًا في القدس، بصفة نائب بطريركيّ ١٨٨٠ ـ ١٨٨٦، ثمّ رُسم مطرانًا على أبرشيّة بعلبك ١٨٨٦ التي كانت في أسوأ الحالات من التخلّف الماديّ والإجتماعيّ والروحيّ، فبذل من حبّه وغيرته وتفانيه ثماني سنوات في خدمتها، وصونًا لحريّته ونزاهة ضميره من ضغوط بعض المستغلّين(...) وتأمينًا لخدمة

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ٨١ وما يليها.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

المناطق المهملة، اعتزل الأسقفيّة سنة ١٨٩٤، وراح يفكّر في تأسيس جمعيّة مرسَلين تكون مهمّتهم الوعظ والتعليم الدينيّ في الأوساط الإجتماعيّة.

لا بدّ من إلقاء لمحة على ما كان عليه وضع العلمانيّين الكاثوليك في تلك الحقبة، بالاستناد إلى الدراسات الموثّقة، لندرك الدوافع التي حثّت المطران معقّد على تأسيس جمعيّة المرسَلين.

يقول باحثون[١] في أوضاع الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة إنّه لم يكن أبناء الرعايا الملكيّين الكاثوليك، في ذلك العصر، يرتبطون ارتباطًا وثيقًا بكنيستهم، بشكل دائم وثابت، بل كانوا يبتعدون عنها في كثير من الأحيان، ويمتنعون عن ممارسة شعائرها الدينيّة، لسبب بسيط، كخلاف قد يقع بينهم وبين الكاهن، أو "استياء من تصرّف بعض الكهنة"[٢]. وكان يحصل مثل هذا الانقطاع أيضًا بسبب عادات وتقاليد محليّة، كما كان شائعًا على سبيل المثال، في جديدة مرجعيون، حيث كان الأهلون يمتنعون عن دخول الكنيسة إذا توفّي أحد الأقارب، حتّى يمرّ على وفاته عيد[٣]. كما أثّرت الصراعات العائليّة المحليّة في عدم الالتزام بممارسة الشعائر الدينيّة، خصوصًا إذا انحاز كاهن الرعيّة إلى أحد الفرقاء المتصارعين[٤]. وبصورة عامّة، ساعدت هذه الأوضاع على تفشّي حالة من الجهل الدينيّ وصلت إلى حدّ أنّ بعض أهالي راشيّا الفخّار الشيوخ كانوا لا يعرفون الاعتراف والمناولة[٥].

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠٢ وما يليها.

٢ ـ محفوظات الجمعية البولسيّة، سجلّ الرسالات، سجل رقم ١، رسالة طرابلس، ص ١٧١، فقرة ٢٧٣ (تنّورين).

٣ ـ المصدر نفسه، ص ١٤٢، فقرة ٣١٩.

٤ ـ من الأمثلة على ذلك خلافات آل الشامي وآل الخرياطي في جون، وآل الهندي وآل الطرابلسي وعبد النور في كفرحونة، وآل حرّو وآل الفرح في عين بورضاي ـ بعلبك. راجع المصدر السابق، ص ١٢٦ و١٦٣.

٥ ـ المصدر السابق، ص ١٤٠، فقرة ٣١٦؛ غير أنّ أهالي راشيّا ينفون صحّة ما ورد من عذا القبيل.

إلاّ أن الآفة الكبرى التي كانت تفرض هذا الجهل فرضًا، هي الزواج المبكّر الذي كان يتمّ عادةً عند الفتيان بين سنّ الخامسة عشرة والعشرين. أمّا عند الفتيات فكان من الممكن حصوله في سنّ الرابعة عشرة[١]. ومن السهل أن ينعكس هذا التقليد الإجتماعيّ على وضع الطفل التربويّ مدنيًا وروحيًا، خصوصًا إذا كان الولدان اليافعان ضعيفَين من الناحيتَين التربويّة والدينيّة.

ومع أنّ أبرز مهامّ الإرساليّات التبشيريّة، التي أمّت لبنان، كان تعليم الفتيان والفتيات، فإنّ هذا الأمر لم يكن ينفّذ بدقّة، خصوصًا بعد تحوّل هذه الإرساليّات إلى تعاطي شؤون الناس الحياتيّة، فضلاً عن أنّ تحوّلها إلى النشاط التربويّ لم يتمّ إلاّ بعد انطلاق المبشّرين الأميركيّين في هذا الميدان سنة ١٨٣٤. واقتصر نشاطها في الحقبة السابقة على التبشير وتعزيز علاقة الكنيسة الشرقيّة بروما[٢]، عبر "لتننة" خطيرة كانت تحصل في بعض المناطق، كما حصل عام ١٨٨٤ في القدس عندما كان المطران معقّد نائبًا بطريركيًّا. ولعلّ أبرز ما نستنتجه من ذلك الحدث، أنّ محاولات الإرساليّات في جذب الأرثذوكس إلى الكنيسة الكاثوليكيّة لم تكن تتمّ بوسائل عقائديّة وتعليميّة وتوجيهيّة بقدر ما كانت تتمّ بالمال تارة وبالتفسيحات الكنسيّة طورًا[٣]، ما شكّل خطرًا متزايدًا جرّاء إفراغ الكنائس الشرقيّة من رعاياها بعد "لتننتها".

ورغم جميع المحاولات التي بذلتها الحكومات المحليّة، في تلك الحقبة، لسدّ الفراغ الناشئ عن النقص في منجزات الإرساليّات التربويّة، ومع أنّ حكومة المتصرفيّة في عهد فرنكو باشا (١٨٦٨ ـ ١٨٧٣) قد جعلت التعليم الابتدائيّ إجباريًّا، فإنّ عدد

---

١ ـ ضاهر مسعود، تاريخ لبنان الاجتماعيّ ١٩١٤ ـ ١٩٢٠، دار الفارابي (بيروت، ١٩٧٤) ص ٢٢٨.

٢ ـ الصليبي د. كمال، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر (١٩٦٧) ص ١٧٣.

٣ ـ أسعد الخوري عيسى، الطرفة النقيّة في تاريخ المسيحيّة، مطبعة حمص (١٩٢٤) ص ٣٣٨.

المدارس لم يزد، في وقت واحد، على ٢٤ أو ٢٥ مدرسة موزّعة في مختلف أرجاء لبنان المتصرّفيّة[1]. مع لفت النظر إلى أنّ أنظمة مدارس المعارف لم تكن تنعش التعليم الدينيّ[2]. وقد اتّضح بصورة جليّة، إنطلاقًا ممّا حفظه بعض المحفوظات من معلومات، أنّ هذا الوضع المدرسيّ لم يكن يتمتّع به إلاّ المجمّعات السكنيّة الكبرى، أي المدن الكبرى في الجبل والولايات ومراكز الأقضية. أمّا القرى الصغيرة والنائية، فقد ظلّت على واقعها التعس اجتماعيًا وتربويًا، مع جواز حصول بعض الاستثناءات العرضيّة[3]. ففي الوقت الذي كان فيه الكثيرون من شبّان الروم وشابّاتهم، في قضاء مرجعيون (جنوبي لبنان)، يقرأون ويكتبون بفضل انتشار الإرساليّات البروتستانتيّة التي كانت تسهم في تثقيف الناشئة، محاولةً استمالتها دينيًا، كانت مناطق الشمال (اللبنانيّ) على عكس ذلك تمامًا[4]، ولا سيّما في القرى التابعة لأبرشيّة طرابلس (لبنان). وإذا أضفنا الضغوط التي كانت تمارس على المسيحيّين في بعض المناطق المختلطة[5]، تكوّنت لدينا فكرة عن حالة هؤلاء المسيحيّين في تلك الحقبة من التاريخ.

لا شكّ في أنّ انتشار الإرساليّات اللاتينيّة والبروتستانتيّة التي كانت تسعى إلى استمالة الشباب، ولا سيّما المثقفين، وتغلغلَ الماسونيّة في صفوف الشعب

---

١ - الصليبي، مرجع سابق، ص ١٧٩.

٢ - كبكب، مرجع سابق، ص١٠٩.

٣ - كسكّان جرجوع (قضاء ومحافظة النبطيّة، جنوبي لبنان) مثلاً الذين تميّزوا بثقافتهم، وسكّان دير ميماس (قضاء مرجعيون، جنوبي لبنان) الذين كان بعضهم متضلّعًا من الكتاب المقدّس. أنظر سجلّ الرسالات ١، ص١٨٢ و١٣٨.

٤ - التميمي رفيق وبهجت محمّد، ولاية بيروت، مطبعة الإقبال، ٢ج (بيروت،١٩١٦) أعادت دار لحد خاطر نشر الجزأين بالتصوير في مجلّد واحد (بيروت،١٩٧٩) ص١٨٤.

٥ - نورد مثالاً مستقى من سجلّ الرسالات ١، ص١٨١: ففي قرية جباع (قضاء ومحافظة النبطيّة، جنوبي لبنان) مَنعت الأكثريّة الشيعيّة الأقليّة المسيحيّة من تعليق جرس للكنيسة، فلم يعلّق إلاّ بعد احتلال الحلفاء للبنان، ولم تُبنَ قبّة الكنيسة إلاّ عام ١٩٢٣.

المسيحيّ[1]، قد ساعدا على إذكاء الجهل الدينيّ لأصول ممارسة الشعائر الدينيّة، وإن اختلفت الوسائل المستعملة. وما من دليل أسطع برهانًا على الوضع الدينيّ المترديّ الذي كانت تواجهه الرعايا، من ذلك الوضع الذي واجه المطران جرمانُس معقّد خلال أسقفيّته على بعلبك (١٨٨٦ ـ ١٨٩٤)، وذلك بالرغم من نشاط المرسَلين اليسوعيّين في البقاع باكرًا. فقد كانت الأبرشيّة تشكو أسوأ حالات التخلّف المادّيّ والاجتماعيّ والروحيّ. إذ كانت منطقة الرأس (رأس بعلبك) تضمّ ١,٦٠٠ من الروم الكاثوليك، خمسون منهم فقط مطّلعون على أصول الديانة، والباقون "لا يعرفون سرّ التثليث والتجسّد ولا شيئًا عن النصرانية". أمّا القاع (في قضاء بعلبك) فكان فيها زهاء ٨٠٠ نفس، يجهلون قواعد الديانة الضروريّة. ولمّا استفسر المطران عن سبب هذا الجهل، أُجيب: "يا سيّدنا، ما أحد، لا سألنا ولا علّمنا، لا مطران ولا خوري، ونحن من أين نعرف[2]".

ليس سرد هذه المعلومات كافيًا، فحسب، لتوضيح الأسباب التي دفعت بالمطران معقّد إلى الاستقالة من أسقفيّته وانصرافه للسعي من أجل تصحيح الوضع من الجذور، بل إنّ هذا الأمر يطرح على بساط البحث موضوع وضع رجال الإكليروس وعلاقتهم بالرعيّة. فإنّ تدخّل الكهنة في الشؤون المتعلّقة بأبناء الرعايا، ومشاطرتهم الحزازات المحلّيّة، قد أضعفا من شخصيّتهم وعلاقتهم بالمؤمنين. هذا فضلاً عن المساوئ الناتجة عن قلّة عددهم، إذ كانت أكثر القرى بأمسّ الحاجة إلى كهنة[3]. وكان مردّ أسباب عدم

---

١ ـ فيما ذكر المصدر السابق، ص ٢٤٠، أنّه كان في برعشيت (الجنوب) ١٧٥ عضوًا ماسونيًّا، نفى سكّان برعشيت المعاصرون صحّة هذه المعلومات.

٢ ـ مراسلات المطران معقّد، رسالة إلى البطريرك بتاريخ ٢١ نيسان (أبريل) عام ١٨٨٩.

٣ ـ سجلّ الرسالات ١: ص١٩٣.

وصول الكهنة إلى القرى كافّة، إلى العوَز والحوادث المتفرّقة تارة[1]، وإهمال بعض الكهنة لواجباتهم الروحيّة تارة أخرى، حتّى إنّ الكهنة في مصر كانوا يُتّهمون بأنهم "بُكم"، إذ تخلّوا عن مهمّة نشر كلمة الله[2]. وكان قسم كبير من كهنة الرعايا يفضّل الخدمة في المدن بدل القرى[3]. فها هو المطران معقّد يستغيث من بعلبك طالبًا كهنة، لا سيّما وأنّ الحاجة ملحّة لخدمة قريتَين عنده[4]. وهكذا يتّضح أنّ كنيسة الروم الكاثوليك كانت، في تلك الحقبة، عاجزة عن تأمين الخدمة الروحيّة لكثير من القرى النائية.

أمام هذا الواقع، قصد المطران جرمانُس معقّد روما سنة ١٨٩٦ وأطلع البابا لاون الثالث عشر على مشروعه وعلى خلفيّاته. وكان من الطبيعيّ أن يسارع البابا إلى مباركة هذا المشروع وتشجيع صاحبه. وفي تلك الرحلة، إلى روما، زار معقّد كنيسة القدّيس بولس"خارج الأسوار" حيث جاءه الوحي بأن يطلق على الجمعيّة إسم القديس بولس تيمّنًا بالرسول العظيم. فعاد إلى لبنان حيث أخذ يعدّ العدة لمشروعه الكبير الذي لاقى التشجيع من قِبَل البطاركة المتعاقبين: غريغوريوس يوسف الثاني سيّور، وبطرس الرابع الجريجيري، وكيرلّس الثامن جحا، فكانت انطلاقة الحلم الكبير. فقد تقدّم معقّد من البطريرك سيّور بطلب الإذن لتأسيس جمعيّة رهبانيّة تحمل اسم "جمعيّة المرسَلين البولسيّين[5]" في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٦، وافق البطريرك على المشروع وأصدر إعلامًا بطريركيًّا بتاريخ ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه،

---

١ ـ المرجع السابق، ص ١٢٠.

٢ ـ محفوظات الجمعيّة البولسيّة، مراسلات الأب بولس سيّور البولسيّ، رسالة من الكونت نقولا دبّانة في ١٠ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٠.

٣ ـ مراسلات معقّد، تاريخ ١٤ تمّوز (يوليو) ١٨٩٢.

٤ ـ المرجع السابق، ١٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٢.

٥ ـ للاطّلاع على التاريخ الكامل لهذه الجمعيّة راجع: كبكب د. وسام، جمعيّة المرسَلين البولسيّين، مرجع سابق، ص ٧١٢.

يدعو المحسنين إلى دعمه. ولكنّ وفاة البطريرك، وعدم توفّق المطران معقّد بإيجاد مكان مناسب لتأسيس الدير، أخّرا التنفيذ، على الرغم من تصديق البطريرك الجريجيري على المشروع عبر رسالة وجّهها إليه من القاهرة بتاريخ ٢٤ شباط (فبراير) ١٨٩٩، إلى أن تمكّن معقّد من بناء دير على إحدى تلال جبل حريصا المطلّة على مدينة جونيه[١]، بين التلّة التي يقوم عليها مقرّ البطريركيّة المارونيّة: بكركي، والتلّة التي يقوم عليها معبد سيّدة لبنان الشهير. وسرعان ما استقبل الدير الجديد الرعيل الأوّل من المرسَلين[٢]. وبعد وفاة الجريجيري، سنة ١٩٠٢، التمس المطران معقّد من خلفه البطريرك جحا المصادقة على المشروع، فأعلن البطريرك مباركته له عبر إعلام صدر بتاريخ ١٦ تمّوز (يوليو) ١٩٠٢، عزّزه بكتاب إلى أفراد الرعيل الأوّل بتاريخ ١٩ آب (أغسطس) ١٩٠٣ يحثّهم فيه على الثبات في بذل النفس في سبيل مجد اللّه وخير النفوس. وفي سنة ١٩٠٥، انضمّ إلى الجمعيّة الأب يوسف الصايغ الذي سيخلف المؤسّس في إدارة الجمعيّة بعد وفاته، وسيُرقّى الى رئاسة الكهنوت على أبرشيّة صور، ثمّ بيروت في ٥ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٣٣ باسم مكسيمُس، وسيُنتخب من ثمّ بطريركًا في ٣٠ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٤٧. وفي سنة ١٩٠٨، انضمّ الى "الجماعة الصغيرة" الأب أنطون حبيب، الذي قاد دفّة الجمعيّة الناشئة بحكمة ودراية نادرتَين من سنة ١٩٢٢ حتّى وفاته سنة ١٩٥١. وهكذا اكتمل عدد الأباء "الأربعة" الأوّلين الذين عايشوا المؤسّس وسمعوا إرشاداته وتوجيهاته، ولبثوا معه الى يوم وفاته بعرف القداسة في ١١ شباط (فبراير) ١٩١٢، تاركًا لأبنائه،

---

١ ـ تلك التلّة اشتراها المؤسّس من مال التبرّعات التي جمعها، وكانت تُعرف بـ"شير الطير" ذلك لارتفاعها وقفرها، وأخذ يبني الدير تدريجًا مبتدئًا بغرفة واحدة..

٢ ـ تألّف الرعيل الأوّل من المرسَلين البولسيّين من: الأب بولس سيّور، الشمّاش جرجي جنن، الأخ جوزيف أشقر، الذين جاؤوا جميعًا من إكليريكيّة القدّيسة حنّة في فلسطين.

مع عبء الرسالة ومشاق المسؤوليّة، أمثلة رائعة في التجرّد الكهنوتيّ والغيرة الرسوليّة، فضلاً عن بضعة عشر مؤلّفًا، في الأدب والوعظ والليتورجية والكتاب المقدّس والروحيّات، تعكس نفسها غنيّة بمواهب الله.

سنة ١٩٠٩ كان الدير قد أصبح ذا حجم معتبر، إذ أُسّست فيه مطبعة، على أيدي أعضاء الرسالة، أخذت تنمو مع الأيّام، حتّى غدت من أهمّ المطابع في لبنان. وقد عمل فيها العديد من أهالي درعون ـ حريصا وكثيرون منهم أصبحوا أصحاب مطابع في ما بعد لا تزال قائمة بعد تطويرها، وفي وقت قصير أضحت المنطقة القريبة من مركز الرسالة البولسيّة مركزًا للطباعة يزيد عدد المطابع فيه على العشر[١].

كانت الأهداف الرئيسة التي وضعها المؤسّس لهذه الرسالة، ترسيخ الإيمان والحياة المسيحيّة لا سيّما في الأوساط المحتاجة والمحرومة. ومن ثمّ تقريب القلوب والسعي الى رأب الصدع بين شقَّي الكنيسة الملكيّة بدراسات موضوعيّة ولقاءات أخويّة وتعاون مخلص، لإزالة رواسب الجهل والتباغض بين الطرفَين. وأخيرًا السعي لإقامة حوار مسيحيّ إسلاميّ بنّاء يرتكز على العلم الدقيق والمحبّة العميقة. لذلك عملت الرسالة على إصدار المنشورات التبشيريّة والتثقيفيّة على أنواعها بغية المساهمة الفعّالة في توجيه أمور المسيحيّين الروحيّة، وأمور جميع عباد الله. وقد أصدرت الرسالة مجلّة "المسرّة" سنة ١٩١١[٢]، وهي لا تزال تصدرها حتّى اليوم. وأصدرت العديد من الكتب الدينيّة، كما اهتمّت بإصدار أولى السلسلات المدرسيّة وهي مجموعة "المشوّق"

---

١ ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، مكتبة البستان، ج٣ (بيروت، ١٩٧١)

٢ ـ وافق "المجمع الملّي" المنعقد في عين تراز سنة ١٩٠٩ على إصدار هذه المجلّة، وصدر الإعلام البطريكيّ بشأن تأسيسها وإدارتها في ١ نيسان (أبريل) ١٩١٠، ظهر العدد الأوّل منها في مطلع حزيران (يونيو) ١٩١٠، اعتمدت في نهجها نشر المقالات الدينيّة والعلميّة والأدبيّة والأخبار "الملّيّة" والدراسات ذات الفوائد المتنوّعة بعبارة فصيحة وقريبة من متناول أذهان القرّاء العاديّين.

الشهيرة. ونشرت عددًا من الكتب الطقسيّة وغيرها. كما قامت جمعيّة المرسَلين البولسيّين بنشاط إجتماعيّ واسع النطاق، فافتتحت المدارس والمعامل والمطابع والمكتبات، هادفة من كلّ ذلك الى دعم وسائل تحقيق أهدافها السامية. فبالإضافة الى مدرستها الأولى في مقرّها الأساسيّ في حريصا، أسّست في جونية سلسلة من المعامل التي تنتج البلاط والمفروشات الخشبيّة والمعدنيّة والثريّات وغيرها. وبعثت الإرساليّات إلى "جدَيدة" و"خبَب" و"بصير" و"صافيتا" و"مرمريتا" في سوريا، وكان لها النشاط الواسع في منطقة "وادي النصارى" السوريّة التي كانت مهملة. كما أسّست مطرانيّة في الأردن. وكان لها نشاط في أميركا شملت "باترسون" و"فنزويلا" و"الأرجنتين". وفي جميع هذه الأصقاع، أنشأت جمعيّة المرسَلين البولسيّين المدارس والمعاهد وقامت بخدمة النفوس وبتوجيهها.

ومن معهد الجمعيّة في حريصا خرج عدد من الأساقفة الشهيرين، إذ أنشأت الجمعيّة سنة ١٩٣٨ مدرسة إكليريكيّة، من ضمن برنامج توسيعها لمؤسّستها التي أخذت تنمو منذ ذلك التاريخ. وفي سنة ١٩٥٢، افتتحت في مبناها الأساسيّ معهدًا كبيرًا لتعليم اللاهوت والفلسفة.

وكانت الجمعيّة قد وضعت في العام ١٩٤٧ تصميمًا لبناء كنيسة كبرى ما بين المدرستَين الكبرى والصغرى في حريصا، وقد تمّ إنشاء هذه الكنيسة ذات إحدى أجمل قبب كنائس الشرق، أُنجز بناؤها سنة ١٩٦٢. ووسّعت أبنية الدير على أجمل طراز وأصبحت مركزًا رئيسًا ضخمًا لجمعيّة المرسَلين البولسيّين. وكان قد تمّ في العام ١٩٣٨ تأسيس جمعيّة رهبانيّة نسائيّة باسم "جمعيّة راهبات سيّدة المعونة الدائمة"، على يد المطران مكسيموس الصايغ الرابع والمرسَلين البولسيّين، أقيم مركزها في درعون، حيث أصبح لديها دير شاسع ومدرسة إكليريكيّة، ولا يزال التعاون قائمًا بين

المرسَلين وبين هذه الرهبانيّة المستقلّة ذات الكيان الخاصّ، الخاضعة لإرشاد المرسَلين الروحيّ[1].

صحيحٌ أنّ تأسيس جمعيّة المرسَلين البولسيّين أوصل كلمة اللّه ورسالة الخلاص إلى كثير من القرى الفقيرة والمهملة التي لم يهتمّ أحد من رجال الدين برعايتها، إلاّ أنّ قلّة عدد "المرسَلين" قد أدّت إلى استفادة بعض المناطق فقط من الرعاية الروحيّة، كقرى حوران ووادي النصارى وضواحي دمشق وصور ومصر، في حين ظلّت مناطق واسعة بحاجة ماسّة إلى الرعاية[2].

مَجمَع عَينْ ترَاز وسائر النشاطات الراعَويّة

كان البطريرك السابق الجريجيري ينوي عقد مجمع لكنيسته بغية وضع قوانين حديثة لها، ولكنّ مرضه في آخر سنوات حياته قد حال دون ذلك، ولدى تولّي كيرلّس الثامن، عزم على عقد هذا المجمع لتدوين قانون كنسيّ كامل للروم الكاثوليك. فشكّل لجنة لوضع جدول أعمال المجمع قوامها: مطران صور "أفتيمس زلحف"، مطران حوران "نيقولاوس قاضي"، مطران زحلة "كيرلّس مغبغب"، ومطران عكّا "غريغوريوس حجّار". إلاّ أنّ عمل اللجنة قد طال، ولم يخرج جدول أعمال المجمع إلى حيّز التنفيذ. في حين كان المطران جرمانُس معقّد يأخذ على البطريرك مماطلته في عقد المجمع، وأبدى استعداده أمام المطران "اغناطيوس حمصي" لتحضير أعماله. فتجاوب البطريرك مع هذه الرغبة، وكلّف المطران معقّد في ٤ حزيران (يونيو)

١ ـ مفرّج طوني، الموسوعة اللبنانيّة المصوّرة، مرجع سابق.

٢ ـ كيكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠٢ وما يليها.

١٩٠٨ تَحضير أعمال المجمع[١]. فكتب المطران معقّد إلى البطريرك موافقًا على التكليف بالرغم من وضعه الصحيّ، وطالبًا منه حثّ الأساقفة، المكلّفين تحضير أجزاء من مواد المجمع، على الإسراع في عملهم، متعهّدًا إنجاز العمل الموكل إليه بأسرع وقت ليلتئم المجمع في صيف ١٩٠٨[٢]. إلاّ أنّ إنجاز الأعمال التحضيريّة لم يتمّ قبل ربيع ١٩٠٩، حين وجّه البطريرك إعلامًا إلى الأساقفة في ١٤ نيسان (إبريل) ١٩٠٩، دعاهم فيه إلى الاجتماع في عين تراز يوم عيد العنصرة في ٣٠ أيّار (مايو) من العام نفسه[٣].

تناول مجمع عين تراز أمورًا طقسيّة وقانونيّة وعقائديّة (الأسرار) وقضائيّة، وُزّعت على ١٠١٨ مادّة، في أربعة أقسام. وختم المجمع أعماله في ٨ تمّوز (يوليو)، وكُلّفت الجمعيّة البولسيّة بتنقيح مقرّراته وترجمتها إلى الفرنسيّة، بعد إضافة التغييرات التي أقرّها آباء المجمع. وأُرسلت المقرّرات إلى روما التي لم تُجب سلبًا أو إيجابًا عليها حتّى الآن[٤].

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٣، عن محفوظات جمعيّة المرسلين البولسيّين، مراسلات جرمانس معقّد، رسالة من البطريرك كيرلّس الثامن إلى المطران معقّد بتاريخ ٤ حزيران (يونيو) عام ١٩٠٨، رقم ٣/١٢٣.

٢ ـ المصدر السابق، رسالة من المطران معقّد إلى البطريرك بتاريخ ٢١ حزيران (يونيو) عام ١٩٠٨.

٣ ـ محفوظات جمعيّة المرسلين البولسيّين، سجلّ التحارير الواردة إلى المطران معقّد، سجلّ I، رقم ١٣.

٤ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٣.

آخـرُ أيَّـــام
كيرلُّس الثَّامِن

على صعيد النشاطات الراعويّة، كان البطريرك كيرلّس الثامن لا يوفّر مناسـبة إلاّ ويوجّه فيها منشورًا إلى أبناء كنيسته يوضّح لهم عبره معاني المناسبة، مسهمًا في تعليم أبنائه وتثقيفهم. وكانت هذه المناشير فاتحة لاعتماد البطاركة اللاحقين هذا الأسلوب في التعاطي مع المؤمنين. كما اهتمّ كيرلّس بشؤون المدارس وبتثقيف الناشئة، فدعم المعاهد البطريركيّة، وأسهم في زيادة عدد طلاّبها الذي ارتفع من ٢٠٠٠ إلى الضعف[١]. وفي هذا النطاق، كان قد أسّس في خلال حقبة أسقفيّته، "المدرسة الأسقفيّة" في حلب[٢]. واعتنى، وهو بطريرك، بالجمعيّات الخيريّة، وحضّها على متابعة أعمالها المبرورة في خدمة المعوزين، وفي هذا النطاق أيضًا كان قد أسّس في خلال حقبة أسقفيّته، "الجمعيّة الخيريّة" في حلب. وفي سنة ١٩١١ انتقل البطريك كبرلُّس الثَّامِن إلى القطر المصري حيث استقرّ حتّى نشوب الحرب العالميّة الأولى، فلم يتمكّن من العودة إلى سوريا ولبنان. وعندما خلعت بريطانيا الخديويّ عبّاس[٣] وعيّنت مكانه السلطان كامل[٤]، شارك البطريرك في حفل المبايعة، ما أغضب السلطنة العثمانيّة التي اعتبرت عمله هذا خيانة عظمى، بالنظر للعداء الذي كان قائمًا بين الحكم المصريّ والآستانة. وبنتيجة ذلك أقدمت السلطنة على سحب السلطة المدنيّة البطريركيّة

---

١ ـ "المسرّة"، السنة ٢ (١٩١١)، ص ٣١٦.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

٣ ـ **عبّاس حلمي الثاني** (١٨٧٤ ـ ١٩١٤): إبن الخديويّ إسماعيل، وُلد في القاهرة وتوفّي في جنيف، خديويّ مصر ١٨٩٢ ـ ١٩١٤، خفّف الضرائب، نشر التعليم ودشّن سدّ السودان، ردّ السودان لمصر، عزله الإنكليز.

٤ ـ **السلطان حسين كامل** (١٨٥٢ ـ ١٩١٧): إبن الخديويّ إسماعيل وأخو الخديويّ عبّاس حلمي الثاني وخليفته وأوّل من وُلّي السلطنة في مصر ١٩١٤ ـ ١٩١٧ بعد دولة الخديويّين، وُلد وتوفّي في القاهرة، درس في فرنسا، عُني بالزراعة.

التي كانت منحته إيّاها، وأمرت الأساقفة بانتخاب بديل عنه، تاركة لهم حريّة الاتّصال بروما في ما يتعلق بالشأن الروحيّ، منذرة إيّاهم بأنّهم إذا تخلّفوا عن الانتخاب، فإنّها سوف تسحب اعترافها "بطائفة الروم الكاثوليك"[1]. فاضطرّ كيرلّس إلى البقاء مقيمًا في مصر حتّى وفاته[2]. وفي خلال ذلك، أسّس إرساليّة السودان سنة ١٩١٢[3]. وقد تنامى عدد أبناء الروم الكاثوليك في عهد البطريرك كيرلّس جحا حتّى وصل إلى ١٤٤,١٩٥ مؤمنًا سنة ١٩٠٧[4].

نَكبَةُ الكَنيسَةِ المَلَكيَّةِ الكَاثوليكيَّةِ في خِلالِ الحَربِ العَالميَّةِ الأولى

عانت الكَنيسَةِ المَلَكيَّة الكَاثُوليكيَّة كثيرًا في خلال سنوات الحرب العالميّة الأولى. فالبطريرك كان شبه منفيّ في مصر، معزولاً عن ولايته المدنيّة في الأراضي الواقعة تحت سلطة الأتراك، وأصبح بعض الأبرشيّات في حالة فوضى بسبب وفاة أساقفتها أو نفي بعضهم. وتداركًا لتفاقم الموقف مع السلطنة العثمانيّة، التي كانت أنذرت الأساقفة بوجوب انتخاب بطريرك جديد، قدَّم هؤلاء مرشّحَين هما: أسقف صيدا "باسيليوس حجّار"، وأسقف "زحلة كيرلّس مغبغب". فاختار الأتراك المطران حجّار الذي أقام في دمشق، في حين ظلّ الأرشمندريت "ديمتري سكريّة" نائبًا بطريركيًّا للشؤون الروحيّة. وإذ كان البطريرك جحا قد توفّي في مصر في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٦[5]، فإنّ

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٤.

٢ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٤.

٤ ـ نصر اللّه الأب يوسف، الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة في خلال مئة سنة، مقال في "المسرّة"، السنة ٣٤ (١٩٤٨)، ص ١٦٥ ـ ١٧٠.

٥ ـ حاج، الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة...، مرجع سابق، ٢: ٤١٨؛ قابل: يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥، حيث جاء أنّه توفّي في ١٠ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩١٦، ونعتقد أنّ هذا التاريخ خاطئ.

نبأ وفاته لم يصل إلى الأساقفة قبل ١٨ شباط (فبراير). وكان المطران حجّار قد توفّي في دمشق قبل يوم من وصول نبأ وفاة البطريرك. فعيّنت روما مطران حلب الدمشقيّ الأصل "ديمتريوس قاضي" نائبًا رسوليًّا لحين اختيار بطريرك جديد[1]. وكانت السلطة العثمانيّة قد عيّنت موعدًا لانتخاب خلف للمطران حجّار، في آذار (مارس) ١٩١٦. وإذ اختار الأساقفة المطرانَين ديمتريوس قاضي وكيرلّس مغبغب، عيّنت الآستانة المطران قاضي قائمقامًا بطريركيًّا. ولعلّها قصدت بذلك توحيد السلطتَين المدنيّة والروحيّة بيد أسقف واحد، تخفيفًا للمشاكل التي قد تنشب بين هذه الكنيسة وبين السلطنة العثمانيّة[2]. وهكذا فعندما تسلّم المطران ديمتريوس قاضي رئاسة الكنيسة بصفة قائمقام بطريركيّ. كان قد توفّي أسقفان: مطران صيدا باسيليوس حجّار، ومطران صور أفتيموس زلحف. ونُفي أو تغيّب ستّة أساقفة: مطران طرابلس "يوسف دوماني" الذي نُفي إلى "سيواس"، مطران بعلبك "أغابيوس معلوف" الذي نُفي إلى "أورفا"، مطران حوران "نيقولاوس قاضي" الذي نُفي إلى حلب، مطران عكّا "غريغوريوس حجّار" الذي كان في مصر منذ بدء الحرب وكان محكومًا عليه بالإعدام، مطران بيروت "أثناسيوس صوايا" الذي كان في أوروبا، المطران "بولس أبو مراد" الذي كان في مصر منذ بدء الحرب. أمّا الأساقفة الذين ظلّوا في أبرشيّاتهم فهم: مطران زحلة والفرزل والبقاع "كيرلّس مغبغب"، مطران حمص "فلابيانس كفوري"، مطران بانياس "اقليمنضس معلوف"، والمطران "اغناطيوس حمصي" في عين تراز[3].

---

١ ـ حاج، الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة...، مرجع سابق، ٢: ٤١٨؛ قابل: يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥، حيث جاء أنّ المطران ديمتريوس القاضي، متروبوليت حلب، قد أُقيم وكيلاً بطريركيًّا قبل وفاة البطريرك بسبب وجود الأخير في مصر وعدم تمكّنه من العودة إلى لبنان وسوريا.

٢ ـ حاج، الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة...، مرجع سابق، ٢: ٤١٨.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٥.

في تلك الظروف الصعبة، بذلت الرهبانيّات قصارى جهدها وتكبّدت الكثير من النفقات لأجل إطعام الجياع الذين كانوا يؤمّون أديرتها يوميًّا بالمئات، ما جعلها مثقلة بالديون. وقد خرج دير المخلّص، في جون، من تلك الحرب مثقلاً بديون كبيرة على الرغم من سعة أملاكه وأرزاقه التي كانت تدرّ الغلال الوافرة، وعلى الرغم ممّا كان يرده من أموال طائلة من أوروبّا عن طريق سويسرا[١]. أمّا جمعيّة المرسَلين البولسيّين الفتيّة، فقد تعرّضت لهزّة عنيفة كادت تودي بكلّ الجهود التي بذلها المرسَلون أدراج الرياح. وعلى الرغم من كلّ ذلك، فقد تمكّنت من إسعاف مئات من الفقراء الذين كانوا يؤمّون الدير، فتكبّدت مبالغ ضخمة في سبيل تأمين القمح لهم وللفقراء، وبلغت ديونها حوالي ١٥٠٠ جنيه ذهبيّ[٢]. فضلاً عن ذلك، قامت الجمعيّة بإسعاف المرضى المهملين الذين نبذتهم أسرهم وقراهم في تلك الأيّام القاسية السوداء، وبدفن الجثث الملقاة على الطرقات. وإسهامًا في تخفيض عبء الديون التي سقطت على كاهلها جرّاء كلّ ذلك، توجّه النائب البطريركيّ ديمتريوس قاضي في ١٥ آذار (مارس) ١٩١٩ بإعلامٍ إلى أبنائه في مصر، حثّهم فيه على مساعدة الجمعيّة لمتابعة دورها الرسوليّ في خدمة الانسان[٣].

في ظلّ تلك الأجواء المفجعة، كان قدر النائب البطريكيّ المطران ديمتريوس قاضي أن يكون مسؤولاً عن الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة بين عامَي ١٩١٦ و١٩١٩. وقد حلّ بتلك الكنيسة، بالإضافة إلى كلّ ما ذكرنا، ما حلّ بسواها من المواطنين من

---

١ ـ بحري جميل، الإكليروس والمجاعة، مقال في "المسرّة"، السنة ٥ (١٩١٤ ـ ١٩١٩)، ص ٤٥٧.

٢ ـ سيّور الأب بولس البولسيّ، المجاعة في سورية ولبنان، مطبعة الفنون العصريّة (١٩١٩) ص ٢٨ ـ ١٢٩؛ يوميّات الجمعيّة البولسيّة، سجلّ ١، ص ٩٩.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٦.

نكبات مدّة الحرب العالميّة الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨، فتشتّت شمل الكثيرين مـن أبنائها، ونفت الحكومة العثمانيّة عـددًا غير قليل منهم، في دمشق وبيروت وبعلبك وزحلة وغيرها، إلى الأناضول، حيث عانوا العذاب واستشهد البعض منهم[1]. فلقد أمضى النائب البطريركيّ المطران ديمتريوس قاضي تلك السنين في كابوس يصعب وصفه، ولطالما سعى في اتّقاء شرّ "جمال باشا السفّاح"[2] لردّ الحيف عن كنيسته إكليروسًا وشعبًا. وقضى تلك السنوات منهمكًا في تدبير شؤون الرعيّة الدمشقيّة وكنيسته جمعاء. إلى أن كان دخول الحلفاء المنطقة في أواخر أيلول (سبتمبر) ١٩١٨ لينعش الآمال، وليخفّف من ثقل الضغط عن كاهل الروم الكاثوليك الذين كانوا متّهمين أبدًا بالتواطؤ مع فرنسا ضدّ السلطنة العثمانيّة[3].

---

١ ـ سيّور الأب بولس، أهم أخبار الطائفة الملكيّة مدّة الحرب العامّة، مقال في "المسرّة"، السنة ٥ (١٩١٤ ـ ١٩١٩) ص ٤٥٦.

٢ ـ **جمال باشا السفّاح** (١٨٧٢ ـ ١٩٢٢): القائد العام للجيش العثمانيّ الرابع، اشتهر في لبنان وسوريا وفلسطين أيّام الحرب العالميّة الأولى بظلمه وبإعدامه طائفة من الوطنيّين الذين اتّهمهم بالخيانة فلقّب بالسفّاح، قُتل في "تفليس" عاصمة جورجيا.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٦؛ إندراوس الأب الياس البولسيّ، الفاجعة الجلّى بوفاة المثلّث الرحمات البطريرك ديمتريوس الأوّل قاضي بطريرك أنطاكية والاسكندريّة وأورشليم وسائر المشرق ١٨٦١ ـ ١٩٢٥، مقال في "المسرّة"، السنة ١١ (١٩٢٥) ص ٦٨٦ ـ ٦٩٠.

البَطريَرك دِيمِترِيُوس الأوّل قَاضِي
(١٩١٩ ـ ١٩٢٥)

بقي المطران ديمتريوس الأوّل قاضي نائبًا بطريركيًّا يقوم بمهـامّ البطريـرك حتّـى اجتمع أساقفة الروم الكاثوليك بعد استتباب الوضـع فـي الشرق، وانتخبوه بطريركًا أصيلاً في ٢٩ آذار (مارس) ١٩١٩، في دير المخلّص في صربا*. فسارع إلى تعييـن ثمانية أساقفة لملء الشواغر، وكـان سـتّة منهـم مـن خرّيجـي إكليريكيّـة القدّيسـة حنّـة، وواحد من خرّيجــي مدرسـة رومـا اليونانيّـة، وواحـد مـن خرّيجـي الرهبانيّـة الباسـيليّة الشويريّة. ويبدو أنّ تلك التعيينات قد راعت اختيار أساقفة ذوي تنشئة جديدة تسمح لهم بإنهاض أبرشيّاتهم من الأوضاع الصعبة التي كانت واقعـة فيهـا جـرّاء نكبـات الحـرب العالميّة الأولى[١]. وقد اهتمّ البطريرك ديمتريوس في خلال ولايته القصيرة التي دامت ستّ سنوات، بشكل أساسـيّ بـأمور ثلاثـة: التربيـة والتثقيـف، شـؤون الأوقـاف، وعقـد مجمع ملّي للنظر في موضوع وضع نظامٍ ثابت لكنيسته.

رأى ديمتريوس أنّ الحاجة ملحّة للاهتمام بتـأمين مجـالات التعليـم لبنـات كنيسـته. ذلك أنّ الفتيات من بنات رعيّته كنّ يتخرّجن من مدارس متفرّقة على عوائد وطقـوس غريبة عنهنّ، ما كان يقطع روابطهنّ بكنيستهنّ وكهنتهنّ. لذلك سارع إلى الاتّفـاق مـع "راهبات المحبّة ـ البزنسون[٢]" سـنة ١٩٢١، علـى تأسـيس فـرع شـرقـيّ تحـت إشـرافه، يظلّ محـافظًا على الطقس الشرقيّ. وما إن أُسّس هذا الفرع حتّى عمدت الراهبات إلـى

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سـابق، ص٨٧، عـن: ZOGRAPHOS, SA *BÉATITUDE DIMITRI IER QADI, PATRIARCHE D'ANTIOCHE ET DE TOUT L'ORIENT, TOPOTÉRITE D'ALEXANDRIE ET DE JÉRUSALEM,* EXTRAIT DU STOUDIOUM, (OCT. 1925) PP. 185-187.

٢ ـ جمعيّة راهبات المحبّة البزنسونيّات: أُسّست رهبانيّتهنّ سنة ١٧٩٩.

تأسيس عدّة معاهد بإسم "الروم الكاثوليك" في القاهرة والإسكندريّة ودمشق. وفي العام ١٩٢٠، أسّس البطريرك ديميتريوس مدرستَين في باب المصلّى بدمشق على اسم القدّيس جاورجيوس، أولى للبنات وثانية للأحداث[١]. ونُسب إليه إنشاء مدارس وكنائس في "السلط" في شرقيّ الأردنّ و "قاهرة"[٢]. ومن الكنائس التي اهتمّ ببنائها، كنيستان في دمشق. كما بنى الدار البطريركيّة في الإسكندريّة، وميتمًا في دمشق[٣].

أمّا مشكلة الأوقاف، فكانت ناشئة عن أنّ الأوقاف كانت تسجّل باسم الأسقف، وليس باسم الأبرشيّة، ما كان يسبّب متاعب كثيرة للكنيسة ونفقات باهظة سواء لدفع تكاليف الدعاوى أو لإرضاء بعض الورثة. وفي سعيه لحلّ هذه المشكلة، توصّل البطريرك ديمتريوس مع المندوب الساميّ الفرنسيّ الجنرال "فيغان[٤]" إلى أن يعطي هذا الأخير مهلة سنة للمعنيّين لتفريغ العقارات من أسماء الأشخاص إلى أسماء معنويّة، دون دفع رسوم الانتقال. وأخذ البطريرك المبادرة إذ تفرّغ عن ملكيّة جميع الأملاك التي كانت على اسمه إلى بطريركيّة الروم الكاثوليك، كما نقل الأموال التي كانت مسجّلة في حسابه الشخصيّ في المصارف إلى حساب خاصّ بالبطريركيّة[٥]. بعد ذلك وجّه تعميمًا على الأساقفة والرهبانيّات والجمعيّات والمعاهد العلميّة بتاريخ ٢٥ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٢٣، طالبًا منهم جميعًا أن يحذوا حذوه[٦].

---

١ - الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٨٧.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

٣ - الشمّاس، مرجع سابق، ٣: ١٨٧.

٤ - **مكسيم فيغان** WEGAND (١٨٦٧ ـ ١٩٦٥): قائد فرنسيّ، المندوب الساميّ في لبنان وسورية ١٩٢٣، القائد الأعلى للقوّات الفرنسيّة ١٩٤٠، له "مذكّرات".

٥ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٧ ـ ٨٨؛ وصيّة البطريرك ديمتريوس في "المسرّة"، السنة ١١ (١٩٢٥)، ص ٧٠٩ ـ ٧١١.

٦ - إندراوس، مرجع سابق، ص ٦٩٧.

على صعيد تنظيميّ أساسيّ آخر، كانت الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة لا تزال تفتقر إلى نظام عامٍّ واضح وثابت، ما كان يسبّب لها أضرارًا لا مجال لتعدادها[١]. وكما ذكرنا سابقًا، فإنّ مقرّرات مجمع عين تراز بهذا الخصوص، كانت قد أُرسلت إلى روما عند اتّخاذها سنة ١٩٠٨، ولكنّ روما لم تجب لا إيجابًا ولا سلبًا على تلك المقرّرات. لذلك شكّل البطريرك ديمتريوس في مطلع سنة ١٩٢٤ لجنة لتهيئة أعمال مجمع ملّي لوضع قانون خاص بكنيسته، وحضر إلى بيروت شخصيًّا ليشرف على أعمالها. ثمّ ما لبث أن انتقل معها إلى دمشق ليسهل عليه الإشراف على أعمالها. لكنّه توفّي[٢] قبل إنجاز المشروع، فتأجّل عقد المجمع إلى عهد خليفته البطريرك مغبغب[٣].

البَطريَرك كيرِلّس التّاسع مغَبغَب
(١٩٢٥ - ١٩٤٧)

إثر وفاة البَطريَرك ديمِتريُوس الأوّل قَاضِي، عيّن الكرسيّ الرسوليّ متروبوليت صور "مكسيمس الصائغ" مدبّرًا رسوليًّا للبطريركيّة حتّى انتخاب بطريرك جديد. وفي ٢١ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٢٥، وبناءً على تعليمات روما، دعا المطران الصائغ أساقفة كنيسته إلى سينودس انتخابيّ يعقد بتاريخ ٣ كانون الأوّل (ديسمبر) في عين تراز*. إلاّ أنّ بعض الأساقفة قد اعترض على مكان المجمع، فتمّ الاتفاق على أن يُعقد في دير المخلّص في صربا[٤]، حيث افتتح المجمع أعماله في ٧ كانون الأوّل (ديسمبر)

---

١ - إندراوس، مرجع سابق، ٦٩٤.

٢ - جاء في كتاب يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥، أنّ البَطريَرك ديمِتريُوس الأوّل قَاضِي قد توفّي في ٢٥ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٢٥ أثناء ثورة الدروز.

٣ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٨.

٤ - حاج، مرجع سابق، ٢: ٤٢١.

بحضور ١٤ أسقفًا، ووكيل عن مطران صيدا. وأسفرت عمليّة الاقتراع عن انتخاب كيرلّس مغبغب[١] بطريركًا. فأبرق إليه البابا بيّوس الحادي عشر مهنّئًا، ومنحه الباليوم في أواخر حزيران (يونيو) ١٩٢٦[٢].

كان مغبغب، في حقبة أسقفيّته لأبرشيّة زحلة، قد سافر إلى أوروبّا وأميركا لجمع التبرّعات وإصلاح شؤون أبرشيّته. ونُسبّ إليه أنّه لمّا عاد إليها قاوم الماسونيّة مقاومة شديدة[٣]. وقد وصف باحثون في شؤون الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة البطريرك كيرلّس مغبغب بـ"البطريرك البنّاء"، وهو اللقب الذي حمله معه من أسقفيّته في الفرزل وزحلة والبقاع حيث لقّب بـ"المطران البنّاء". فبالإضافة إلى تكثيفه أعمال الوعظ والإرشاد وإصدار المناشير الراعويّة على طريقة البطريرك جحا، بنى مغبغب عددًا ملحوظًا من الكنائس في لبنان وسورية وفلسطين، ولدى رسالات شرقيّ الأردن والقطر المصريّ والعراق، واهتمّ بإرساليّات السودان[٤]. وقد نُسب إليه بناء أكثر من أربعين كنيسة ومدرسة ودارًا للكهنة[٥]. كما قام بتجديد الكراسي الأسقفيّة بكاملها، فرسم ١٣ أسقفًا

---

١ ـ كان **المطران كيرلّس مغبغب** رئيس أساقفة الفرزل وزحلة والبقاع منذ ١٨٩٩ حيث قام بأبرز عمليّة إعمار في أبرشيته، فبنى أربعين كنيسة وأنطوشًا ومدرسة حتى أُطلق عليه لقب "المطران البنّاء". راجع نبذة عن حياته ودوره السياسيّ والدينيّ خلال أسقفيّته على الفرزل وزحلة عند: كبكب وسام بشارة، دور المطران كيرلّس مغبغب في ولادة دولة لبنان الكبير، بحث في "المسرّة"، السنة ٨٠ (١٩٩٤)، العدد ٨٠٩، ص ٣٥٣ ـ ٣٨٤.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٨ ـ ٨٩.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

٤ ـ راجع حول إنشاءاته: TAWIL JOSEPH, *CYRILLE IX PATRIARCHE D'ANTIOCHE, D'ALEXANDRIE DE JÉRUSALEM ET DE TOUT L'ORIENT*, ART. DANS: LE LIEN, ANNÉE XII (1947), N. 7 ET 8, PP. 11-16; الأسود إبراهيم بك، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، المجلّد الثالث، المطبعة العلميّة ليوسف صادر (بيروت، ١٩٣٠) ص ٨٨؛ مقال بعنوان: الفاجعة الكبرى وفاة المطوّب الذكر البطريرك كيرلّس التاسع المغبغب بطريرك أنطاكية والإسكندريّة وأورشليم وسائر المشرق ١٩٤٧ ـ ١٩٥٣، في "المسرّة"، السنة ٣٣ (١٩٤٧)، ص ٤٦٩.

٥ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

خلال ولايته. وفي عهده فُصل شرقيّ الأردن عن بطريركيّة القدس وأبرشيّة الجليل، وبعدها قرّر الكرسيّ الرسولي إحياء أبرشيّة "بترا وفيلادلفيا وشرقي الأردن"[1] وعيّن عليها الأب "بولس سلمان"، أمين سرّ البطريرك، في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٣٢، فتسلّم رعيّة قوامها ٤,٠١٥ مؤمنًا يحيط بهم ١٠,١٦٧ من الروم الأرثذوكس و٣,٤٤٥ من اللاتين، يهتمّ برعايتهم ١٦ كاهنًا من الإكليروس المحلّي، وتحتضنهم ٧ كنائس و١٠ مدارس و٧ أناطيش[2].

وسجّل مراقبون لتطوّر أعمال الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة للبطريرك مغبغب إقامته علاقات صداقة طيّبة مع الكنيسة الأرثذوكسيّة، فلم تمرّ مناسبة إلاّ وعبّر فيها عن تقديره واحترامه لها. فقد كان يعي تمامًا أنّه يجب السعي إلى الوحدة المسيحيّة بأيّ ثمن أمام تصاعد التحدّيات الماديّة من كلّ الأشكال[3]. كما سجّل آخرون لعهده تحقيق تجديد طقسيّ بارز، إذ أثمرت جهود المطران الصائغ في سينودس تعنايل[4]، المنعقد في كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٢٦، تكليفًا رسميًّا للآباء البولسيّين بترجمة كتاب "الأورولوغيون[5]" وللمطران الصائغ بتحسين ترجمة الإنجيل المقدّس المعتمد في القدّاس الإلهيّ. وظهرت "السواعية" بحلّتها الجديدة سنة ١٩٢٨، في حين أُنجز الإنجيل

---

١ - راجع: كبكب وسام، تاريخ إنشاء أبرشيّة شرقيّ الأردن للروم الكاثوليك، بحث في مجلة "المسرّة"، السنة ٧٠ (١٩٨٤)، ص٦١٠ - ٦٢٢.

٢ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٩؛ الاحصاء مستقى من: محفوظات الجمعيّة البولسيّة، سجلّ الرسالات، سجل ١، ص ٣٧٤؛ ومن: SALMAN MGR. PAUL, *RAPPORT SUR LES MISSIONS GRECQUES CATHOLIQUES DU NOUVEAU DIOCÈSE* (*DE TRANSJORDANIE*, IMP. ST-PAUL, HARISSA - LIBAN, 1932) PP. 7 - 8.

٣ - TAWIL, OP. CIT., P. 18.

٤ - **تعنايل**: بلدة بجوار زحلة على متوسّط ارتفاع ٨٧٥ م عن سطح البحر، وعلى مسافة ٤٥ كلم عن بيروت عبر شتورة، فيها دير تاريخيّ للآباء اليسوعيّين يملك أكثر أراضيها.

٥ - **الأورولوغيون أو السواعية**: كتاب صلوات طقسيّة.

المقدّس سنة ١٩٢٩. وبعد نقل المطران الصائغ من صور إلى بيروت، تعذّر عليه إنهاء كتاب "الرسائل"، فأوكل هذا الأمر إلى الآباء البولسيّين الذين أخرجوه بكلّ عناية على صعيد التدقيق في الترجمة والصياغة اللغويّة والطباعة المتقنة، وقد أمر البطريرك مغبغب باعتماده في جميع رعايا الكنيسة الملكيّة[١]. وفي سنة ١٩٣٩، التأم مجمع آخر، بدعوة من البطريرك مغبغب، عُقد في المقرّ الصيفيّ للبطريركيّة في عين تراز بين ٢٠ و٢٦ أب (أغسطس)، وشارك فيه ١٣ أسقفًا وتغيّب اثنان بداعي السفر واثنان لأسباب صحيّة. وقد ناقش آباء المجمع مسائل كنسيّة قانونيّة وإداريّة ومسلكيّة وطقسيّة "ممتلئين حبًّا بعضهم لبعض وغيرة على خير رعاياهم وبلادهم"[٢].

مُرسَلات سَيِّدَة المَعُونَة الدائمَة

وفي عهد البطريرك مغبغب، أسّست "جمعيّة مرسلات سيّدة المعونة الدائمة" التي أشرنا إليها في مجال الحديث عن جمعيّة المرسَلين البولسيّين أعلاه[٣]. والجديد في هذه الرهبانيّة أنّ البولسيّين أرادوها جمعيّة راهبات تنطلق للعمل الرسوليّ بين المؤمنين، على غرار جمعيّة المرسَلين، على أن تأخذ على عاتقها الإرشاد الروحيّ للنساء والأولاد، والشؤون التربويّة والصحيّة والاجتماعيّة. فتكون رهبانيّة مغايرة للرهبانيّات النسائيّة التقليديّة في الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة آنذاك، والتي كانت بمجملها

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٨٩؛ راجع: كبكب وسام، جمعيّة المرسَلين البولسيّين...، مرجع سابق، ص٤٧١ ـ ٤٧٥.

٢ ـ "المسرّة"، السنة ٢٥ (١٩٣٩)، ص ٥٧٦؛ قرارات السينودس المقدّس لطائفة الروم الملكيّين الكاثوليكيّين المنعقد في المقرّ البطريركيّ بعين تراز من ٢٠ إلى ٢٦ آب (أغسطس) ١٩٣٩. مطبعة القدّيس بولس في حريصا.

٣ ـ جاء في نصّ كبكب أنّ الفضل في هذا التأسيس يعود لعمق تفهّم الآباء البولسيّين لشؤون العمل الرسوليّ، ولهمّة المطران مكسيمُس الصائغ الذي دعم المشروع ماديًا وبعطفه الأبويّ وتبنّاه قانونيًا لتذليل المشاكل القانونيّة التي كانت تثيرها الدوائر الرومانيّة وهي منع تعلّق الرهبانيّات النسائية، ذوات النذور البسيطة، من حيث السلطة، برهبانيّة رجاليّة.

رهبانيّات محصّنة تنعزل فيها الراهبة عن الحياة المدنيّة للتأمّل والصلاة وتقديس الذات. وقد تفتّحت بذور هذه الرهبانيّة في رسالة "مرمريتا[1]"، إذ التحق بها آنسات معلّمات، يعشن حياة اختباريّة مشتركة ومنظّمة بإشراف المرسَلين البولسيّين (١٩٢٩ ـ ١٩٣٥) ثمّ جُعل مقرّ هذه الرهبانيّة في حريصا حيث هيّأ الإقامة لراهباتها المطران الصايغ سنة ١٩٣٦، وفي العام ١٩٣٨ وضع البطريرك كيرلّس مغبغب حجر الزاوية للبناء الذي أصبح الدير الرئيسيّ للرهبانيّة. وعيّن المؤسّس الأمّ "فيرونيك بيطار" رئيسة عامّة أولى لها في أواخر آب (أغسطس) من العام نفسه. وفي الثاني من كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٣٩ دخلت الراهبات باحتفال، معبد الدير الرئيسيّ، وأقمن في ديرهنّ، فيما تكامل البناء، وبدأت الرهبانيّة تنتشر للقيام بالرسالة الموكلة إليها[2]. فبعد إتمام المركز الرئيس في حريصا، أنشأت الرهبانيّة فرعًا لتنشئة الطالبات السوريّات في حلب. وفي العام ١٩٣٩ أنشأن مدرسة سيّدة المعونة الدائمة في "فرن الشبّاك" من ضواحي بيروت الجنوبيّة، تفرّعت منها مدرسة في "جسر الباشا" من أعمال ساحل قضاء المتن في جبل لبنان سنة ١٩٦٨، وهي ضاحية شرقيّة جنوبيّة لبيروت، وقد حمل هذا الفرع إسم القدّيس مكسيمُس تيمّنًا. وفي مصر الجديدة ـ هيليوبوليس، بدأت مدرسة راهبات المعونة الدائمة سنة ١٩٤٤ بإشراف البطريركيّة، ثمّ استقلّت عنها سنة ١٩٥٩ واستمرّت بإشراف الرهبانيّة. وفي حلب أنشأت الرهبانيّة مدرسة على اسم القدّيسة كاترينا سنة ١٩٤٦، أقفلت سنة ١٩٦٧، يوم الاستيلاء الرسميّ على المدارس الخاصّة في سورية، مع سبع مدارس أخرى كانت أسّستها الرهبانيّة في القطر السوريّ. ولكنّ مدرسة القدّيسة كاترينا وحدها استعادت نشاطها في العام نفسه تحت

---

١ ـ مرمريتا: بلدة في وادي النصارى في سورية.

٢ ـ بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق والإسكندريّة وأورشليم، دليل كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك، مرجع سابق، ص٣٢٤ ـ ٣٢٥.

إسم "مدرسة الفرح". ولراهبات المعونة الدائمة أنشطة إجتماعيّة وتمريضيّة ورسوليّة في كلّ من "مرمريتا" في "وادي النصارى" في سورية، وفي "باب توما" و"القصّاع" و"صيدنايا" و"معرّة صيدنايا" في دمشق وضواحيها، و"العزيزيّة" و"حلب"، وفي "مصر الجديدة" و"القاهرة"، بالإضافة إلى "وادي العرايش" زحلة، و"زحلة"، و"كفرديبيان" من أعمال كسروان في قضاء كسروان ـ الفتوح في جبل لبنان، وفي "الدورة" في ساحل المتن ـ لبنان[١].

***

أثقلت كاهل البطريرك كيرلّس التّاسع مغَبغَب سنوات طويلة من الكدّ والجهاد، وهو الذي خدم الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة أسقفًا مدّة ٢٧ سنة، وبطريركًا نحو ٢٢ سنة، مصلحًا بنّاءً بغيرة نادرة النظير. فنمت الكنيسة الملكيّة في عهده حتّى بلغ عدد أتباعها في نهاية عهده ٢٤٧,١٧٠ بين مقيم ومغترب، وأصبحت تضمّ ٣٠٧ خورنيّات، و٣٧٨ كنيسة يرعاها ١٣٨ كاهنًا بين متبتّل ومتزوّج، و١٤٩ مدرسة للصبيان تضمّ ١١,٨٩٠ تلميذًا، و٤٧ مدرسة للبنات تضمّ ٤,٧٩٠ تلميذة. بالإضافة إلى ٢٩٩ راهبًا و٤٠ مرسلاً و ١١٢ راهبة و٣٧ مرسلة[٢]. وفي عهد البطريرك مغبغب اتّخذت الراهبات المخلّصيّات المرسلات سنة ١٩٤٠، والراهبات الشويريّات المرسَلات ١٩٤٥، شكلاً جديدًا[٣]. وإذ بدأت قوى ذلك البطريرك المعطاء تنهار منذ شباط (فبراير) ١٩٤٧، قرّر، بعد موافقة الكرسيّ الرسوليّ، تعيين المطران "بطرس كامل مدوّر" معاونًا بطريركيًّا يخفّف عن كاهله عبء المسؤوليّات البطريركيّة، وقد جرى

---

١ ـ بطريركيّة أنطاكية، مرجع سابق، ص٣٢٤ ـ ٣٢٨.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩١ ـ ٩٢.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

التعيين عبر مرسوم صدر بتاريخ ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ يحمل الرقم ٣٦٩/١٦. وفي ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٧، أصدر البطريرك مرسومًا جديدًا أعطى المطران مدوّر تفويضًا تامًّا بصفة وكيلٍ مطلق الصلاحيَّات في تصريف شؤون البطريركيّة الروحيّة والزمنيّة. وكان البطريرك قد أمضى آخر سني حياته في مصر بين القاهرة والإسكندريّة. وفي ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧، كان الضعف الشديد قد شلّ جسده، فأسلم روحه إلى ربّه مختتمًا نصف قرن من الجهاد[١].

عَهدُ البَطريَرك مكسيمُس الرَّابِع الصَّائغ (١٩٤٧ - ١٩٦٧)

إثر وفاة البطريرك كيرِلُّس التَّاسع، عيّن الكرسيّ الرسوليّ المطران "بطرس كامل مدوّر" مدبِّرًا رسوليًّا على الكرسيّ البطريركيّ للإشراف على انتخاب بطريرك جديد. فدعى الأساقفة إلى سينودس انتخابيّ عُقد في عين تراز بتاريخ ٢٦ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٤٧، حيث اختار آباء المجمع المطران مكسيمُس الصائغ بطريركًا باسم مكسيمس الرابع.

كان مكسيمُس حلبيّ الأصل، من آباء جمعيّة الآباء البولسيّين، وخرّيجي مدرسة القدّيسة حنّة الإكليريكيّة بالقدس. عيّن متروبوليت صور ١٩١٩ ـ ١٩٣٣، ثمّ رئيس أساقفة بيروت ١٩٣٣، واستمرّ كذلك حتّى تاريخ انتخابه بطريركًا[٢].

---

١ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩١ - ٩٢؛ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٥.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٦.

فور تسلّم البطريرك الصائغ السدّة البطريركيّة، بدأ يعمل أوّلاً في تنظيم شؤون كنيسته. فقرّر أن تُعقد المجامع سنويًّا بدل أن تُعقد مرّة كلّ عشر سنوات. وأجرى إصلاحات في مركزَي البطريركيّة في القاهرة والاسكندريّة، كذلك في دمشق وأورشليم. وأحاط مقامه بنخبة من رجال الإكليروس، على رأسها مساعده المخلص المطران بطرس كامل مدوّر، فشكّل هؤلاء الدائرة البطريركيّة التي كانت تزوّده بالدراسات والتقارير والاستشارات. وكان من أبرز مستشاري البطريرك الأب "أوريست كرامة"، مطلق "الحركة المسكونيّة" في مصر وفي كنيسة الروم الكاثوليك؛ ومن معاوني البطريرك أيضًا الراهب الحلبيّ الأرشمندريت "أدريانس شكّور" الذي تسلّم أمانة سرّ البطريركيّة طيلة عهد الصائغ، وإليه يعود الفضل في تنظيم محفوظات عين تراز؛ والآباء: "ثاوفيطس إدلبي"، و"هيلاريون كبوجي[1]"، و"بطرس الراعي[2]"، و"الياس نجمة"، وسوف يصبح جميع هؤلاء، في ما بعد، أساقفة معاونين أو أبرشيّين[3]. علمًا بأنّ البطريرك الصائغ قد عيّن في خلال ولايته ١٧ أسقفًا من بينهم ١١ من خرّيجي أكليريكيّة القديسة حنّة[4].

---

١ ـ **المطران هيلاريون كبوجي:** وُلد في حلب ١٩٢٢، دخل الرهبانيّة الحلبيّة حيث تلقّى علومه حتّى الفلسفة وتابعها في إكليريكيّة القدّيسة حنّة في القدس ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦، سيم كاهنًا ١٩٤٦، عضو في الإدارة البطريركيّة ١٩٥٣ ـ ١٩٦٢، رئيس عام الرهبانيّة الباسيليّة الحلبيّة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥، أسقف ووكيل بطريركيّ في القدس ١٩٦٥، أوقفته السلطات الإسرائيليّة في ١٩ آب (أغسطس) ١٩٧٤ وأبعدته في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٦، منذ ذلك التاريخ عيّنه الكرسيّ الرسوليّ زائرًا على الروم الملكيّين الكاثوليك في أوروبّا الغربيّة وهو نائب بطريركيّ للقدس.

٢ ـ **المطران د. بطرس الراعي:** وُلد في حلب ١٩٢٢، أكمل علومه في إكليريكيّة القدّيسة حنّة في القدس، سيم كاهنًا ١٩٤٨، دكتوراه في الحقّ القانونيّ، أمين سرّ البطريرك مكسيمُس الرابع، رئيس عام الرهبانيّة الباسيليّة الحلبيّة ١٩٦٥ و١٩٦٨، انتخبه السينودس معاونًا للبطريرك مكسيمُس الخامس ١٩٦٨، رُقّي إلى الدرجة الأسقفيّة ١٩٦٨، تولّى مسؤوليّة الحقل القانونيّ والمحاكم الكنسيّة، زائر رسوليّ لأبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة في أميركا الجنوبيّة ١٩٨٤.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩١ ـ ٩٢.

٤ ـ راجع: خوّام الأب جورج البولسيّ، مكسيمُس الرابع الراعي والأب، (١٩٨٨) ص ٧٧ ـ ٧٨.

تابع البطريرك مكسيمُس الصائغ خطّة أسلافه في تثقيف أبناء كنيسته، فاعتمد أسلوب الوعظ والخطابة، ودبّج ١٤ منشورًا راعويًّا في مواضيع روحيّة واجتماعيّة وسياسيّة وقانونيّة، ولسان حاله أنّ "الواعظ لا يصل إلى القلوب ويؤثّر فيها إلاّ بمقدار ما يقترب من حقائق الإيمان وتعاليم الإنجيل[١]". وقد أكثر الصائغ من العظات عبر الرياضات الروحيّة التي قام بها في مختلف أبرشيّات كنيسة الروم الكاثوليك، حتّى أُحصي له بين عامَي ١٩٠٦ و١٩١٩ حوالى ٧٥ رياضة، كانت، بشهادات رجال الإكليروس، "جدولاً سلسبيلاً يسيل رقّة وعذوبة[٢]".

من إنجازات البطريرك الصائغ إنشاء عدد من الكنائس والمدارس والإكليريكيّات والمياتم في بطريركيّات دمشق والاسكندريّة وأورشليم[٣]. وفي عهده انتعشت أبرشيّة شرق الأردنّ، وأبرشيّة القدس البطريركيّة، وتحسّنت أحوال أبرشيّة دمشق البطريركيّة، وأُسّست أبرشيّة اللاذقيّة سنة ١٩٦١[٤]. فعندما رأى البطريرك الصائغ أنّ رسالة وادي النصارى، التي كان يتحمّل أعباءها الآباء البولسيّون، قد تهيّأت لتصبح أبرشيّة، فصلها عن أبرشيّة طرابلس وأحيى أبرشية اللاذقيّة وتلكخ ومصياف وسلّم مقاديرها إلى الأب "بولس أشقر" البولسيّ سنة ١٩٦١. ويعود إلى عهد البطريرك الصائغ الفضل في إنشاء "الصندوق الطائفيّ العموميّ" لمساعدة الكهنة المعوزين والأبرشيّات الفقيرة، ومساندة مشاريع الكنيسة الملكيّة. وقد أُقرّ هذا المشروع في

---

١ ـ خواطر الأب يوسف الصائغ البولسيّ، مخطوط بقلمه، من محفوظات راهبات سيّدة المعونة الدائمة في حريصا، نشر في "خواطر" ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٠٧.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٣، عن مقال بعنوان: غبطة السيّد مكسيمُس الرابع الصائغ البطريرك الجديد على الطائفة الملكيّة، في "المسرّة"، السنة ٣٣ (١٩٧٤) ص ٥٣١.

٣ ـ خوّام، مكسيمس الرابع، مرجع سابق، ص ٦٧ ـ ٨١، ٨٥ ـ ٩٢، ٩٥ ـ ١٠٠.

٤ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٦.

سينودس آب (أغسطس) ١٩٥٠ بناءً على اقتراح المطران "جاورجيوس حكيم". كما قرّر سينودس أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ إنشاء لجنة طقسيّة دائمة برئاسة المطران بطرس كامل مدوّر للنظر في كافّة الكتب الطقسيّة الرسميّة قبل إعادة طبعها. وأكّد سينودس آب (أغسطس) ١٩٥٩ على ضرورة هذه اللجنة وأسند رئاستها إلى المطران "فيليبُّس نبعة"، وعيّن الأب ناوفيطُس إدلبي أمينًا للسرّ، على أن تشكّل عضويّتها من موفد من كل رهبانيّة ومن جمعيّة المرسَلين البولسيّين. كما تميّز هذا العهد بتجديد تنظيم المحاكم الكنسيّة على قواعد حديثة تضمّنت تشكيل المحاكم وطريقة عملها، ولوائح الدعاوى، والرسوم القضائيّة[1].

في بلدَان الانتِشَار

أعار البطريرك الصائغ موضوع رعايا الروم الكاثوليك في بلدان الانتشار اهتمامًا لم يعره له سواه من البطاركة السابقين. ذلك أنّ عددًا ملحوظًا من أبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة كان قد أصبح منتشرًا في الأميركتَين وأفريقيا، وتنظّموا بمبادرات فرديّة لبعض الكهنة، أمثال "كيرلّس عنيد" في "باترسون"، و"برنار غصن" في نيويورك. وتعود علاقة الصائغ مع المغتربين إلى عهد البطريرك قاضي الذي كلّفه، يوم كان أسقفًا، القيام بزيارة رعائية إلى أميركا الشماليّة سنة ١٩٢١ ـ ١٩٢٢. وهكذا فعندما تسلّم الصائغ السدّة البطريركية، وضع نصب عينَيه هدف المحافظة على رعايا كنيسته في بلدان الانتشار، غير هامل موضوع تأمين الدعوات الكهنوتيّة لهم. وكانت صعوبات جمّة تعترض طريق تعيين أساقفة في بلدان الانتشار، أبرزها تلك الناشئة عن أنّ الدوائر الرومانيّة كانت تفرض على كلّ الكاثوليك، لأيّ كنيسة انتموا، الخضوع

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٣ ـ ٩٤.

للأسقف اللاتينيّ المحلّيّ في البلد الذي يقيمون فيه. لذلك سعى البطريرك مع الرهبانيّات لتأسيس رسالات لها في تلك البلدان، فافتتح الآباء المخلّصيّون إكليريكيّة لهم في "ميتهوين" في ولاية "ماساتشوسيتس" الأميركيّة في ٣٠ أيّار (مايو) ١٩٥٤ بموافقة المجمع الشرقيّ. وظلّ البطريرك يبذل الجهود المكثّفة حتّى أثمرت مساعيه، في أواخر عهده، في ٩ آذار (مارس) عام ١٩٦٦، بتعيين إكسرخسًا على الملكيّين في الولايات المتّحدة، هو الراهب الحلبيّ "يسطينس نجمة". فكان هذا التعيين الخطوة الأولى التي تلتها خطوات لاحقة أتاحت للروم الكاثوليك أن ينعموا برئيس كنسيّ خاصّ بهم هناك. كما تمكّن من تحريك موضوع التنظيم المستقلّ للشرقيّين الكاثوليك في البرازيل. وإذ كان ينعم برضى البابا بيّوس الثاني عشر، ما لبثت روما أن عيّنت ثلاثة نوّاب عامّين لكردينال البرازيل "كامارا"، لكلّ من الكنائس المارونيّة والأوكرانيّة والملكيّة الكاثوليكيّة التي عيّن نائبًا لها الأرشمندريت "الياس كويتر". وفي ٢٤ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٩٦٠، أنجزت الخطوة الثانية، على عهد البابا يوحنّا الثالث والعشرين، الذي منح الأب كويتر درجة الأسقف المساعد للكردينال. وكان عدد الملكيّين في البرازيل قد أصبح يربو على الخمسين ألفًا[1]. كما تمكّن الصائغ من تحقيق الإنجاز نفسه في الأرجنتين، حيث عيّن نائبًا عامًّا لكنيسته هوالأب "الياس إندراوس" البولسيّ. ويظهر من بعض المدوّنات أنّ أبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة في فنزويلا قد شعروا بالحيف إذ لم يتحقّق في بلدهم ما كان تحقّق لأقرانهم في البرازيل والأرجنتين. فعندما كتب الأب "جورج فاخوري"، سنة ١٩٥٧، إلى "جورج ديك" المهاجر في كاراكاس، طالبًا منه تأمين بعض المشتركين لمجلة "المسرّة"، أجابه ديك برسالة جاء فيها: "قبل أن تطلب إليّ اشتراكات لأجل "المسرّة"، أسعفونا وأرسلوا إلينا كاهنًا يهتمّ

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ٩٢ ـ ٩٤؛ خوّام، مكسيمُس الرابع، مرجع سابق، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

بنا!"[1]. وهكذا تدخّل البطريرك الصائغ، بعد تجاوب رئيس أساقفة كاركاس اللاتينيّ المطران "بلانكو" مع جمعيّة المرسَلين البولسيّين التي أرسلت الأب "غفريل ديك" للاهتمام بالجالية الحلبيّة هناك. وظلّ الصائغ حتّى أواخر سنيه يبذل الجهود لتعزيز أوضاع الكنيسة الملكيّة في فنزويلاّ، وهي التي حظيت بعد وفاته، في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨، بمعبد على اسم القدّيس جاورجيوس في "كاراكاس" ككنيسة قانونيّة للرعيّة، وعُيّن الأب ديك أوّل كاهن رعيّة رسميّ ملكيّ كاثوليكيّ في فنزويلاّ[2].

قبل ذلك التاريخ، كان الكرسيّ الرسوليّ قد طلب إلى البطريرك الصائغ إيفاد كاهن من كنيسته لزيارة أبناء الكنيسة الملكيّة في القارّة الأفريقيّة وتفقّد أوضاعهم، فكلّف البطريرك الأب "بولس أشقر" البولسيّ بهذه المهمّة. وقد جال الأشقر على المغتربين في أفريقيا بين كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ وتشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٥١، وعاد حاملاً إحصاءً كاملاً عن المهاجرين اللبنانيّين والسوريّين وسائر أبناء أقطار الشرق الأدنى من مسيحيّين ومسلمين. وذكر باحثون[3] أنّ الأب أشقر قد تحدّث، في مذكّراته، حول تلك الرحلة، عن زيارة قام بها لأمبراطور الحبشة هيلاسيلاسي في ٧ تمّوز (يوليو) ١٩٤٩، فكان لها أثر كبير في وضع أبناء الجالية في أديس أبابا[4].

---

١ - خوّام، مكسيمُس الرابع، مرجع سابق، ص ١٠٧ - ١٠٨؛ كبكب، جمعيّة المرسَلين البولسيّين، مرجع سابق، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

٢ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٥.

٣ - كبكب د. وسام، المرجع السابق.

٤ - لم نقع على ذكر لأيّ نشاط للكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة في البلدان الأفريقيّة في المراجع التي بين أيدينا بعد ذلك التاريخ.

في العَمَل المَسكُوني

سجّل بعض مدوّني مسار الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة للبطريرك الصائغ، اهتمامه اهتمامًا شديدًا بالحركة المسكونيّة، وتمسّكه بالتقاليد والحقوق والطقوس الشرقيّة[1]. كما سجّل له بعضهم[2]، على صعيد العمل المسكونيّ، إقامته أطيب العلاقات مع الكنائس الأرثذوكسيّة، خصوصًا في مصر. فقد صرّح "خريستوفورس الثاني[3]"، بطريرك الاسكندريّة الأرثذوكسيّ، لدى خروجه من لقاء مع الصائغ، بقوله: "حتّى الآن، كانت علاقاتي ببطريركيّة الروم الكاثوليك ضئيلة للغاية، ولكنّي منذ الآن فصاعدًا سأصلح الماضي، وسوف أزوركم مرارًا". إلاّ أنّ المرض منع البطريرك خريستوفورس من تحقيق رغبته. كما تعرّف الصائغ إلى البطريرك المسكونيّ "أثيناغوراس الأوّل[4]" في مصر. وتحوّلت العلاقة البروتوكوليّة سنة ١٩٥٩ إلى صداقة متينة بين البطريركَين[5]، تعمّقت في خلال زيارة البابا بولس السادس إلى القدس سنة ١٩٦٤، حيث التقى البطريركان، المسكونيّ والكاثوليكيّ، في الدار البطريركيّة الأرثوذكسيّة في القدس[6]، وفي اللقاء التاريخيّ الذي جرى بين الحبرَين، في ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤، عندما قام البطريرك المسكونيّ بردّ الزيارة إلى البطريرك الصائغ[7]، وفي لقاء ثالث

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٦.

٢ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٥.

٣ - **خريستوفورس الثاني** (١٨٧٦ - ؟): وُلد في مديتُس تركيا، البطريرك الإسكندريّ للروم الأرثذوكس.

٤ - **أثيناغوراس الأوّل** ATHÉNAGORAS (١٨٦٨ - ١٩٧٢): وُلد في اليونان، بطريرك القسطنطينيّة الأرثذوكسيّ المسكونيّ ١٩٤٨، من دعاة التقارب بين الكنائس.

٥ - خوّام، مكسيمُس الرابع، مرجع سابق، ص ٨٨، ٧٩ - ٨١.

٦ - البابا في الأماكن المقدّسة، مقال في "المسرّة"، السنة ٥٠ (١٩٦٤)، ص ١٣٣ - ١٣٤.

٧ - المرجع السابق، ص ١٤٧.

* جرى في اسطنبول عندما قام البطريرك الصائغ بزيارة الكرسيّ المسكونيّ في الفنار بتاريخ ٣٠ أيّار (مايو) عام ١٩٦٤. وكان في ذلك اللقاء تأكيد من الطرفَين على أنّ باب الحوار المسكونيّ، الذي فتحه البابا بولس السادس على مصراعَيه، لن يستطيع أحد إغلاقه. وكانت الكلمة الأخيرة في هذا اللقاء للبطريرك المسكونيّ إذ قال: "كَم تأخّرنا حتّى عرفانكم، وكم تأخّرنا حتّى أحببناكم". وفي ذلك ما يعبّر عن مدى التقارب الذي أوجده البطريركان في العلاقات بين الكنيستَين الأرثذوكسيّة والملكيّة الكاثوليكيّة[١].

فِي المَجمَع الفَاتِيكَاني الثَّاني

سجّل مؤرّخو الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة للبطريرك مَكسيمُس الرّابِع الصّائغ "خوضه، في المجمع الفاتيكانيّ الثاني[٢]، أشرس معاركه وأكثرها تشريفًا". وقال بعضهم: "إنه يتوجّب علينا كتابة المجلّدات إذا ما أردنا أن نسترسل في دور كنيسة الروم الكاثوليك في ذلك المجمع[٣]". وجاء في المختصر أنّ دور الروم الكاثوليك كان بارزًا في المجمع في مرحلة تهيئة مسوّدات الأبحاث المجمعيّة وفي المناقشات وفي التعديلات الكثيرة التي طرأت على الدساتير العقائديّة والقرارات والبيانات قبل أن تأخذ شكلها النهائيّ.

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٦؛ فاخوري الأب جورج، مكسيمُس الرابع يلتقي أثيناغوراس، خبر في المسرّة، السنة ٥٠ (١٩٦٤) ص ٥٢٤ ـ ٥٣١.

٢ ـ **المجمع الفاتيكانيّ الثاني:** مجمع مسكونيّ عُقد في روما ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥، دعا إليه وافتتحه البابا يوحنّا الثالث والعشرون واختتمه البابا بولس السادس، درس أوضاع الكنيسة تجاه تحوّلات العصر وطرق تحديدها وإصلاحها ووضع توجيهات لتحقيق الوحدة المسيحيّة، حضره مراقبون من جميع الكنائس ومن العلمانيّين؛ راجع تفاصيل المجمع في الجزء العاشر من هذه الموسوعة.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٦؛ يمكن متابعة دور الروم الكاثوليك في المجمع الفاتيكانيّ الثاني في كتاب: *L'EGLISE GRECQUE MELKITE CATHOLIQUE AU CONCILE* الذي عرّبه الدكتور بشارة صارجي، وصدر عن مركز الأبحاث الروميّ الملكيّ الكاثوليكيّ في القدس.

وأشار بعض مؤرّخي الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة[1] إلى أمور أربعة، كان فيها لمواقف البطريرك الصائغ وأساقفته صدى بالغًا.

الأمرُ الأوّل: هو جلسة الإفتتاح التي عدل البطريرك الصائغ عن المشاركة فيها، خصوصًا وأنّ البروتوكول الإحتفاليّ كان يفرض على البطاركة تقبيل ركبة البابا، فهذه المسألة كانت غير مقبولة البتّة. وكان موقف البطريرك الاستنكاف عن حضور الاحتفال والجلسات لتقليص الإذلال إلى أقصى حدّ ممكن. صحيح أنّ البطريرك مكسيمُس الصائغ لم يشارك في حفل الإفتتاح، إلاّ أنّ مقرّه تحوّل إلى شبه مقرّ للمجمع بعد أن توافد إليه المستفسرون من آباء المجمع، وهذا ما رفع من معنويّات البطريرك ودفعه إلى المشاركة انسجامًا مع مواقف أساقفته التي عبّر عنها المطرانان جاورجيوس حكيم وفيلبُّس نبعة قائلَين: "نحن مقتنعون بأنّ روما تسيء معاملة بطريركيّتنا، وسوف ندافع عن موقفنا. ولكن يجب حضور المجمع والتحدّث فيه بقوّة من أجل تحقيق ذلك... والمجتمع ينتظر منّا أن نقوم بدور رائد إبّان المجمع... ثم إنّ أساقفة دون بطريركهم لا يمثّلون الكنيسة الملكيّة تمثيلاً حقيقيًّا. فإمّا أن ننسحب كلّنا معًا، وإمّا على البطريرك أن يبقى، وأن يعمل معنا"[2].

الأمر الثاني، كان اللغات المستعملة في المجمع، خصوصًا لغة الليتورجية. وقد انقسم آباء المجمع بين استعمال اللغة اللاتينيّة أو اللغات الحيّة. واحتدم النقاش مدّة ساعتَين دون جدوى حتّى أُعطي البطريرك الصائغ الكلام. فتكلّم بالفرنسية خارقًا نظام المجمع، وألقى خطابًا تاريخيًّا أكّد فيه على "أنّ المسيح ورسله قد تكلّموا بلغة معاصريهم. كما أنّ الكنيسة قد قبلت دائمًا في احتفالاتها الليتورجيّة اللغات جميعها. أمّا اللغة اللاتينيّة فقد أمست لغة ميتة، فيما الكنيسة حيّة دائمًا وينبغي عليها التكلم بلغة مؤمنيها اليوم"[3]. فجاء كلامه كدويّ انفجار في كنيسة القدّيس بطرس، حيث علا التصفيق حادًّا من قبل المشاركين في المجمع[4].

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٦.
٢ ـ خوّام، مكسيمُس الرابع، مرجع سابق، ص ١٢١ ـ ١٢٢.
٣ ـ خوّام، مكسيمُس الرابع، مرجع سابق، ص١٢٣.
٤ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٧.

الأمر الثالث، كان مناقشة مخطّط الوحدة الكنسيّة حيث كان يفترض بالمداخلة أن لا تزيد عن الدقائق العشر. وبما أنّ الوقت لا يكفي، فقد أتّبع الروم الكاثوليك خطّة ذكيّة بأن تناوب خمسة منهم على الكلام بشكل متتال، فكان أن عبّرت الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة عن رأيها على مدى ساعة تقريبًا في المجمع المسكونيّ. وقد تناوب على الكلام: البطريرك الفرنسيّة ونقل المطران حكيم كلامه إلى اللاتينيّة، ثم تبعه المطران نبعة، والمد ن الزغبي، والمطران إدلبي، والأب العامّ الشويريّ أثناسيوس حاج. وكانت مداخلاتهم طليعيّة، وكشفت عن المسؤوليّة التي يتحمّلها الكرسي الرسوليّ الرومانيّ في الانقسامات الكنسيّة[1].

الأمر الرابع، كان: "معجزة المجمع"، عندما تناول البطريرك الصائغ موضوع "الجماعيّة الأسقفيّة"، مصرّحًا بأن على الدوائر الرومانيّة ألاّ تنفرد بمساعدة البابا. فمصفّ الأساقفة المتّحد برئيسه أسقف روما هو صاحب السلطة العليا في الكنيسة على قدم المساواة مع البابا بصفته رئيس هذا المصفّ عينه. فما من جسم دون رأس، ولكن ما من رأس أيضًا دون جسم[2].

ويرى باحثون في موضوع الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة[3] أنّ تلك الكنيسة قد حقّقت إنجازات كبرى في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، تعود إلى عمق فهمها لدورها الخطير بين الشرق والغرب وفي العمل المسكونيّ. ورأى باحثون كنسيّون آخرون أنّ الأرثذوكس اليونان، رغم نفورهم من الكاثوليك الشرقيّين، أقرّوا بالدور الذي لعبته الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة في المجمع، ولا سيّما كنيسة الروم الكاثوليك، و"هي كنيسة مرتبطة بالتراث البيزنطيّ، وتنعم وحدها بين الكنائس البيزنطيّة بالنظام البطريركيّ". ومن

---

١ ـ خوّام، مكسيمُس الرابع، مرجع سابق، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

٢ ـ خوّام، مكسيمُس الرابع، مرجع سابق، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٧.

الدلائل على تغيير نظرة الأرثذوكس إلى الشرقيّين الكاثوليك، بسبب مواقف هؤلاء في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، الإستقبال الحارّ الذي هيّأه البطريرك المسكونيّ أثيناغوراس للبطريرك مكسيموس الرابع في اسطنبول في حزيران ١٩٦٤، وقد قال البطريرك المسكونيّ للبطريرك الملكيّ: "إنّك تحدّثت باسمنا"[١]. وكان للمطران ناوفيطوس إدلبي* ، بصفته عضوًا في اللجنة المعنيّة بإعداد القرار المتعلّق بالكنائس الشرقيّة في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دور بالغ الأهميّة في إعداد مشروع القرار الذي صدر بهذا الخصوص، والذي جاء بعد مناقشات طويلة في اللجنة المركزيّة للمجمع، حاملاً بُعدًا مسكونيًّا هامًّا، ليشكّل خطوة ملحوظة في مسار إعطاء الشرق، من جديد، المكانة التي يستحقّها في إطار الكثلكة. فقد جاء في القرار:

إنّ هذه الكنائس الخاصّة الشرقيّة منها والغربيّة... تنعم بكرامة متساوية، بحيث لا يجوز أن تتقدّم إحداها على الأخرى بسبب طقسها، إنّما تنعم جميعها بالحقوق ذاتها، وعليها الواجبات ذاتها، حتّى في ما يتعلّق بواجب التبشير بالإنجيل في العالم أجمع بقيادة الحبر الرومانيّ.

إنّ بطاركة الكنائس الشرقيّة يرئسون بطريركيّاتهم المختصّة كآباء ورؤساء... يؤلّف البطاركة مع سينودوساتهم المرجع الأوّل في كلّ أمور البطريركيّة، ولهم الحقّ في إنشاء أبرشيّات جديدة، وتعيين أساقفة من طائفتهم في حدود الولاية البطريركيّة، مع الحفاظ على حقّ الحبر الرومانيّ الذي لا يتغيّر في التدخّل في القضايا الداخليّة. لأجل هذا يقرّر المجمع المقدّس أن تُعاد إليهم حقوقهم وامتيازاتهم وفقًا لتقاليد قديمة لكلّ كنيسة، ولمقرّرات المجامع المسكونيّة. هذه الحقوق وهذه الامتيازات هي التي كانت قائمة في زمن الوحدة بين الشرق والغرب، ولو اقتضى الأمر أن تطابق نوعًا ما الظروف الراهنة.

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٨١.

وأقرّ المجمع بالدور المسكونيّ الذي تلعبه الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة "التي ليست عائقًا في سبيل الوحدة، بل من أقوى العاملين في حقلها، اللّهمّ إن تمسّكت بأمانة بتراثها الشرقيّ الأصيل[1]".

* * *

دامت ولاية البطريرك مكسيمُس الرّابع الصّائغ حوالى عشرين عامًا، قضاها في العمل الحثيث لتحقيق الوحدة المسكونيّة وإنعاش المسيحيّة. ومن أعماله البارزة عقد مجمع القاهرة سنة ١٩٥٨، وفيه أوضح وجهة نظر الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة في التشريع القانونيّ الجديد. وقيامه بزيارات كثيرة إلى أنحاء أوروبّا وأميركا. وفي عهده درجت العادة على أن يعقد السينودوس المقدّس اجتماعه كلّ سنة[2]. وقد توفّي البطريرك مكسيمُس الرّابع الصّائغ في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ عن عمر يناهز التاسعة والثمانين.

البَطرِيَرك مكسِيمُس الخَامِس حكِيم
(١٩٦٧ - ٢٠٠٠)

بعد مضيّ أسبوعين على وفاة مكسيمُس الرّابع الصّائغ، التأم السينودس الإنتخابيّ في عين تراز بتاريخ ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ بدعوة من المدبّر البطريركيّ المطران بطرس كامل مدوّر، وانتخب أسقف أبرشيّة عكّا وحيفا المطران جاورجيوس حكيم بطريركًا باسم مكسيمُس الخامس.

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣٨١ - ٣٨٢؛ إثر النقاش الذي أُجري في الجمعيّة العامّة، أُدخل على نصّ القرار بعض التعديلات الطفيفة، وكان التصويت النهائيّ في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ مؤيّدًا للقرار إلى حدّ كبير. فكان المؤيّدون ٢،١١٠ والمعارضون ٣٩ فقط. وفي اليوم نفسه أبرم القرار البابا بولس السادس ومجموعة الآباء.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٦.

وُلد جاورجيوس حكيم في طنطا بمصر عام ١٩٠٨، ومارس نشاطه الكهنوتيّ في القاهرة بين ١٩٣٠ و١٩٤٣، ثمّ ساس أبرشيّة عكّا وحيفا بين ١٩٤٣ و١٩٦٧. وفي عهد أسقفيّته حلّت النكبة بفلسطين، وتشرّد معظم أبناء كنيسته في الجليل، فاعتنى بشؤون اللاجئين وأعاد تنظيم الأبرشيّة، ليثبّت الذين صمدوا في الوطن[1].

تسلّم البطريرك مكسيمُس الخامس السدّة البطريركيّة وهي في ذروة التنظيم والازدهار. فاستمرّ بالتعاون مع المعاون البطريركيّ والعقل المخطّط للبطريركيّة المطران بطرس كامل مدوّر، واستعان بعددٍ من المستشارين وعيّنهم أساقفة معاونين بطريركيّين، أمثال الياس نجمة، وبطرس راعي*، ويوحنّا منصور[2]، بالإضافة إلى "نيقولاوس الحاج" الذي كان قد عيّنه البطريرك الصائغ. وحافظ على نظام السينودسات السنويّ، الذي كان ساريًا منذ عهد سلفه، لدرس شؤون الكنيسة في الشرق والشتات. وعمل على تجديد الهيئة السينودسية فرسم في مدّة ولايته ٣٢ أسقفًا، منهم ستّة في مطلع عهده ١٩٦٨ ـ ١٩٧١. وعمل على إنشاء مجلس أعلى لفعاليات الروم الكاثوليك في لبنان، مهمّته درس القضايا التي تعترض حياة الكنيسة والوطن، كما أحيا المجلس الملّي في دمشق ووضع له قانونًا ينسّق أعماله ويمكّنه من إدارة مهمّته بفعالية[3]. وعمل على بعث وتنظيم "الجمعيّة البطريركيّة لفرسان صليب أورشليم المقدّس" التي أسّسها

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

٢ ـ **المطران د. يوحنّا منصور**: وُلد في رأس بعلبك ١٩٢٨، التحق بإكليريكيّة القدّيس بولس في حريصا ١٩٣٨، سيم كاهنًا ١٩٥٢، مجاز في القانون اللبنانيّ والقانون الفرنسيّ والآداب والصحافة، دكتوراه في الدراسات الشرقيّة، رئيس لمعهد الفلسفة واللاهوت في الإكليريكيّة البولسيّة، مدير ورئيس لتحرير مجلّة "المسرّة"، أستاذ في كليّة الإعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانيّة، سيم أسقفًا وعيّنه السينودوس المقدّس معاونًا بطريركيًا ١٩٨٠، رئيس للإكليريكيّة البطريركيّة الكبرى في الربوة، تولّى رعاية الكنائس الملكيّة الكاثوليكيّة في بلدان الانتشار، ومسؤوليّة علاقات البطريركيّة بالمعاهد الدينيّة إلى جانب الحقل الإعلاميّ.

٣ ـ جنبرت الأب جان، مكسيمُس الخامس حكيم بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، طبع بمناسبة وضع حجر الأساس لمشروع الربوة السكنيّ في الخامس عشر من أيّار (مايو) (١٩٨٤) ص ٢٠.

البطريرك الصائغ، بأن وضع لها، في ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩، قانونًا جديدًا مفصّلاً. وأعاد تنظيم مجلّة "الرابطة" التي أسّسها في مصر، وانتقلت معه إلى أبرشيّة عكّا، وحملها معه إلى السدّة البطريركيّة، لتصدر باللغة الفرنسيّة، فتشكّل رابطًا بين البطريركيّة وأبنائها في الشرق وبلاد الاغتراب[1]. وأنشأ سلسلة مدارس وإكليريكيّات في لبنان وسورية، أبرزها مشروع إكليريكيّة القدّيسة حنّة في "الربوة" من أعمال وسط قضاء المتن في لبنان[2]. وقام بمشاريع عمرانيّة هامّة في مختلف أنحاء البطريركيّة[3]، وأنشأ عددًا من الكنائس والمؤسّسات الاجتماعيّة، وعزّز وضع المدارس البطريركيّة[4]. وعلى العموم، فقد أدار البطريرك مكسيمُس حكيم كنيسته بحكمة في خلال حقبة مضطربة من تاريخ لبنان والشرق الأوسط. وقد بذل جهدًا كبيرًا لإعادة السلام إلى لبنان أثناء الحرب الداخليّة التي اندلعت عام ١٩٧٥، ونُكبت أثناءها، بشكل خاصّ، أبرشيّات الجنوب اللبنانيّ وجزء كبير من أبرشيّة بيروت، فجنّد كلّ طاقات كنيسته لإعانة المهجّرين[5].

وعلى صعيد الإنتشار، درج البطريرك حكيم على تفقّد شؤون الرعيّة بشكل متواصل، ليحافظ على الرابط بين الكنيسة في بلدان الانتشار والكنيسة الأمّ[6]. وبذل

---

١ - جنبرت، مرجع سابق، ص ١٣ - ١٤.

٢ - أتمّ البطريرك حكيم عام ١٩٧٧ بناء الصرح البطريركيّ في الربوة بلبنان، وفيه مقرّ الإكليريكيّة البطريركيّة الجديدة التي عُني بتنظيمها، بعد أن أُغلقت إكليريكيّة القدّيسة حنّة في القدس عقب حرب ١٩٦٧ (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٦ - ٣١٧)

٣ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٦ - ٣١٧.

٤ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٨.

٥ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٦ - ٣١٧.

٦ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٨؛ بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق والإسكندريّة وأورشليم، دليل كنيسة الروم، مرجع سابق، ص ٤٢.

اهتمامًا واضحًا بأوضاع الروم الكاثوليك خارج الشرق، وقد ازدادت هجرتهم إثر الأحداث اللبنانيّة، فكرّس الكثير من وقته لزيارة جالياتهم[1]، حيث دافع عن حقّ الكنيسة في تنظيم أمورها وفق شرعها الخاص، لا سيّما في ما يختص بالكهنة المتزوّجين. وعمل على تنظيم الرعايا[2]. وتابع وآباء السينودس المقدّس مع الكرسيّ الرسوليّ جهود سلفه في الدفاع عن حقوق الكنائس الشرقيّة وامتيازاتها[3]. وسعى لإنشاء أبرشيّات ملكيّة تحتضن الروم الملكيّين في الشتات، فأثمرت تلك المساعي بأن توطّدت أركان أبرشيّة البرازيل منذ سنة ١٩٧١، وأبرشيّة "نيوتن" وسائر الولايات المتّحدة منذ سنة ١٩٧٧، وكندا منذ ١٩٨٠، وأوستراليا منذ ١٩٨٧. وتمّ إنشاء إكسرخسيات في المكسيك وفنزويلا سنة ١٩٩٠، وباريس سنة ١٩٥٠، ومرسيليا سنة ١٩٦٧. وأنشئت أولى الرعايا في روما في حزيران (يونيو) ١٩٧٢ بعدما وهب البابا بولس السادس كنيسة "القدّيسة مريم إن كوزمدين SANTA MARIA IN COSMEDIN" للبطريرك حكيم. وفي بلجيكا نشأت أولى الرعايا سنة ١٩٨٠ بهمّة بعض الكهنة البلجيكيّين المنضمّين إلى الطقس البيزنطيّ، وعلى رأسهم الأب "سيرج ديسّي". وبقي الهاجس الأكبر: كيف نربط هذا العدد من المهاجرين المتنامي، سنة بعد سنة، بالوطن الأمّ. فعَقِبَ تشجيع السينودس المقدّس والمجلس الأعلى للروم الكاثوليك في لبنان، وبطلب من البطريرك حكيم، وُلدت فكرة تأسيس "اتّحاد عالميّ للروم الملكيّين الكاثوليك U.M.C.I."، وقد عُقد مؤتمر في مونتريال، بين ٥ و٧ أيّار (مايو) ١٩٨٦، وضع الشرعة لهذا الاتّحاد[4].

---

١ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٨.

٣ ـ يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

٤ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص٩٨؛ بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق والإسكندريّة وأورشليم، دليل، مرجع سابق، ص ٤٢.

مسألة

العَمَل المَسكوني

يرى بعض المفكّرين الباحثين الملكيّين الكاثوليكيّين[1] في مسألة انفصام الكنيسة الملكيّة إلى أرثذوكسيّة وكاثوليكيّة من خلال حركة ١٧٢٤، أنّ تلك الحركة لم تُبحث حتّى اليوم بجدّية، ولم يتطرّق إليها بإسهاب أحد من الباحثين، ولم يقيّمها أحد من المؤمنين تقييمًا علميًّا وموضوعيًّا.

وفي هذا المجال، يستخلص باحثون ملكيّون كاثوليكيّون أنّ الكنيسة الملكيّة أرادت أن "تقاطع واقع القطيعة" من دون أن يلزمها ذلك بمقاطعة الشرق، فدخلت سنة ١٧٢٤ في المشروع اللاتينيّ، متّكئة على تراثها الجامعيّ (الكاثوليكيّ)، فتسبّب ذلك بانشقاقٍ جديد في جسم الكنيسة مصيبًا بطريركيّة أنطاكية الملكيّة في الصميم، فانقسمت إلى كنيستَين: أرثذوكسيّة، وكاثوليكيّة. فالكنيسة الملكيّة في سعيها إلى الوحدة "انضمّت إلى الموقف الرومانيّ في مواقع النزاع التي باتت تُلهب الجدل بين الكنيستَين من غير أن تسعى إلى استخلاص وجه التكامل بين وجهات النظر[2]".

ويقول الباحث الأوّل[3]: صحيح إنّ انقسام الكنائس الشرقيّة، إلى كنائس أرثذوكسية وأخرى كاثوليكيّة، يُعتبر طعنة في صميم الحركة المسكونيّة بمفهوم العصر، إلاّ أنّ خطّ الكرسيّ الرسوليّ الوحدويّ ظلّ، حتّى المجمع الفاتيكانيّ الثاني، مبنيًّا على أساس

---

١ ـ كبكب، مرجع سابق، ص١١٧.

٢ ـ باشا المطران حبيب، الروم الملكيّون الكاثوليك، الهويّة والرسالة، مترجم عن النصّ الفرنسيّ للأرشمندريت إغناطيوس ديك (بيروت،١٩٨٦) ص ٧١.

٣ ـ كبكب، مرجع سابق، ص١١٧.

انضمام كلّ الكنائس إلى كرسيّ روما، وتحت رئاسة قداسة البابا. وإنّ هذا الخطّ ظلّ غالبًا على مسيرة الكنيسة العالميّة بالرغم من محطّات مع بعض البابوات الذين نظروا إلى الكنائس الشرقيّة نظرة أخوّة واحترام، وأصدروا المراسيم التي تحفظ لها حقوقها وكرامتها. وكان الرهبان اللاتين، الذين أمّوا الشرق، جنود ذلك الخطّ منذ القرن السادس عشر. فقد أسّسوا المدارس، وبذلوا المال الوفير في سبيل تفريغ الكراسي الشرقيّة من المؤمنين ليحقّقوا وحدة الكنيسة بحسب المفهوم الغربيّ لها.

ويرى المفكّر نفسه[1] أنّ الكنيسة الملكيّة قد عاشت كاثوليكيّتها (جامعيّتها) منذ مجمع خلقيدونيا (٤٥١). فسياسة الأباطرة القائمة على مفهوم "القيصريّة البابويّة CESAROPAPISME" كانت تحتّم الوحدة في الأمبراطوريّة كما في الكنيسة. وكان الأباطرة يسعون لرأب أيّ انقسام في الكنيسة مخافة أن ينعكس ذلك على وحدة الأمبراطوريّة. لذلك عاشت بطريركيّة أنطاكية الملكيّة كاثوليكيّتها منذ حداثتها وتمرّست في هذه الجامعيّة طيلة تاريخها. ويوم انقسمت الكنيسة بين شرق وغرب، سنة ١٠٥٤، لم تجد الكنيسة إلاّ بطريرك أنطاكية بطرس الثالث ليحذّر البطريرك القسطنطينيّ قيرولاريوس (١٠٤٣ ـ ١٠٥٩) من مغبّة الانشقاق عن الكنيسة الرومانيّة والضرر الكبير الذي قد يترتّب عليه، وليرجوه معاملة إخوتنا اللاتين بمحبّة وعاطفة مسيحيّتَين. فالخلاف بين روما والقسطنطينيّة خلاف بديهيّ يقوم على الصراع السياسيّ والحضاريّ بين جزأي الأمبراطوريّة، أمّا الكرسيّ الأخرى فلا مصلحة لها دينيّة أو سياسيّة في الانشقاق. والجدير بالذكر أنّ البطريركيّة الأنطاكيّة الملكيّة لم تقم بأيّ إجراء رسميّ لقطع العلاقات بين الكنيستَين الرومانيّة والملكيّة، بل إنّ الظروف السياسيّة والضغط العربيّ الإسلاميّ هي التي حتّمت القطيعة ومنعت الاتّصال بينهما.

---

١ ـ كيكب، المرجع السابق.

وكانت البطريركيّة الملكيّة تغتنم كلّ فرصة ممكنة لكي تعبّر عن كاثوليكيّتها من خلال اتّصال بعض بطاركتها بالكرسيّ الرومانيّ. كما أنّ مجمع فلورنسا، الملتئم سنة ١٤٣٩، ظلّ في نظر التقليد الملكيّ، المجمع المسكونيّ الثامن، وإن كانت السلطة الكنسيّة الملكيّة اضطرّت إلى التصدّي له تضامناً مع المصفّ الأسقفي البيزنطيّ. غير أنّ العلاقات الوديّة والشركة الروحيّة القائمة بين البطاركة الملكيّين وكنيسة روما، تحوّلت بعد المجمع التريدنتينيّ إلى علاقة متّسمة بالتبعيّة، وذلك نتيجة للخطّ المتصلّب الذي اتّبعه البابوات في علاقتهم مع الكنائس المتّحدة. ووصل إلى ذروته مع المجمع الفاتيكاني الأوّل الذي جعل أوّليّة البابا وعصمته عقيدة دينيّة[١].

وانطلاقًا ممّا حدث عام ١٧٢٤، سار فرع من الكنيسة الملكيّة نحو الوحدة مع روما، في حين تمسّك الفرع الآخر بموقفه العدائيّ منها، بل إنّ هذا الموقف ازداد عدائيّة بسبب ممارسات الرهبانيّات اللاتينيّة في الشرق، متّخذًا طابع العدائيّة المزدوجة: عدائيّة تجاه روما تحميلاً لها مسؤولية إفراغ الكنائس الأرثذوكسيّة من المؤمنين وتحويلهم إلى الكنيسة اللاتينيّة أو الكنائس المتّحدة؛ وعدائيّة تجاه الفرع الأنطاكيّ الكاثوليكيّ يرافقها حقد وازدراء وتهم بالخيانة والعمالة. وقد تُرجمت هذه العدائيّة المزدوجة باتّساع شقة الخلاف مع روما وبممارسة فصول من الاضطهاد والملاحقة لأتباع الفرع الكاثوليكيّ استُعملت فيه كلّ الأسلحة المتاحة في سبيل خنق الحركة في مهدها[٢].

لقد درس آباء السينودس الملكيّ الكاثوليكيّ المقدّس، منذ عام ١٩٦٨، ما لا يقلّ عن ٣٧ وثيقة، بين مذكّرة وتقرير لجنة ومشروع، تتناول العمل المسكونيّ. وقد شكّل سينودس عين تراز، في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٨، لجنة مسكونيّة بطريركيّة ضمّت

١ ـ كبكب، المرجع السابق.

٢ ـ كبكب، المرجع السابق.

خمسة أساقفة وأربع رؤساء رهبانيّات[١]. وبينما يرى الروم الكاثوليك أنّ الخطوات المسكونيّة كانت محدودة بسبب الموقف السلبيّ الذي وقفته الكنائس الشرقيّة الأرثذوكسيّة من الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة، اعتبر الروم الأرثذوكس الروم الكاثوليك عقبة أمام الاتّحاد. ذلك أنّ جبابرة العمل المسكونيّ: البابا بولس السادس، والبطريرك المسكونيّ أثيناغوراس، والبطريرك الملكيّ الكاثوليكيّ مكسيمُس الرابع الصائغ، قد رحلوا على التوالي[٢]. فعاد العمل المسكونيّ إلى الوراء. إلاّ أنّ بريقًا من الأمل لمع في عهد البطريرك حكيم، وكان الفضل في ذلك لمشروع المطران الياس الزغبي الذي قدّم اقتراحًا بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧٤ إلى "اللجنة المسكونيّة" يهدف إلى إقامة وحدة فوريّة بين شطرَي الكنيسة الأنطاكيّة على أن تبقى الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة في شركة كاملة مع كرسيّ روما الرسوليّ. وقد رأى باحثون أنّ المهمّ في هذا الاقتراح، وإن لم يثمر، أنّه حرّك العمل المسكونيّ بعد جمود طويل[٣]. الرسوليّ رفض الاقتراح.

---

١ ـ شكّلت اللجنة برئاسة المطران كامل مدوّر، وعضويّة الأساقفة: ناوفيطس إدلبي، ويوسف طويل، وجاورجيوس حدّاد، وغريغوريوس حدّاد، يضاف إليهم الرؤساء العامّون الأربعة.

٢ ـ يوجز باحثون ملكيّون هذا الواقع بالقول: لقد شاءت الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة أن تشكّل من نفسها جسر عبور للقاء الشرق والغرب. إلاّ أن تصرّفات الكرسي الرومانيّ لم تساعد على إنجاح مشروع الفرع الكاثوليكيّ، ولم تقنع الفرع الأرثذوكسيّ بجدوى المشروع الكاثوليكيّ. فوجدت كنيسة الروم الكاثوليك نفسها في موقع دقيق: فلا الكنيسة الرومانيّة اعترفت بها ككنيسة مستقلّة تعبّر عن تراث الشرق وتسعى إلى ربط الكنيستَين الشرقيّة والغربيّة بشركة المسيح، بل تعاملت معها ككنيسة تابعة من دون أن تغوص في تحديد مسؤوليّة هذه المعاملة. ولا الكنيسة الأرثذوكسيّة اعترفت بوجودها بل إنّها وصلت في النهاية إلى اعتبار وجودها عقبة أساسيّة أمام الاتّحاد ـ كبكب، مرجع سابق، ص١١٧.

٣ ـ دعا مشروع المطران الزغبي إلى إيجاد صيغة للوحدة بين شطرَي البطريركيّة الأنطاكيّة الخلقيدونيّة، أي بين بطريركيّتَي الروم الكاثوليك والروم الأرثذوكس، تكون بمثابة مرحلة اتّحاديّة أولى، على أن ترضى بهذه الصيغة وتباركها الكنيستان الرومانيّة والأرثذوكسيّة، "فتعود كنيستنا إلى الوحدة مع البطريركيّة الأنطاكيّة الأرثذوكسيّة مع بقائها على الشركة مع كرسيّ روما الرسوليّ"، على أن لا يكون هذا الانتساب المزدوج، الغاية القصوى والأخيرة، بل "تجربة تعايش في واقع الحياة ومرحلة تمهيديّة لصيغة اتّحاديّة أوسع تشمل الكنيستَين الكبيرتَين: الكاثوليكيّة الرومانيّة والأرثذوكسيّة، اللتَين تؤلّفان معًا كنيسة المسيح الجامعة، ولا يتمّ بدون اتّحادهما تحقيق التراث المسيحيّ الكامل" ـ زغبي المطران الياس، حول الوحدة المسيحيّة ووحدة البطريركيّة الأنطاكيّة، مقال في "المسرّة"، السنة ٦١ (١٩٧٥) ص ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

إلاّ أنّ الكرسيّ أمّا المطران زغبي فلم ييأس، بل ثابر على تطوير اقتراحه وأصدر عام ١٩٨١ كتابًا باللغة الفرنسيّة عنوانه: "الجميع منشقّون؟[1]"، أعلن فيه تجاوزه لتحفّظات الكنيستَين الكاثوليكيّة والأرثذوكسيّة، معتبرًا نفسه في حالة اتّحاد مع الاثنتَين في آن واحد. مبادرًا إلى تحقيق مشروع "الشركة المزدوجة" في ذاته. مصرّحًا: "أعلن أنّني أعيش، وسوف أموت، في اتّحاد تامّ بالكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الشرقيّة الممثّلة محلّيًا ببطريركيّة أنطاكية للروم الأرثذوكس، وأعترف بأنّ الإثنتَين مقدّستان رسوليّتان متساويتان جوهريًّا في الإيمان وفي الرسوليّة وفي الأسقفيّة وفي العبادة الكنسيّة وفي إقامة الأسرار[2]".

ويرى بعض الباحثين الملكيّين الكاثوليكيّين أنّ "إعلان المطران زغبي شركته المزدوجة ظلّ موقفًا شخصيًّا، ولكنّه تحوّل إلى صرخة نبويّة أطلقها الأسقف إلى الرعاة لإعادة وحدة القطيع المشتّت. ولكنّ هذه الصرخة تحوّلت في سينودس تمّوز (يوليو) عام ١٩٩٦ إلى خطوة متقدّمة على طريق الوحدة المسكونيّة بعد التطوّر الذي حصل من خلال "اللّجنة اللاهوتيّة الدوليّة المشتركة" بين الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة والكنائس الأرثذوكسيّة. فقد أُعلنت وحدة الإيمان في العقائد الأساسيّة في أربع وثائق بين عامَي ١٩٨٢ و١٩٩٣، وبقيت نقطة للدرس وهي: دور أسقف روما في الكنيسة والمجامع المسكونيّة[3]". فقد قرّر آباء السينودس أنّه، بعد كلّ الإنجازات المسكونيّة، وإستنادًا إلى أنّ الوحدة هي جوهر الإيمان، فإنّ "المشاركة في القدّاسات هي اليوم ممكنة"، وهم "يقبلون بها، تاركين مدى وطرق تطبيقها لِما سوف يقرّره معًا سينودسًا

١ - ZOGHBI MGR ELIAS, *TOUS SCHISMATIQUES?* (BEYROUTH, 1981)

٢ - ZOGHBI, *TOUS SCHISMATIQUES?*, OP. CIT., P. 150.

٣ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠٠.

كنيستَي الروم الملكيّين الكاثوليك والروم الأرثذوكس". وأعلن آباء السينودس "بقاءهم في الشركة الكاملة مع كنيسة روما الرسوليّة، وسعيهم، في الوقت عينه، إلى التحاور معها لتحديد ما يقتضيه دخولهم في الشركة مع كنيسة أنطاكية الأرثذوكسيّة". وأكّد آباء السينودس على "تطلّعهم بشوق إلى اليوم الذي يعود فيه فرعا كنيسة أنطاكية الملكيّة إلى وحدة البطريركيّة في كنيسة واحدة وبطريركيّة واحدة. وهم يؤكّدون أنّ إعادة الوحدة لا تعني انتصارًا لأحد أو ذوبانًا لكنيسة، بل الرجوع إلى الوحدة التي كانت سائدة قبل انفصال ١٧٢٤"[١].

يقول مفكّر كنسيّ ملكيّ كاثوليكيّ[٢]: إنّه لمضيعة للوقت أن نجلس اليوم لنناقش عن شرعيّة انتخاب كيرلّس السادس طاناس أو سلفسترس القبرصيّ بطريركًا على الكرسيّ الأنطاكيّ، سنة ١٧٢٤. فالفاصل الزمنيّ بين الأمس واليوم يزيد عن قرنَين ونصف من الزمن تطوّرت في خلاله كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك ونمت نموًّا ملحوظًا، وقدّمت للكنيسة ولمشروع الوحدة خدمات جلّى. صحيح أنّ هناك تيّارَين تجاذبا كنيستنا: تيّار أرثذوكسيّ وتيّار لاتينيّ. إلاّ أنّه في النهاية لا بدّ لكنيسة الروم الكاثوليك من أن تحقّق رسالتها، التي ورثتها من التراث الملكيّ الأنطاكيّ، في أن تبقى شرقيّةً، أصلاً وعقليّة، على الرغم من اتّحادها بالكرسيّ الرومانيّ، وعلى أن تبقى أمينة للتراث الأنطاكيّ الملكيّ في جذوره الرسوليّة. والحقيقة أنّ كنيسة الروم الكاثوليك لم تبتدئ سنة ١٧٢٤، فهي تحمل في شخصيّتها تراث أقدم بطريركيّة أُسّست على يد القدّيس

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠٠ الذي أضاف: لقد تتوّجت جهود روّاد الحركة المسكونيّة أمثال أوريست كرامه والمطران كامل مدوّر والبطريرك مكسيمُس الرابع والمطران الياس زغبي، واللجنة المشتركة المكوّنة من السادة الأساقفة جورج خضر والياس عودة وسليم بسترس والياس زغبي، بقرار سينودسيّ جريء من قِبَل كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك بانتظار موقف سينودس الروم الأرثذوكس والكرسيّ الرسوليّ.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص ١١٩.

بطرس. وإنّ مشروع الوحدة بين الفرعَين الكاثوليكيّ والأرثذوكسيّ، الذي تبنّاه سينودس عام ١٩٩٦، وهو أكبر دليل على هذه الشخصيّة الجامعة التي تبلورت خلال القرنَين الماضيَين لتوضيح المفهوم الحقيقيّ لجسر العبور الذي شكّلته كنيستنا في تاريخها الحديث ليكون محطّة لقاء بين تراث الشرق والغرب، ووسيلة وحدة بين الكنيسة الرومانيّة والكنائس الأرثذوكسيّة. فإذا نجحت كنيستنا في مسعاها تكون قد حقّقت رسالتها، وإذا فشلت تكون قد قامت بما يمليه عليها إيمانها بالمسيح، وستظلّ على هذا الإيمان باذلة الجهود ومذلّلة الصعاب ورافعة الصلاة لنتمّ فينا جميعًا مشيئة اللّه المقدّسة وتتحقّق صلاة السيّد المسيح إلى أبيه السماوي: "ليكونوا واحدًا كما نحن واحد ليؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني".

المؤتمر الكهنوتي

كان من جملة المواضيع التي تدارسها الآباء في السينودس الملكيّ الكاثوليكيّ الأوّل الذي عقده البطريرك حكيم في عين تراز في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٨، موضوع لقاء بين الرؤساء الكنسيّين والإكليروس، تمشّيًا مع روح المجمع الفاتيكانيّ، وإفساحًا في المجال أمام الكهنة لدرس المسائل التي تخصّهم وتخصّ الكنيسة. وقد التأم مؤتمر أوّل حقّق هذا اللقاء في دير يسوع الملك (لبنان)، من ١١ إلى ١٥ أيّار (مايو) ١٩٦٩، وبحث في مواضيع كان أبرزها: روحانيّة الكاهن وثقافته، وضع الكاهن الاجتماعيّ والمادّيّ[1]. وقد التأم المؤتمر سبع مرّات بين ١٩٦٩ و١٩٨٠. إلاّ أنّ الظروف المأساويّة التي عصفت بلبنان في الربع الأخير من القرن العشرين، قد حالت

---

١ - بطريركيّة أنطاكية وسائر المشرق والإسكندريّة وأورشليم، دليل كنيسة الروم، مرجع سابق، ص ٣٩.

دون التئام مؤتمرات لاحقة. وما زال المؤتمر الكهنوتيّ، أو مؤتمر الإكليروس، متوقّفًا حتّى الآن على الرغم من تحسّن الأوضاع السياسيّة والأمنيّة[١].

المؤتمرُ العَام لكَنيسَةِ الرُّوم المَلكيِّينَ الكَاثُولِيك

من منطلق تأكيد المجمع الفاتيكانيّ الثاني على "دور جماعة المؤمنين الذين يؤلّفون شعب اللّه في كنيسة المسيح"، بدأت تنمو فكرة "المؤتمر العامّ" في السينودس المقدّس لكنيسة الروم الكاثوليك، وتدور حول ضرورة إشراك المؤمنين في خدمة المسيح وكنيسته المقدسة. وتمكّنت الأمانة العامّة للجان السينودس برئاسة المطران غريغوار حدّاد[٢] من بلورة فكرة رائدة في محاولة تلاقٍ أقرّها السينودس سنة ١٩٨٢ وتعذّر تنفيذها حتّى صيف ١٩٨٣. وقد حدّدت الأمانة العامّة للمؤتمر هدفًا مزدوجًا: التباحث والتفاعل حول موضوع المؤتمر ورفع التوصيات إلى السينودس المقدّس الهيئة المؤهّلة لاتّخاذ القرارات؛ والقيام باختبار حياتيّ لوحدة هذه الكنيسة على صعيد كلّ فئاتها. وهكذا التأم المؤتَمرُ العَام لكَنيسَةِ الرُّوم المَلكيِّينَ الكَاثُولِيك في ثلاثة مؤتمرات بين ١٩٨٣ و١٩٩٢، شارك فيها مندوبون من أبرشيّات الروم الكاثوليك المختلفة،

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠٠ ـ ١٠١.

٢ ـ **المطران غريغوار حدّاد**: وُلد في سوق العرب ١٩٢٤، تلقّى علومه لدى الآباء اليسوعيّين وأكملها في جامعة القديس يوسف، سيم كاهنًا ١٩٤٩، أمين سرّ ثمّ نائب عام أبرشيّة بيروت، أسّس عدّة جمعيّات لسدّ حاجات الأبرشيّة في الحقل الاجتماعيّ، عيّنته الحكومة اللبنانيّة عضوًا في مجلس الإنماء، انتخبه السينودس مطرانًا مساعدًا لمطران بيروت فيليبُّس نبعة ١٩٦٥ وخلفه بقرار من السينودس ١٩٦٧، استقال من مسؤوليّاته الأسقفيّة في سينودس ١٩٦٨، خصّص نشاطاته في سبيل الحركات الاجتماعيّة على مجمل الأراضي اللبنانيّة خصوصًا خلال أحداث ١٩٧٥ وما بعدها، عيّنه السينودس مديرًا بطريركيًا موقّتًا على أبرشيّة صور ١٩٨٧.

وناقشوا مواضيع المجالس الراعويّة والحركات الرسوليّة والتربية المسيحيّة، و"كنيستنا: تاريخ ورسالة"، و"كنيستنا: التجسّد والإنثقاف"[1].

ويرى مراقبون كنسيّون معنيّون أنّه قد تجاذب المؤتمر تيّاران، الأوّل يميل إلى المثابرة على عقد اللقاءات على الرغم من عدم إقرار أيّ توصية من توصياته حتّى الآن، فإيجابيّات اللقاء كثيرة وتستحقّ العناء. والثاني يميل إلى اعتبار أنّ المؤتمر قد تحوّل إلى مسرح لترف فكريّ يمكن الإستغناء عن عناء تحضيره والاكتفاء بنشر المواضيع المثارة في المجلاّت الملكيّة الكاثوليكيّة. ومع الأسف، توقّف المؤتمر، دون أن ينتصر تيّار على آخر، لأسباب لا مجال لذكرها، "تاركًا فراغًا كبيرًا في كنيستنا التي كانت سبّاقة في الشرق لعقد مؤتمر الإكليروس والمؤتمر العامّ"[2].

مِن أعلامَ الكنيسةَ الملَكيَّة الكَاثوليكيَّة في حَقَبَة القَرنِ العِشرين

يصعب تعداد أسماء الذين برزوا، من أبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة، في حقبة القرن العشرين، سواء في مجالات الفكر والأدب والفنون أو في السياسة والإدارة ودنيا الأعمال، في لبنان وبلدان الانتشار، بالنظر لوفرة عددهم وسعة مجال انتشارهم، لذلك سنكتفي هنا بتعداد بعض أبرز الإكليريكيّين من هؤلاء المميّزين دون العلمانيّين.

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠١؛ الكلمة الافتتاحيّة للبطريرك مكسيمُس الخامس حكيم في المؤتمر العامّ الأوّل، في "المسرّة"، السنة ٦٩ (١٩٨٣) ص ٥١٨؛ أعمال المؤتمر الأوّل في "المسرّة"، السنة ٦٩ (١٩٨٣) العددان ٦٩٣ ـ ٦٩٤ (خاص) ص ٥٢٣ ـ ٥٩٢؛ أعمال المؤتمر الثاني في "المسرّة"، السنة ٧٧ (١٩٩١) العدد ٧٩١ (خاص) ص ٨٩٧ ـ ١١٢٠؛ أعمال المؤتمر الثالث في "المسرّة"، السنة ٧٩ (١٩٩٣) العدد ٨٠٥ (خاص) ص ٨٤٩ ـ ١١٢٠.

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠١ ـ ١٠٢.

خصّ بعض الباحثين[1] بالذكر من هؤلاء، في مجال التأريخ: الرهبان المخلّصيّين: **قسطنطين الباشا** (ت١٩٤٨) و**كيرلّس حدّاد**، و**فايز فريجات**، و**الياس كويتر**؛ وفي مجال الأدب والشعر: الأب **نقولا أبو هنا** المخلّصيّ؛ وتوقّفوا عند **المطران جرمانس معقّد** (ت١٩١٢) الذي وضع مؤلّفات عديدة في الأدب والرواية، والأدب الروحيّ، والأدب الخطابيّ، وكان رائد الاصلاح الليتورجيّ، في عهد البطريرك سيّور، في كتابه "تحقيق الأماني لذوي الطقس اليونانيّ"؛ والأب البولسيّ **جورج فاخوري** (ت١٩٧٧) الذي كان علمًا من أعلام الشرق، وقد ظهر معظم إنتاجه في مجلّة "المسرّة"، التي دبّج فيها مقالات لا تُحصى، وتولّى إدارتها طوال ٢٢ سنة (١٩٥٠ ـ ١٩٧٢)، فكانت له جولات في ميادين الدين والاجتماع والتاريخ والأدب والأخلاق والسياسة؛ والأب **يوحنّا فاخوري** الذي وضع مؤلّفات عديدة في اللغة العربيّة والأدب العربيّ والفلسفة العربيّة، وتُرجم كتابه "الأدب العربيّ" إلى الروسيّة والفارسيّة، وكتابه "في تاريخ الفلسفة" إلى الفارسيّة، ومؤلّفاته في اللغة والأدب منتشرة في كل أقطار العالم العربيّ؛ والأب **إميل الحاج** البولسيّ الذي وضع حتّى الآن ٤٠ كتابًا في القصص الروحيّة، خصوصًا في حياة القدّيسين، وعالج مواضيع أخلاقيّة واجتماعيّة وتأمّلات روحيّة؛ والأب **باسيليوس قسّيس** المخلّصيّ الذي وضع حوالى ٢٣ كتابًا في الليتورجية؛ والأرشمندريت **أنطون هبّي** الذي وضع مجموعة من الكتب في المواضيع الموسيقية والطقسيّة والفنيّة والتاريخيّة وفي الأدب المسرحيّ الدينيّ، وعددًا كبيرًا من المقالات بالعربيّة والفرنسيّة والانكليزيّة. والإكسرخس **يوسف نصراللّه** (ت١٩٩٣) الذي وضع عددًا من المؤلّفات في تاريخ الكنيسة الملكيّة، وتوّج إنتاجه بموسوعة ضخمة بعنوان "تاريخ الحركة الأدبيّة في الكنيسة الملكيّة" بالفرنسيّة؛ والمطران العلاّمة

---

١ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١١٣.

ناوفيطس إدلبي (ت١٩٩٥) الذي خلّف لنا سلسلة قيّمة في التراث العربيّ المسيحيّ. ونحن نضيف إلى هؤلاء اسم الباحث النشيط الذي كان اعتمادنا على أعماله المنيرة في تحقيق موجز تاريخ الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة، وهو الأب الدكتور **وسام كبكب**، أستاذ تاريخ الكنيسة في معهد القدّيس بولس في حريصا، وصاحب الدراسات والمؤلّفات القيّمة والفكر العميق والتوجيه الوحدويّ.

وأبرز الأب الدكتور كبكب من أسماء النابغين في الموسيقى البيزنطيّة من أبناء كنيسته، أسماء الآباء **أنطون هبّي** و**كيرلّس حداد المخلّصيّ** و**جبرائيل أبو شديد الشويريّ**، واسم الأب **جوزف العبسي البولسيّ** الذي وضع طريقة لمطابقة اللحن البيزنطيّ على الكلام العربيّ[1].

وأشار في مجال الحوار المسيحيّ الإسلاميّ إلى جهود الأرشمندريت **يوسف درّه الحداد** (ت١٩٧٩)؛ والأب **منير خوّام** من على صفحات مجلّة "المسرّة"، وإلى جهود الأرشمندريت **سليم غزال المخلّصيّ** رائد الحوار المسيحيّ الإسلامي في أبرشيّة صيدا ومنها إلى لبنان والعالم. وذكر أنّه في هذا الإطار عمدت جمعيّة المرسَلين البولسيّين إلى إنشاء "مركز أبحاث في الحوار المسيحيّ ـ الإسلاميّ C.E.R.D.I.C"، في أوائل كانون الثاني (يناير) ١٩٩٥، وعهدت بإدارته إلى الأب **مشير عون البولسيّ**. والمركز يُعنى بتنشيط الأبحاث العلميّة ويوجّه أعماله وفقًا لإرشادات المجمع الفاتيكانيّ الثاني المتعلقة بموضوع الحوار مع الأديان[2].

---

١ ـ أطروحة دكتوراه بعنوان: *LE CHANT DE L'EGLISE MELKITE, L'HYMNOGRAPHIE GRECQUE ET SES VERSIONS SYRIAQUE ET ARABE - LA RELATION TEXTE-MUSIQUE.*

٢ ـ كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١١٤.

وعلى صعيد العمل المسكوني، نوّه بجهود الأب **الياس أندراوس البولسيّ** (ت١٩٦٧)، الذي قام بسلسلة من المحاضرات في مصر، سنة ١٩٣٧، وفي بيروت ودمشق سنة ١٩٣٠، وفي القاهرة والإسكندريّة، سنة ١٩٣١، وقد تكلّم فيها عن ضرورة الاتّحاد، وإمكانيّة حصوله، ووسائله؛ وبجهود **المطران بطرس كامل مدوّر**، و**المطران الياس زغبي*** والأب **أوريست كرامة** الذين أسهموا في توجيه الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة نحو الانفتاح المسكونيّ الجديد. وذكر أسماء ثلاثة رهبان حلبيّين لمعت أسماؤهم على صعيد الحقّ القانونيّ، رُسموا أساقفة في ما بعد، وهم: متروبوليت حلب **ناوفيطس إدلبي** الراحل، **الياس نجمة** رئيس أساقفة طرابلس، و**بطرس راعي** المعاون البطريركيّ ورئيس أساقفة فنزويلاّ الراحل[1].

وكان مِمّا سهّل الإتّجاه نحو نشاط الكتابة والتأليف، وشجّع عليه، منذ مطلع القرن العشرين، تأسيس المطبعة البولسيّة، سنة ١٩١٠، لتسهيل نشر مجلّة "المسرّة". وقد نافست تلك المطبعة، بتقنيّتها وتعاملها، كبريات المطابع في لبنان والشرق العربيّ. فترافقت مع المطبعة المخلّصيّة التي كانت أُنشئت في صيدا ثمّ نُقلت إلى مقرّ دير المخلّص في جون، في الاهتمام بالنشر الدينيّ والثقافيّ والعلميّ. أمّا الرهبانيّة الشويريّة فكانت تسعى بجهد كبير لتجديد مطبعتها، وتمكّنت من تأهيلها وتجديدها سنة ١٩٥١، إلاّ أنّ انطلاقتها ظلّت محدودة. وقد أسهمت هذه المطابع الملكيّة الثلاث، بشكل كبير، في نشر الكتب الدينيّة والأدبيّة والفكريّة، ووضعت في متناول أيدي الباحثين والمثقّفين وروّاد المطالعة، نفائس الكتب. كذلك ترافقت مجلاّت: "المسرّة" للمرسَلين البولسيّين، و"الرسالة" المخلّصيّة، و"الوحدة في الإيمان" المتخصّصة بالمجمع الفاتيكانيّ الثاني، و"حياة وعمل"، وغيرها من النشرات الصادرة بالعربيّة عن الأبرشيّات، لتخلق جوّاً

١ ـ كبكب د. وسام، المرجع السابق.

ثقافيًا في كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك. وإذا كانت المجلاّت "الملّيّة"[1] المختلفة قد ظلّت في إطار ضيّق من المواضيع المعالَجة، لأسباب كثيرة لا مجال لذكرها الآن، فإنّ مجلّة "المسرّة" انطلقت في عالم الفكر لتتحف قرّاءها بنخبة من المقالات، في اللاّهوت، والحركة المسكونيّة، وتاريخ الكنيسة، والكتاب المقدّس، والطقوس، وتاريخ لبنان والمنطقة، والتراث العربيّ المسيحيّ، وترجمة الرسائل البابويّة... تدبّجها أقلام نخبة من الإختصاصيّين والمثقّفين والجامعيّين، من أساقفة وكهنة وعلمانيّين، في حين انطلقت مجلّة "الرابطة" الناطقة بالفرنسيّة "LE LIEN"، باسم البطريركيّة، لتربط المؤمنين الفرنكوفونيّين بكنيستهم[2].

ويتبيّن للباحث أنّه منذ مطلع القرن العشرين، بدأ الوضع يتغيّر نحو الأفضل في أوساط علمانيّي أبناء الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة، أقلّه على الصعيد الثقافيّ والتربويّ. فقد أثمرت إكليريكيّة القديسة حنّة فئة من الشباب المثقّف الذين أناروا محيطهم بثقافتهم وعلمهم، فضلاً عن تعزيز المدارس البطريركيّة والأسقفيّة والرهبانيّة في لبنان وسورية ومصر، ممّا سمح لهذه المؤسّسات بتخريج فئات من الشباب والشابّات المثقّفين الذين خدموا محيطهم على الصعيد الفكريّ والثقافيّ التربويّ والمهنيّ، حتّى غدا أبناء كنيسة الروم الكاثوليك اليوم من بين أبرز الفئات ثقافةً واتقانًا للغات العربيّة والأجنبيّة في العالمَين العربيّ والفرنكوفونيّ[3].

---

١ ـ استعمل الكاتب هنا وصف "الطائفيّة" وليس "الملّيّة"، ولكنّنا استبدلنا الوصف للسبب المبدئيّ الذي اعتمدناه كما أسلفنا في بداية البحث.

٢ ـ كبكب د. وسام، المرجع السابق.

٣ ـ كبكب، مرجع سابق، ص١١٠.

الفَصلُ الخَامِس

الكَنِيسَةُ الملَكيَّةُ الكَاثُوليكيَّة في القَرنِ الحَادِي والعِشرِين

البَطرِيَرك غرِيغورُيوس الثَّالث لحَّام؛

هيكَلِيَّة كَنيسَةِ الرُّومِ الملَكيِّينَ الكَاثُوليك؛

البطريرك؛ مصفّ الأساقفة؛ رجـال الإكليروس؛

العلمانيّون.



البَطريَرك غريغوريُوس الثّالث لحّام

لمّا اشتدّت على البطريرك مكسيمُس الخامس حكيم وطأة السنين، قدّم استقالته، ليفسح في المجال أمام انتخاب بطريرك جديد يكون فاتحة بطاركة القرن الحادي والعشرين، فالتأم السينودس الإنتخابيّ في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٠ وانتخب النائب البطريركيّ في القدس المطران لطفي لحّام بطريركًا حمل اسم غريغوريوس الثالث لحّام. وفي ٢٩ حزيران (يونيو) ٢٠٠١ أسلم البطريرك مكسيمُس الخامس حكيم روحه إلى ربّه لتنتقل إلى دنيا الحق.

وُلد لطفي لحّام في داريّا سوريا سنة ١٩٣٢، وعندما بلغ سنتَين من العمر، توفّي والده زكي لحّام وهو المعين الوحيد للعائلة على أثر سقوطه على الأرض أثناء عمله في البناء، تاركًا لزوجته، مرتا قريط من خبب، ولدَين هما الياس ولطفي، اللذَين عاشا مع والدتهما في عسر وضيق، إلى أن ألهم اللّه الوالدة، فحملت الولدَين سنة ١٩٤٠ من داريّا سوريا إلى ميتم في الفرزل لبنان بناه المطران كيرلُّس مغبغب راعي أبرشيّة زحلة والفرزل والبقاع، وهناك عاشا ودرسا وتربّيا. وصدف أن قدم إلى الفرزل الأب بطرس حدّاد المخلّصيّ يفتّش عن الدعوات الرهبانيّة، وإذ قُدّم إليه الياس ولطفي، أُعجب بهما لحسن سلوكهما واجتهادهما في الدرس، فعرض على الوالدة أن ترسلهما إلى الإكليريكيّة المخلّصيّة فوافقت.

دخل لطفي إلى الإكليريكيّة المخلّصيّة سنة ١٩٤٣. وبعد سنة قضاها في دير المخلّص لتعذّر قضائها في دير الابتداء، قُدّم إلى النذور الأولى في ١٥ آب (أغسطس) ١٩٤٩، عقبتها النذور الاحتفاليّة في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢. بعدما قضى بضع سنوات في الإكليريكيّة الكبرى في دير المخلّص. ثمّ انتقل لطفي مع رفاقه، بسبب زلزال ١٩٥٦، لمتابعة دروسه الفلسفيّة واللاهوتيّة في جامعة القدّيس أنسلموس في روما من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٨، وتابع دروسه في المعهد الحبريّ للدروس الشرقيّة ١٩٥٨ - ١٩٦١ حيث نال بعدها شهادة الدكتوراة في العلوم الشرقيّة على أطروحته "كنسيّات المطران جرمانوس آدم الروميّ الملكيّ". وفي ١٥ شباط (فبراير) ١٩٥٩ سيم في دير غروتافراتا في ضواحي روما.

عاد من روما كاهنًا وبدأ الخدمة الرهبانيّة. في هذه المرحلة، سُجّلت له عدّة إنجازات مهمّة أبرزها: ١) نقل المدرسة الكبرى من دير المخلّص إلى دير مار يوسف البرج ثمّ إلى دير القدّيس يوحنّا الحبيب بالقرب من دير مار الياس الراس في جعيتا، حيث يواصل الإكليريكيّون المخلّصيّون تلقّي العلوم الدينيّة في الجامعات. ٢) أسّس، مع الأبوَين جورج كويتر وسليم غزال، دار العناية التي أصبحت منارة اجتماعيّة وروحيّة في الجنوب اللبنانيّ. ٣) أسّس مجلّة "الوحدة في الإيمان"، وكانت أوّل مجلّة تسير في هذا النهج الوحدويّ المسكونيّ.

إختاره البطريرك مكسيمُس حكيم مدبّرًا بطريركيًّا ونائبًا عامًّا ثمّ أسقفًا على أبرشيّة النيابة البطريركيّة في القدس ١٩٧٤، حيث سُجّلت له إنجازات عديدة منها: المساعدة في إنهاء مأساة المطران كبوجي الذي اعتُقل سنة ١٩٧٤ وحُكم عليه بالسجن ١٢ سنة؛ المساعدة في تكملة إصلاح وتزيين كاتدرائيّة سيّدة البشارة؛ تعزيز الخدم الليتورجيّة ونشر عدّة كتب أهمّها "كتاب الصلوات الطقسيّة" في ٥ مجلّدات كبيرة و٥

صغيرة؛ خدمة الوحدة المسيحيّة وتأسيس مراكز لها أهمّها: "مركز الثقافة الدينيّة" و"مركز اللقاء"؛ تعزيز وتنظيم خدمة المحبّة بدعم الخدمات الصحيّة والاجتماعيّة التي تقوم بها جمعيّة سيّدة البشارة في القدس؛ بناء المستوصفات والمشاريع السكنيّة في بيت حنينا وبيت ساحور ورام اللّه والطيّبة والقدس ويافا؛ بناء معهد المخلّص اللاهوتيّ لتنشئة إكليروس لأبرشيّات القدس وعكّا وعمّان؛ اهتمّ بالنشر والإعلان فأصدر كتبًا ومجلاّت ونشرات كثيرة.

انتُخب بطريركًا لكنيسة الروم الملكيّين باسم غريغوريوس الثالث في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٠، فقام أوّلاً بإصلاح المركز البطريركيّ في الربوة، وعقد سينودسَين مقدَّسَين: الأوّل في ١٨ حزيران (يونيو) ٢٠٠١، والثاني في ١٧ حزيران (يونيو) ٢٠٠٢ ودرس مع الآباء مسائل مختلفة تناولت أحوال الطائفة وأبناءها في الوطن العربيّ وبلاد الاغتراب منها: مسألة التنشئة الكهنوتيّة والشأن الليتورجيّ، والشأن الاغترابيّ، والوحدة المسيحيّة، واتُّخذت في صدد كلّ مسألة القرارات الملائمة؛ قام بزيارة الأبرشيّات والرهبانيّات الرجّاليّة والنسائيّة الملكيّة، وتفقّد أبناءه في مختلف المؤسّسات التابعة للكنيسة البطريركيّة.

في النشاط الثقافيّ: ألقى البطريرك لحّام عدّة محاضرات وأجرى مقابلات متلفزة داخل البلاد وخارجها في ألمانيا ومصر وسوريا والولايات المتّحدة الأميركيّة، وشارك في عدّة مؤتمرات ذات طابع لاهوتيّ وإنسانيّ واجتماعيّ، وكانت له محاضرات ومداخلات تركّزت حول دور الكنيسة في المجتمع وحول الكنيسة الملكيّة ودورها الوحدويّ. أصدر نشرة إخباريّة بعنوان "يوميّات الساهر". قلّد الفنّان اللبنانيّ وديع الصافي الصليب البطريركيّ في حفل تكريميّ أقامته على شرفه إدارة مدرسة المخلّص في بيروت.

في العلاقات مع سائر الكنائس: قام البطريرك لحّام، بين ٩و١٥ شباط (فبراير) ٢٠٠١، بزيارته الرسميّة الأولى إلى الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ برفقة ١٤ من السادة الأساقفة والكهنة ومجموعة كبيرة من العلمانيّين، واشترك في الذبيحة الإلهيّة مع قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني في ١٢ شباط (فبراير) بحضور الأساقفة المرافقين والكهنة، ووجّه البابا كلمة إلى البطريرك ام أظهر فيها محبّته لكنيسة الروم الكاثوليك متمنّيًا للبطريرك الجديد النجاح والتوفيق، وفي أثناء الليتورجيا تمّ تبادل الشركة الكنسيّة بين البابا والبطريرك. وكان بينهما لقاء على انفراد تبودل في خلاله كتاب الصلوات الطقسيّة؛ وشارك البطريرك لحّام في سينودس الأساقفة بروما في تشرين الأوّل (أكتوبر) ٢٠٠١ حيث كانت له مداخلات تركّز أهمّها حول المصفّ البطريركيّ وحقوق البطاركة الشرقيّين خاصّة خارج رقعة أراضي الكنيسة البطريركيّة، وكذلك انتخاب الأساقفة ودور سينودس أساقفة الكنيسة البطريركيّة داخل رقعة الأراضي البطريركيّة وخارجها، وطرح أيضًا مسائل أخرى تهمّ الشرق والكنائس الشرقيّة؛ وشارك في مؤتمر الحقّ القانونيّ بروما، حيث كانت له أيضًا مداخلات حول الحقوق البطريركيّة ودور البابا في إدارة الكنيسة الجامعة، ثمّ عرض مسائل تتناول الحفاظ على الطقوس والليتورجيا وقوانين الرهبان ذات الطابع الشرقيّ، وكان في مجمل المداخلات يركّز على هذا الطابع الشرقيّ وضرورة الحفاظ عليه. وشارك أيضًا في مجلس البطاركة والأساقفة في لبنان، ومجلس أساقفة سوريا، ومجلس بطاركة الشرق الكاثوليك. لم يترك مناسبة اجتماعيّة أو دينيّة أو سواها إلاّ وعبّر فيها عن رغبته في التواصل وتعميق العلاقات بجوّ من المحبّة والتعاون. وقد زار جميع رؤساء الكنائس واستقبل العديد منهم سواء في كرسيّه بدمشق أو في مقرّه بالربوة لبنان. وسعى من أجل توحيد عيد الفصح واتّباع الحساب اليوليّ في سوريا على غرار ما حدث في

الأردنّ وبعض مناطق القدس ومصر، ولم يترك مناسبة إلاّ وأظهر فيها إيجابيّات العمل المسكونيّ داعيًا الجميع إلى الوحدة والتعلّق بما يجمع والابتعاد عمّا يفرّق. وشارك في حفل تدشين كنيسة في حلب مشتركة بين الكنيسة الأرثذوكسيّة وكنيسة الروم الملكيّة.

في العلاقات الإسلاميّة ـ المسيحيّة: إلتقى البطريرك لحّام لمرّات عديدة شخصيّات إسلاميّة دينيّة من جميع الطوائف السنّيّة والشيعيّة والدرزيّة، وشخصيّات سياسيّة إسلاميّة، مستغلاً معظم المناسبات لكي يُظهر حسن العلاقات مع الأديان الأخرى وخاصّة الإسلام.

في النشاط الإنسانيّ: أطلق البطريرك لحّام نداءات عديدة لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وعزّز دور التعاونيّة في الربوة لهذا الغرض، وقد خصّص قسمًا من مدخول البطريركيّة للفقراء. ودافع بشدّة عن حقوق الشعب الفلسطينيّ وشجب العنف الحاصل من قِبَل السلطات الإسرائيليّة ضدّ الشعب الآمن هناك وخاصّة في المخيّمات، ووجّه رسالة إلى الرئيس الأميركيّ جورج بوش يناشده فيها ممارسة العدالة في الأراضي المقدّسة. كما وجّه نداء إلى الرؤساء العرب المشتركين في القمّة العربيّة في بيروت مناشدًا إيّاهم الاهتمام بالغرض عينه.

على صعيد الإدارة: ترأس البطريرك لحّام سينودس الأساقفة لكنيسته بتاريخ ١٩ ـ ٢٣ حزيران (يونيو) ٢٠٠١ وفيه تمّ انتخاب المعاونَين البطريركيَّين سليم غزال وجوزيف العبسي والنائب البطريركيّ في مصر المطران يوسف الزريعي؛ وترأس السينودس الدائم لأربع اجتماعات تمّت خلالها دراسة مواضيع تهمّ الشأن البطريركيّ العامّ وبعض أوضاع الأبرشيّات بشكل خاصّ. واطّلع على أوضاع المحاكم الروحيّة في مختلف البلدان حيث تنتشر الكنيسة الملكيّة وشارك في تنظيم أوضاعها، وترأس

اجتماعات اللجنة التشريعيّة المؤلّفة من أساقفة لبنان وبعض الخبراء القانونيّين لتجديد النظام الداخليّ للمحكمة الموحّدة في لبنان؛ وترأس اجتماعات المجلس الأعلى في لبنان، والمجلس الملّيّ في سوريا، والمجالس الاقتصاديّة والليتورجيّة ومجالس الكهنة والمستشارين على كافّة الصعد في دمشق والربوة ومصر؛ ومن أهمّ المشاريع التي تهمّ البطريرك لحّام، مشروع إعادة بناء مقرّ عين تراز المهدّم.

في النشاط الروحي والليتورجيّ: إشترك في عدّة رياضات روحيّة مع الأساقفة والكهنة والإكليريكيّين والرهبان والراهبات في لبنان وسوريا ومصر وبلدان الاغتراب، وترأس عدّة اجتماعات للجنة الليتورجيّة، التي هي بصدد الإعداد لإعادة طباعة كتاب القدّاس الإلهيّ، كذلك تعمل اللجنة على إعداد كتيّبات صغيرة لكلّ الصلوات الطقسيّة. وقد احتفل البطريرك لحّام بتقديس الميرون وتكريس الأنديميسيّات الجديدة التي تحمل اسمه وتوقيعه، وتمّ توزيع الميرون والأنديميسيّات على كافّة الرعايا والمراكز الرهبانيّة والمعابد التابعة للكنيسة الملكيّة.

هَيكَلِيَّة كَنيسَةِ الرُّومِ المَلَكِيِّينَ الكَاثُوليك[1]

تتألّف كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك اليوم من: البطريرك، مَصفّ الأساقفة، الإكليروس، العلمانيّين.

البطريرك

هو رأس الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة والرئيس الروحيّ الأعلى والممثّل الوحيد الشرعيّ لها، يترأس السينودُس، ويختار الأساقفة بالتشاور مع آباء السينودس، ويرسمهم. يعاونه مستشارون برتبة أساقفة معاونين بطريركيّين، ونوّاب بطريركيّون ينوبون عنه في إدارة الكراسي البطريركيّة التي تخضع لولايته، وهي:

١) الكرسي الأنطاكيّ: مقرّه مدينة أنطاكية، وانتقل إلى دمشق إثر المفاوضات التي حصلت بين الأمبراطور البيزنطيّ ميخائيل الرابع والسلطان المملوكيّ بيبرس، فاعترف الملك الظاهر بيبرس برئاسة البطاركة الأنطاكيّين وسمح بانتقالهم من أنطاكية إلى دمشق، وكان ذلك في عهد البطريرك الأنطاكيّ ثيودوسيوس الرابع (١٢٦٨ ـ ١٢٧٦)[2].

٢) كرسيّ دمشق: كان الكرسيّ الثاني من حيث الأهميّة بعد كرسيّ صور. وكان الكرسيّ رئاسة أسقفية تتبع لها ١٣ أسقفية. إلاّ أنه، مع انتقال البطاركة إليها، تحوّل مطرانها من رئيس أساقفة إلى وكيل بطريركيّ.

---

١ ـ نقلنا هذا الفصل بكامله عن مصدره (كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١٠٢ وما يليها) من دون أيّ تعديل.

٢ ـ إشارة إلى أنّ هذا الوضع كان قائمًا قبل انقسام الكنيسة الأنطاكيّة الملكيّة إلى أرثوذكسيّة وكاثوليكيّة؛ راجع: رستم، مدينة الله، مرجع سابق، ٢: ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

٣) كرسيّ الإسكندريّة: هي بطريركيّة قائمة بذاتها، لا يتبعها أبرشيّات. فهي أبرشية واحدة مقرّها في الإسكندريّة والقاهرة معًا، وتشمل ولايتَي السودان وليبيا.

٤) كرسيّ أورشليم: نمت كنيسة الروم الكاثوليك ببطء في القدس بين بطريركيّتي الأرثذوكس واللاتين، وقد عُيّن لرعاية أبنائها المطران ملاتيوس فندي سنة ١٨٣٨. إلاّ أنّ معظم الذين تولّوا النيابة البطريركيّة بعده كانوا من الكهنة، حتّى عام ١٩٦١، عندما عادت البطريركيّة إلى تعيين أساقفة كنوّاب بطريركيّين.

يتبع الكرسيّ البطريركيّ كذلك مقرّان في لبنان: الأوّل في عين تراز، أُعدّ ليكون إكليريكيّة، ثم حُوّل في عهد البطريرك الصائغ إلى مقرّ صيفيّ للبطريركيّة. وهو يجسّد تراث كنيسة الروم الكاثوليك بسبب السينودسات العديدة التي عُقدت فيه، وبسبب مكتبته الثمينة بالمخطوطات والوثائق والتي تعرّضت للنهب والسرقة في خريف ١٩٨٣، وما يزال مصيرها مجهولاً. في حين تعرّض المقرّ للقصف والحريق فدُمّرت أجزاء منه؛ والثاني في الربوة، حيث أنشأت البطريركيّة سنة ١٩٧٧، إكليريكيّة القدّيسة حنّة الكبرى بدلاً من القدس، وحوّلت جناحًا منها لإقامة البطريرك ودوائره.

ويتبع الكرسيّ البطريركي أيضًا ثلاث نيابات بطريركيّة هي: نيابة العراق[١]، وقد أُلحقت، منذ عدّة سنوات، بأبرشيّة شرقيّ الأردن؛ نيابة الكويت؛ ونيابة اسطنبول. كما يتبع الكرسيّ البطريركيّ أربع رعايا في أوروبّا بانتظار تأسيس أبرشيّة أوروبّا الغربيّة، وهي: باريس (١٩٥٠)، مرسيليا (١٩٦٥)، روما (١٩٦٥)، بلجيكا (١٩٨٠).

---

١ - وفدت إلى العراق في ظروف متعاقبة أسر ملكيّة كاثوليكيّة منذ منتصف القرن الثامن عشر، وكانوا يتمّمون واجباتهم الدينيّة لدى كهنة الإرساليّات اللاتينيّة ثمّ تولّتها كنائس كاثوليكيّة أخرى: الأرمن، السريان، الكلدان، إلى أن أسّس البطريرك مظلوم مركزًا للكنيسة في العراق.

مصــفّ

الأساقفة

الأسقف هو رسم السيّد المسيح الحبر الأزليّ، والأسقفيّة هي ملء الكهنوت وذروته العليا. فالأسقف هو ملاك كنيسته كما دعاه يوحنّا في سفر الرؤيا. وهو الراعي الأوّل للأبرشيّة والرئيس الروحيّ والقاضي والأب لإكليروسه وشعبه.

هناك نوعان من الأساقفة يرتبطان بشكل الأبرشيّة، والنوعان لا يختلفان إلاّ بحقّ التقدّم، يتساويان بكلّ حقوق الأسقفيّة بحسب الشرع الكنسيّ. فـ"نحن نميّز بين المتروبوليت وهو الأسقف المعيّن على مدينة رئيسة بالترتيب الكنسيّ، وهناك رئيس الأساقفة وهو الأسقف المعيّن على أسقفيّة عاديّة. من هذا المنطلق نجد في كنيستنا الكراسي المتروبوليتيّة والكراسي الأسقفيّة والكراسي المُنشأة حديثًا خصوصًا في بلاد الإغتراب، إذ لم يكن لها وجود في التاريخ".

أ) الكراسي المتروبوليتيّة، وهي ست: صور؛ حلب وسلوقية وقورش؛ بصرى وحوران وجبل العرب؛ بيروت وجبيل وتوابعهما؛ يبرود وحمص وحماه؛ اللاذقيّة وطرطوس وتلكلخ ومصياف.

ب) الكراسي الأسقفية وهي سبع: صيدا ودير القمر وتوابعهما؛ طرابلس وعكّار؛ عكّا وحيفا والناصرة وسائر الجليل؛ الفرزل وزحلة والبقاع؛ بانياس وتوابعها؛ بعلبك؛ بترا وفلادلفيا وشرقيّ الأردن.

ج) أبرشيّات الإغتراب: أبرشيّة نيوتن وسائر الولايات المتّحدة (١٩٧٦)؛ أبرشيّة ساو باولو وسائر البرازيل (١٩٧١)؛ أبرشيّة كندا (١٩٨٠)؛ أبرشيّة أوستراليا (١٩٨٧)؛ أبرشيّة فنزويلا (١٩٩٦).

رجَـــــال

الإكليروس

أُقيم رجـال الإكليروس منـذ فجر الكنيسـة لمسـاعدة الأسـاقفة فـي إرشـاد النفـوس وتوزيع الأسرار والوعظ الإنجيليّ. إلاّ أن الكنيسـة الشـرقيّة كـانت تعـاني الكثير، مـن خلال الأحداث التي تلاحقت منذ القرن السابع حتّى عشـيّة نشـأة الـروم الكـاثوليك سـنة ١٧٢٤، من وضع رجال الإكليروس. في حين كان المرسَل اللاتينيّ يقضي عشر سنين ونيّفًا في الدرس ومباشرة أعمال الرياضة الروحيّة، فضلاً عمّا هي عليه رهبانيّاته مـن الجاه والمال. فإنّ ثقافة بعض رجال الإكليروس الملكيّ الكاثوليكيّ لم تتعدّ حفظ بعض المعلومات المتفرقة في علم اللاهوت الأدبيّ[١]. أمّا الجهاز البشريّ فكان يتألّف من عدد ضئيل من الكهنة المتزوّجين، أُضيف إليهـم، من بعد، عـدد مـن الرهبـان بعـد تأسـيس الرهبانيّـات الملكيّـة. ولـم تتطـوّر أحوالهم الثقافيّـة وتتحسّـن، إلاّ مـع إنشـاء إكليريكيّـة القدّيسة حنّة عام ١٨٨٢. وكانت أبرشيّات الروم الكاثوليك ترزح تحـت عـبء النقـص الفادح في الدعوات الكهنوتيّة. فلقد كانت حاجة الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّـة إلـى الكهنـة تزداد يومًا بعد يوم. وفي الربع الأوّل مـن القـرن العشـرين كـانت هـذه الحاجـة ملحّـة: فأبرشية صور، مثلاً، لم تنعم إلاّ بأربعة كهنة، بينهم بعض النفور، وكانت بحاجـة إلـى ثلاثة آخرين، فيما الكاهن الواحد يعتني بأكثر من قرية واحدة[٢]. ولم تسـتطع إكليريكيّـة القدّيسة حنّة في القدس أن تسدّ هذه الحاجـة، فلقـد خرّجـت، منـذ تأسيسـها حتّـى إقفالهـا هنـاك سنة ١٩٦٩، ٢٨٩ كاهنًــا، ومــن سـنة ١٩٦٩ حتّــى ١٩٧٧، ٦ كهنــة، ومــن

---

١ ـ محفوظات الجمعيّة البولسيّة: مراسلات المطران معقّد، رسالة إلى البطريرك، بتاريخ ١٧ كانون الأوّل (ديسمبر) ١٨٨٥.

٢ ـ محفوظات الجمعيّة البولسيّة، ملفّ مراسلات الأب بولس سيّور، رسالتان إلى المطران الصائغ بتاريخ أوّل تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ و٢٧ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٢٧.

عام ١٩٧٧ حتى الآن ٦٣ كاهنًا، أي ٣٥٨ كاهنًا، على مدى ١١٤ سنة[١].

ورغم النشاط والازدهار اللذَين أذكيا الحياة الرهبانيّة منذ القرن الثامن عشر، فإنّ هذه الحياة لم تستطع سدّ الفراغ الكامل الحاصل في القرى المختلفة التابعة لأبرشيّات الكنيسة الملكيّة. فالرهبانيّات المخلّصيّة والشويريّة والحلبيّة كانت تعاني، وما زالت، نقصًا من الناحية البشريّة. والمطّلِع على وضع الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة الحاليّ يرى عمق المأزق الذي تعانيه من تناقص عدد الدعوات الكهنوتيّة بشكل خطير بات يستلزم تحرّكًا جديًّا وجذريًّا من قِبَل الأساقفة والكهنة والرهبان والراهبات والأسر المسيحيّة والمدارس والجامعات والحركات الرسوليّة[٢]...

والوضع الحاليّ لرجال الإكليروس في كنيسة الروم الكاثوليك هو على الشكل التالي[٣]:

أ) **الكهنة:** هم خدمة الرعايا، يُقسَمون إلى قسمين: كهنة متزوّجين بحسب التقليد الشرقيّ، وكهنة متبتّلين: يبلغ عددهم اليوم في الشرق وبلاد الاغتراب ٢٨١ كاهنًا: ١٥٠ متبتّلاً و١٣١ متزوّجًا. يخدمون رعايا ١٦ أبرشيّة في الشرق و٥ أبرشيّات وعدد من الرعايا المتفرّقة في بلاد الإغتراب.

ب) **الرهبان:** يعدّون ١٨٣ راهبًا يتوزّعون على ثلاث رهبانيّات قانونيّة وجمعيّة مرسَلين:

---

١ ـ استنادًا إلى صكوك الرسامات في سجلاّت الاكليريكيّة في الربوة، ومستندات سينودس تمّوز (يوليو) ١٩٩٦.

٢ ـ سينودس تمّوز (يوليو) ١٩٩٦، البيان الختاميّ.

٣ ـ أدرج كبكب هنا الحاشية التالية: اعتمدنا في هذا الجزء على المعلومات الواردة في دليل كنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك في العالم، وهي معلومات تعود إلى تقارير سنة ١٩٨٧. أمّا الأرقام الواردة في الاحصاءات الحديثة فقد استقيناها من وثائق سينودس تمّوز (يوليو) ١٩٩٦، ومن قدس الأرشمندريت جورج حدّاد، أمين سرّ البطريركيّة.

١ - الرهبانيّة الباسيليّة المخلّصيّة[1]: أُسّست سنة ١٦٨٣ على يد مطران صيدا وصور الملكيّ أفتيميوس الصيفي. وهي من أعرق الرهبانيّات في تاريخ الكنيسة الملكيّة الكاثوليكيّة، حضنت في ديرها الرئيسيّ في جون (الشوف): دير المخلّص، حركة الكثلكة، وأوت البطاركة والأساقفة المضطهَدين والملاحَقين من قِبَل الأرثذوكس والسلطات العثمانيّة. ويضمّ الدير الرئيسيّ مخطوطات ووثائق مهمّة جدًّا تُعتبر من كنوز تراث الروم الملكيّين الكاثوليك. وقد تعرّضت الرهبانيّة إلى نكسة خطيرة بين عامَي ١٩٨٣ و١٩٨٥ إذ قُصفت وفُجّرت أديرتها في جبل لبنان، ونُهبت محتوياتها وصودرت أيقوناتها ومخطوطاتها. إلاّ أنها تمكّنت من تخطّي الأزمة بعد نقل الدير الرئيسيّ موقّتًا إلى جعيتا (كسروان). وقد استعادت اليوم أديرتها وأملاكها وهي تتابع رسالتها في المحيط الذي غرست فيه منذ قرون ثلاثة وفتحت منه كوّات إلى العالم لتضيء حياة الكثير من المؤمنين في بلاد الإغتراب. وقد قدّمت هذه الرهبانيّة إلى الكنيسة ثمانية بطاركة و٥٨ أسقفًا. ودخلت الرهبانية المخلّصيّة مؤخّرًا معترك العمل الاجتماعيّ فأنشأت مؤسّستَين بارزتَين: مؤسّسة المخلّص الاجتماعيّة في "الصالحيّة" شرقي صيدا، في خريف ١٩٦٦، بهمّة الآباء جورج كويتر (مطران صيدا الحاليّ) ولطفي لحّام (البطريرك الحاليّ) وسليم غزال (الرئيس العامّ الحاليّ). وتُعرف هذه المؤسّسة باسم دار العناية؛ "دار الصداقة في زحلة" سنة ١٩٧٧، بهمّة الآباء حنّا سليمان وأندره حدّاد (مطران زحلة الحاليّ) وأثناسيوس نصّورة. وانطلق العمل في الدار من معهد للتعليم الدينيّ العالي ليخرّج فريقًا للتعليم الدينيّ في المدارس وانعاش الحركة الرسوليّة عند الأولاد.

٢ - الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة[2]: أسّستها جماعة من الرهبان الحلبيّين المنفصلين عن دير البلمند، فأسّسوا دير مار يوحنّا الصابغ في الخنشارة، سنة ١٧١١. ضمّت في حنايا تاريخها قسمًا مهمًّا من تراث الروم الكاثوليك والشرق،

---

١ - جاء الحديث عن تأسيس هذه الرهبانيّة في مجال السرد التاريخيّ في هذا الكتاب، يمكن الرجوع إليه.

٢ - جاء الحديث عن تأسيس هذه الرهبانيّة في مجال السرد التاريخيّ في هذا الكتاب، يمكن الرجوع إليه.

فقد احتضنت الرهبانيّة في ديرها الرئيسيّ أوّل مطبعة في الشرق بالحرف العربيّ، وهي التي أسّسها الشمّاس عبد الله زاخر. إلاّ أنّها تعرّضت لهزّة عنيفة سنة ١٨٢٩، إذ انشطرت إلى قسمين: الرهبانيّة البلديّة (الشويريّة) والرهبانيّة الحلبيّة. وعلى الرغم من ذلك يعتبر الأب "أثناسيوس حاج قب" الرهبانيّتين شقيقتين، تعمل فيهما روح واحدة، كنهرٍ أبى أن تنحصر مياهه من ناحية واحدة، فانقسم إلى شعبتين مكوّنًا دلتا، ليتسنّى له أن يؤمّن الخصب والحياة في مجال أوسع[1]، وقد قدّمت الرهبانيّة للكنيسة ثلاثة بطاركة و٣٤ أسقفًا. وتخصّصت الرهبانيّة الشويريّة بالتربية من خلال كليّاتها في زحلة (الكليّة الشرقيّة)، والخنشارة (كليّة القدّيس يوحنّا الصابغ)، وكفرشيما (كليّة القدّيس أنطونيوس).

٣ - **الرهبانيّة الباسيليّة الحلبيّة:** أُسّست إثر انقسام الرهبانيّة الحنّاويّة إلى شويريّة وحلبيّة سنة ١٨٢٩. وقدّمت للكنيسة كردينالاً: أكاكيوس كوسا، وعشرة مطارنة.

٤ - **جمعيّة المرسَلين البولسيِّين**[2]: أُسست سنة ١٩٠٣ على يد مطران بعلبك المستقيل جرمانُس معقّد (١٨٥٣ - ١٩١٢)*. غايتها إقامة الرّياضات الروحيّة وإلقاء المواعظ وتعليم قواعد الديانة وأصول التعليم المسيحيّ بشرح واضح بسيط. وعلى الرغم من حداثتها فقد قدّمت للكنيسة بطريركًا و١٢ أسقفًا. واعتنت الجمعيّة بشكل خاص بالنشر الدينيّ من خلال مطبعة ومكتبة ومجلّة، كما أنشأت معهدًا للفلسفة واللاهوت يُعدّ كهنة المستقبل من كلّ الأبرشيّات وبعض الرهبانيّات.

---

١ - حاج قب الأب أثناسيوس، صفحة من تاريخ الرهبانيّة الباسيليّة الشويريّة الملكيّة، المطبعة الكاثوليكيّة (بيروت،١٩٤٨) ص ١٥.

٢ - جاء الحديث عن تأسيس هذه الرهبانيّة في مجال السرد التاريخيّ في هذا الكتاب، يمكن الرجوع إليه.

ج) **الراهبات:** عددهنّ اليوم حوالى ٣٧٢ راهبة ينتمين إلى ٥ رهبانيّات، ثلاث منهنّ باسيليّات: المخلّصيّات والشويريّات والحلبيّات؛ جمعيّة مرسَلات المعونة الدائمة، ورهبانيّة للخدمة: راهبات الخدمة الصالحة.

١ - **الراهبات المخلّصيّات:** بدأت الرهبانيّة على شكل راهبات محصّنات، تحوّلن إلى راهبات مرسَلات منذ سنة ١٩٤٩، تاريخ تشكيل أوّل هيئة قانونيّة، تحوّل اسمها إلى "جمعيّة المرسَلات المخلّصيّات".

٢ - **الراهبات الشويريّات:** أُسست الرهبانيّة الشويريّة النسائيّة سنة ١٧٣٠ على يد مجموعة من العابدات الحلبيّات اللواتي انتقلن إلى دير سيّدة البشارة في زوق مكايل سنة ١٧٣٧. ثمّ توالت أفواج الراهبات، مثالاً يحتذى في الزهد والتوبة، ونمت الحياة الرهبانيّة المحصّنة في ظلال المحبّة والمشورات الإنجيليّة، ضمن إطار الليتورجية والإنقطاع إلى العبادة، في ظلّ القوانين القائمة على الصلاة والعمل. وقد تأثّرت الراهبات بانقسام الرهبان الحنّاويّين إلى فرعَين: بلديّ وحلبيّ، فانقسمن بدورهنّ، سنة ١٨٣٠، إلى راهبات شويريّات، وراهبات حلبيّات. وفي سنة ١٩٤٠ بدأت ملامح تحوّل جديد في الرهبانيّة يقوم على الانتقال من الحياة المحصّنة إلى الحياة الرسوليّة. وقد ثبّت ذلك قداسة البابا بإرادة رسوليّة صادرة بتاريخ ٢١ أيّار (مايو) عام ١٩٥٣، معلناً تأسيس "جمعيّة خيريّة مرسَلة قائمة بذاتها".

٣ - **الراهبات الحلبيّات:** نشأن عن انقسام الراهبات الباسيليّات إلى راهبات شويريّات وراهبات حلبيّات، كما ذكرنا. وفي سنة ١٩٤٥ بدأت أوّل محاولة جديدة للتحدّي في حياة الرهبانيّة بإيحاء وتوجيه من الأب أكاكيوس كوسا، أمين سرّ اللجنة البابويّة لتدوين الحقّ القانونيّ الشرقيّ في روما آنذاك، وتمّ التحوّل القانونيّ والنهائيّ في ٢٥ تمّوز (يوليو) ١٩٥٣، وتحوّلت الراهبات إلى جمعيّة مرسَلات تعمل في الحقل الرسوليّ.

٤ ـ **مرسَلات سيّدة المعونة الدائمة**[1]: أُسّست جمعيّة المرسَلات سنة ١٩٣٦ بسعي حثيث مشترك من الجمعيّة البولسيّة في عهد الأب أنطوان حبيب، وسيادة مطران بيروت مكسيمُس الصائغ. هي الرهبانيّة الوحيدة المتعلّقة بالكرسيّ البطريركيّ. ديرها الرئيسيّ، على اسم سيّدة المعونة الدائمة، يقع في حريصا، ويضمّ مركز الرئاسة العامّة، ومراكز التنشئة الرهبانيّة، إلى جانب دير أساسيّ في مرمريتا (وادي النصارى ـ سورية).

٥ ـ **راهبات سيّدة الخدمة الصالحة**: أُسّست هذه الرهبانيّة سنة ١٩٥٣ على يد المطران يوسف معلوف، رئيس أساقفة بعلبك، لتأمين الخدمة المنزليّة في الأديرة والمطرانيّات والمياتم والمآوي والمستشفيات وإدارة المدارس ضمن حدود أبرشيّة بعلبك.

العلمانيّون[2]

برز الملكيّون الكاثوليك، على الصعيد الوطنيّ، في مجتمعاتهم بحسب ما سمحت لهم الظروف والأنظمة القائمة. ففي لبنان كانوا، منذ عهد الإمارة، في صميم العمل الوطنيّ من خلال ممثّليهم في المجالس المحليّة، إلى جانب بعض الوظائف الكتابيّة التي تبوّأوها، فاغناطيوس الثالث إبن عطيّة كان كاتبًا للأمير فخر الدين قبل أن يصبح مطرانًا على صيدا ثم بطريركًا ١٦١٧ ـ ١٦٣١، نشير إلى أنّ هذا البطريرك كان قبل الانفصال سنة ١٧٢٤، ما يعني أنّه كان بطريركًا أرثذوكسيًّا. وبطرس كرامة* وناصيف اليازجي* كانا من بلاط الأمير بشير الثاني الشهابيّ، وأمراء آل أبي اللمع في المتن اتّخذوا لهم كتبة ملكيّين كاثوليك من آل كسّاب، وهم الملكيّون الوحيدون في لبنان الذين نالوا لقب المشيخة، كذلك الأمر بالنسبة إلى عهد المتصرفيّة (١٨٦١ ـ

١ ـ جاء الحديث عن تأسيس هذه الرهبانيّة في مجال السرد التاريخيّ في هذا الكتاب، يمكن الرجوع إليه.

٢ ـ المعلومات الواردة تحت هذا العنوان منقولة عن مصدرها: كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١١٤ ـ ١١٧.

١٨٧١) حيث برز من أبناء الملّة عدد ملحوظ من العاملين في الشأن الوطنيّ والإداريّ والثقافيّ والتربويّ. وكان للروم الكاثوليك دور بارز في إعلان دولة لبنان الكبير إلى جانب البطريرك المارونيّ الياس الحويّك، من خلال الدور المميّز الذي مثّله المطران كيرلّس مغبغب[١] والاتّصالات التي قام بها والمذكّرات التي رفعها إلى مراكز القرار الدوليّ. وكان للروم الكاثوليك دور كبير في الإستقلال وترسيخه في الوحدة الوطنيّة وسيادة لبنان، من خلال الدور الذي قام به **سليم تقلا** (١٨٩٥ ـ ١٩٤٥)، و**هنري بك فرعون** (١٨٩٨ ـ ١٩٩٣). وفي عهد تركيز الدولة على المؤسّسات، كان لهم دور بارز بفضل زعامات وشخصيّات سياسيّة بارزة. وقد تميّز دور هذه الزعامات بالاعتدال والروح التوفيقيّة وبالقدرة على إيجاد الحلول، وبعدم التبعيّة للخارج.

أما خلال الحرب الداخليّة اللبنانيّة الأخيرة (١٩٧٥ ـ ١٩٩٠) فقد لحق بالروم الكاثوليك أبناءً ومؤسّسات خسائر فادحة في الأرواح والأرزاق: القاع (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨)، زحلة (١٩٨١)، الجبل (١٩٨٣)، شرقي صيدا (١٩٨٥)، وتعرّض عدد كبير من المؤسّسات لدمار وخراب فادحَين: المقرّ البطريركيّ في عين تراز، دير المخلّص، دار المطرانيّة في بيروت، تفجير دار مطرانيّة زحلة...

وكانت مواقف كنيسة الروم الكاثوليك إكليروسًا وشعبًا ميّالة إلى: الدعوة إلى نبذ العنف واعتماد الحوار؛ الالتفاف حول الشرعيّة لتقوية فكرة الدولة؛ التمسّك بسيادة لبنان والانفتاح على العالم العربيّ؛ المحافظة على استقلاليّة القرار الكاثوليكيّ[٢].

---

١ ـ **البطريرك كيرلّس مغبغب** (١٨٥٥ ـ ١٩٤٧): وُلد في عين زحلتا، بطريرك الروم الكاثوليك ١٩٢٥، مؤسّس المدرسة التي حملت اسمه في عين زحلتا، تخرّج منها أمين نخلة.

٢ ـ كبكب، ص١١٥، مستقيًا المعلومات عن وضع الروم الكاثوليك في لبنان في التاريخ المعاصر من محاضرة البروفسور فايز الحاج شاهين في المؤتمر العامّ الثاني لكنيسة الروم الملكيّين الكاثوليك. راجع "المسرّة"، السنة ٧٧ (١٩٩١)، ص ١٠٣٤ ـ ١٠٤٧.

كما كان للروم الكاثوليك دور بارز في مصر منذ الحملة الفرنسيّة. فكان لهم ممثّل في الديوان العامّ الذي أنشأه نابليون من ٦٠ شخصًا من المشايخ، وهو ميخائيل كحيل. كما هيمن أبناء الروم الكاثوليك على ديوان التجارة والجمارك، وتسلّموا وظيفة "معلّم الديوان" الذي كان يضمن الجمرك والمرافئ. وأبرز من تولاّها: يوسف بيطار، أنطوان فرعون، نعمة اللّه صيدح، ميخائيل كحيل، غبريال بركات، يوسف كسّاب. وكلّهم من أصل شامي فرّوا من سورية إلى مصر بعد عام ١٧٢٤.

وفي عهد محمّد علي (١٧٦٩ ــ ١٨٤٩) تبوّأ الروم الكاثوليك في مصر بعض الوظائف المهمّة. فكان يوسف بكتي مستشارًا لمحمّد علي، وجورج جبارة مدير التجارة في الإسكندريّة والمسؤول عن استيراد وتصدير مادّة النطرون. وتولّى آل البحري مراكز مهمّة في دواوين الحكم، فكان يوحنّا بحري مساعدًا لوزير الماليّة، وجرمانُس بحري مديرًا لوزارة الحربيّة، وعبّود بحري مديرًا لديوان محمّد علي وكاتبه الخاص؛ وكان لطف اللّه عيروط ترجمانًا في ديوان القاهرة.

كما برزت أسماء مهمّة في الحقل الوطنيّ أمثال: الكونت حبيب باشا سكاكيني، قسطنطين قطّة باشا، فريد بابازوغلي باشا، بطرس مشاقة باشا، نجيب يوسف سيّور باشا، عبد العزيز كحيل باشا، غبريال باشا تقلا، يوسف صيدناوي باشا، باسيل سوسو باشا. وتولّى زنانيري باشا إدارة الحجر الصحيّ، وكان السير يوسف سابا باشا عضوًا في أوّل مجلس بلديّ لمدينة الإسكندرية. وكان أبناء الروم الكاثوليك روّادًا في القطاع الصناعيّ بمصر، فكان حبيب ديمتري بولاد رائدًا في صناعة القطن، إذ أدخل أوّل "وابور لحلج القطن إلى مصر". وكان آل كحلا روّادًا في صناعة الزيوت والصابون. وكان آل كفوري من أكبر أصحاب شركات المواصلات العامّة. وكان نصري بك تاجرًا وأولاده من كبار التجّار.

وعلى الصعيد الاجتماعيّ أسّس الأب هنري عيروط اليسوعيّ جمعيّة الصعيد. كما ظهرت "جمعيّات غداء الظهر" التي أخذت على عاتقها تقديم وجبة طعام الظهر إلى أولاد المدارس المجّانيّة يوميًّا، وما زالت قائمة حتّى اليوم في الإسكندريّة، وأسّس آل صيدناوي مستشفى قدّموه لجمعيّة الهلال الأحمر.

وعلى صعيد الحوار المسيحيّ الإسلاميّ، نوّه باحثون بنشاط "لويس ماسينيون[1]" والآنسة "ماري كحيل" مع نخبة من الأصدقاء، إذ أسّسوا ثلاث جمعيّات فكريّة تُعنى بالحوار هي: "البدليّة"، "إخوان الصفا"، و"جمعيّة الإخاء الدينيّ".

وعلى هذا المنوال كان أبناء الروم الكاثوليك، ولا يزالون، يتفاعلون مع مجتمعاتهم في لبنان ومصر وسورية وفلسطين والأردن وبلاد الاغتراب، فيعملون في الفكر والأدب والفنّ والاقتصاد، وهم في غالب الأحيان متفوّقون بارزون، ويعملون في المجال الوطنيّ حيث تسمح الظروف السياسيّة والأنظمة بذلك[2].

وقد جاء في بعض الأبحاث الحديثة، أنّ كنيسة الروم الكاثوليك، تضمّ اليوم زهاء مليون مؤمن، نصفهم تقريبًا خارج الشرق[3]. بينما ذكرت دراسات أخرى أنّ عدد الروم الملكيّين الكاثوليك، المقيمين في البلدان العربيّة، يبلغ اليوم نحو مائتَين وخمسة وسبعين ألف نسمة، موزّعين على لبنان وسورية ومصر[4].

---

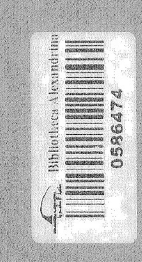
١ - **لويس ماسينيون** MASSIGNON (١٨٨٣ - ١٩٦٢): مستشرق فرنسيّ، عضو المجامع العلميّة في بلدان عديدة شرقيّة وغربيّة، اهتمّ بنشر مؤلّفات الحلاّج، ترك آثارًا جمّة في مختلف الشؤون الإسلاميّة لا سيّما الصوفيّة منها.

٢ - كبكب د. وسام، مرجع سابق، ص١١٤ - ١١٧.

٣ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص٣١٧.

٤ - إبراهيم د. سعد الدين، المجتمع والدولة في الوطن العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة (بيروت، ١٩٨٨)؛ السمّاك محمّد، الأقليّات بين العروبة والإسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص٢٤.




Bibliotheca Alexandrina
0586474